كتاب التوحيد

٦

علم اللغة التوحيدي

بين النظرية والتطبيق

الدكتور محمد علي الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

علم اللغة التوحيدي

بين النظرية والتطبيق

الدكتور محمد علي الحسيني

كتاب التوحيد

سلسلة دورية تصدر عن مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي
بالتعاون مع رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية

المراسلات

باسم رئيس التحرير على احد العنوانين

في الجمهورية الاسلامية في ايران:

● قم ـ ص. ب: ٣٦٥١ / ٣٧١٨٥.

● طهران ـ ص.ب: ٦١٨٧ / ١٤١٥٥.

السنة الثالثة ـ الكتاب السادس

الطبعة الاولى ـ رجب ١٤١٧ هـ / تشرين الثاني ١٩٩٧ م

تقديم
بقلم: رئيس التحرير

في اعقاب الثورة المنهجية التي احدثتها محاضرات العالم اللغوي السويسري «فرديناند دي سوسير» في علم اللغة، ظهر الىٰ الوجود ما اصطلح عليه بـ«علم اللغة الحديث». وبذلك بدأ عهد جديد في دراسة الظواهر اللغوية (اللسانيات ـ ***Linguilstics***)، انتهىٰ فيما بعد الىٰ تبلور رؤىٰ ونظريات في هذا المجال، لعلّ اهمها «النظرية البنيوية» التي ترجع ـ كما يقول مؤسسوها ـ الىٰ أفكار دي سوسير نفسه، علىٰ الرغم من انّ الأخير لم يستخدم كلمة «بنية»، بل اطلق كلمة «نسق» أو «نظام» علىٰ اللغة، بعد ان فرّق بينها وبين الكلام، ودرس العوامل المتشابكة الداخلة في نشوء هذا النظام، وهي عوامل تشتمل علىٰ جميع انشطة الفرد والمجتمع، كما تدرسها مجمل العلوم الانسانية. مما جعل ابعاد العلوم اللسانية وآفاقها تتسع اتساعاً كبيراً، لتشتمل في دراساتها علىٰ كل شيء يرتبط باللغة والانسان، ولا سيما بعد طرح علماء لغة آخرين لنظرياتهم، امثال: الأمريكي «سابير» صاحب نزعة «المظهر الاجتماعي»، ومواطنه «ليونارد بلومفيلد» صاحب «النزعة التوزيعية»، ثم جومسكي. وجميعهم تأثر بدي سوسير. الأمر الذي وسّع دائرة التقارب في الآراء والأفكار حول نظريات علم اللغة الحديث.

وقد أصبح بامكان نظريات علم اللغة تحليل طبيعة حركة الانسان والمجتمع، ومسارها، والأنساق والعلاقات التي تستبطنها، وذلك من خلال مجموعة من العلوم

والمناهج، كعلم دلالات الألفاظ (*Semantics*) وعلم العلامات او السمات (*Semiology*) وعلم المصطلحات (*Terminology*) وعلم الظواهر (*Phenomenology*).

ولا يمكن في هذا المجال تغافل بعض الرؤىٰ والنظريات والاتجاهات اللغوية التي لاتخضع لمناهج البحث العلمي، مما يضفي علىٰ بعضها طابعاً آيـديولوجياً في تـفسير الظواهر الانسانية والاجتماعية.

هذا التضارب في النزعات اللغوية التي تضخّمت في حجمها وتأثيرها، وتحوّلها الىٰ تيارات علمية وفكرية لها علاقة بالأنساق الاجتماعية، ومن ثمّ امتدادها الىٰ عالمنا الاسلامي، وظهور تأثيراتهـا في الاوســاط العـلمية والفكـرية والثـقافية، ولا سـيما التأثيرات المؤدلجة، كل ذلك يستدعي ايجاد نظرية اسلامية لغوية، تطرح فهماً اسلامياً للنظام اللغوي بصورته الشمولية.

ومما يلفت النظر ان الاوساط الاسلامية العلمية لاتزال تعاني من فراغ في هذا المجال، شأنه شأن أكثر مجالات الانثروبولوجيا الأخرىٰ، التي يكاد يعجز الاسلاميون حيالها ـ عموماً ـ عن «التأسيس»، بل يفضِّل معظمهم «الأسلمة»، رغم غنىٰ الأصول الاسلامية والتراث الاسلامي في هذا المجال، ورغم ما تشكِّله علوم الانثروبولوجيا الوافدة من خطورة علىٰ العقل المسلم، لما تحتويه من تنظيرات ونزعات تنطلق مـن وعي الغرب لنفسه، وهي بالتالي ذات طابع آيديولوجي، يشكِّل جزءاً مـن الغـزو الفكري والثقافي، بل والعلمي ايضاً ـ إن صح التعبير ـ.

وتأتي مبادرات الاستاذ الدكتور محمد علي الحسيني في الكتابة بهذا الاتجاه، خطوة في الطريق، فهو يحاول من خلال دراساته التي نشرها في مجلة التوحيد، فضلاً عن كتابه هذا، ان يقدِّم فهماً اسلامياً للغة، باعتبارها نظاماً ونسقاً، اطلق عليه «النظرية التوحيدية». وهي ـ في الواقع ـ نظرية جديدة يتفرد بها الدكـتور الحسـيني. وهـي حصيلة جهود علمية استمرت اكثر من (١٢) عاماً.

لقد تناول المؤلف في هذا الكتاب أهم النظريات الحديثة في علم اللغة، مركِّزاً علىٰ مسار «النظرية البنيوية» من دي سوسير الىٰ جومسكي، وقارن بين لغتي القرآن وعلم اللغة الحديث، ثم عقد مقارنة اخرىٰ بين لغة الشعر والنظريات اللغوية الحديثة.

وهو ما جاء في الفصل الأول.

اما الفصل الثاني فقد خصصه الكاتب للنظرية التوحيدية، التي طرحها من خلال الوحدة وعوالم الوجوب والامكان والانسان والاديان والبيان. وأطّرها باطار عرفاني عبّر فيه الكاتب عن نزعته تجاه اللغة كمنظومة.

ثم درس عشرة من ابرز المصطلحات الاسلامية ـ في الفصل الثالث والأخير ـ وقارنها بمعادلاتها في أهم اللغات العالمية، في ضوء علمي السيمانتيك (الدلالة) والترمينولوجي (المصطلحات). كما أُلحقت بالكتاب عشرة ملاحق،درس فيها العلاقة الصوتية والدلالية لمجموعة اخرىٰ من المصطلحات، اي من خلال علم الدلالة وعلم الفونولوجي (الأصوات).

و«كتاب التوحيد» في عدده السادس هذا، الذي يفتتح به سنته الثالثة، إذ يقدم هذه النظرية لقرائه، ولا سيما المتخصصين والمهتمين، فانه يطرحها للحوار وتبادل الرأي العلمي، وصولاً الىٰ نظرية اسلامية مبلورة وأصيلة، وقادرة علىٰ طرح نفسها بقوة الىٰ جانب النزعات والنظريات والمناهج اللغوية السائدة عالمياً.

المقدمة

من أهم ما يميِّز الإنسـان، «نطقه ومنطقه»، وقد ارتبطا صوتاً ودلالةً في مختلف اللغات واللهجات (language and logic) كما هو واضح للمعنيين في هـذه الحـقول، وللدارسين والباحثين؛ فالنطق السليم يحكـي عـن المـنطق السـليم. وقـد وضـعت النظريات اللغوية والفلسـفية في هذا الصدد، وتناولت المقولات والأقوال المختلفة عبر مسيرة الإنسان الفكرية منذ محاولته معرفة نفسه واكتشاف وجوده، بشكل فطري طبيعي قاده إلى معرفة ربِّه باتِّباع الرسول البـاطني والظـاهري، وتأكـيده شـعوره وشعاره: «اعرفْ نفسكَ تعرفْ ربَّك».

ولمّا كانت معرفة النفس علىٰ حقيقتها معجزة من المعاجز الكبرى، والوصول إلى الكمال المطلق معجز أكبر؛ أصبحت المسألة أشبه باللغَز المحيِّر، وأصبحت اللغة ـ وهي رمز من رموزها ـ أشبه بذلك؛ لأنها تلألؤ فكر الإنسان والتعبير عما تكن نفسه، وتُضمر بواطنه من أسرار ورموز.

وهذه اللغة (logos) اللغز: هي رمز الرمز الخالد في وجوده المخلَّد؛ لكون نفسه «جسمانية الحدوث وروحانية البقاء»، كما قال بذلك صدر المتألِّهين الحكيم ملاَّ صدرا الشيرازي «وإليه ينزل الخطاب» في هذه الحياة الدنيا و «الكلام المـبين»، ويـتسلّم «الرسـالة» في الجنة من رب العالمين.

وإنّ معرفة اللغة لترتبط بمعرفة هذا الكون العميق الدقيق، كـما أنّ مـعرفته لترتبط بمعرفة اللغة أيضاً، ومن خلالها تحصل معرفة العالَم؛ ومن هنا جاء التلازم بين

اللغة والمعرفة أيضاً (*Language and knowledge*). ولمّا كانت معرفة اللغة تتوقف علىٰ اللغة نفسها؛ وباللغة يجب أن نعرف اللغة ونصفها وصفاً علمياً دقيقاً؛ كانت القضية معقدةً للغاية؛ ومن هنا تأتي صعوبة البحث في هذا الموضوع، وإنّ معرفة نفس الإنسان لتتوقف علىٰ الإنسان نفسه كذلك، فباللغة يجب أن يعرف اللغة، وبالنفس يجب أن يعرف النفس ذاتها. وهذا أشبه بالتعليق علىٰ المحال ـ وإن لم يكن محالاً ـ وبتوقّف الشيء علىٰ نفسه ـ وإن لم يكن كذلك ـ.

لكن البحث الفكري ما يزال مستمراً، والاستمرارية دليل الحركة، والفكر ـ بحدّ ذاته ـ: حركة دائبة إلى المبادى، ومن المبادى إلى المراد.

ويؤكد علم اللغة الحديث ضرورة اكتشاف النظرية أو «النظرة» التي يريد أن يبحث في اللغة ـ موضوعة البحث ـ من خلالها (*point of view*). وعندما تتبلور النظرة علمياً وتجريبيّاً تصل إلى مرحلة النظرية العلمية (*theory*) وبعدها تأخذ طريقها إلى التطبيق (*application*) من أجل تأييدها أو تفنيدها عملاً وبالتالي إلى الإفادة منها في مختلف الحقول المرتبطة بها.

ومن هنا انقسم علم اللغة المعاصر ـ كسائر العلوم الحديثة ـ إلى علم اللغة النظري (*theoretical linguistics*) وعلم اللغة التطبيقي (*applied linguistics*). وينقسم هذا الأخير بدوره إلى أقسام وفروع عديدة، من أهمها علم اللغة المقارن (*Comparative linguistics*) وهذا ينقسم أيضاً إلى أقسام وفروع تعليمية غالباً، ومن أهمها علم اللغة التعليمي(*Pedagogical linguistics*) الذي يعتمد تحليل الأخطاء والأغلاط وتجزئتها، من أجل التوصّل إلى معرفة سبب «اللحن» والخطأ في اللغة التي يُراد تعلّمها وتعليمها، وهو ما يُسمَّى بـ(*error analysis*). وهذا العلم يحكي عن تجربة المسلمين الأولى التي بدأها علماء اللغة عندنا وراحوا يفكّرون في علاج «ظاهرة اللحن» في قراءة النصوص الدينية، وبدأوا في وضع قواعد اللغة، صيانة للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة من الإنحراف في القراءة التي تقود إلى الانحراف في الدلالة، ولاسيما عندما بدأ اللحن يتفشّى في الحواضر الإسلامية نتيجة للاختلاط؛ وكان أن بادر الإمام علي(ع) إلى ارشاد أبي الأسود الدؤلي في ارتسام نهجه الذي نهجه له في

تقعيد القواعد اللغوية الأُولى، ثمّ قال له: انحُ هذا النحو، فَسُمِّيَ علم قواعد العربية بـ «النحو» من هنا.

وراحت النظريات والآراء اللغوية تأخذ طريقها المدرسي، وتكوّنت مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومن خلالهما تفرّعت المدرسة البغدادية وسائر المدارس اللغوية الأُخرى التي انتشرت في الحواضر الإسلامية المتعددة للسبب نفسه، حتى راحوا يؤلِّفون في «لحن العوام» و «لحن الخواص»، ويُعلِّلُون «ظواهر اللحن» ـ كما عللوا «قواعد النحو» ـ إلى العلل الأوائل والثواني والثوالث، وامتزج علم اللغة بالمنطق والفلسفة وبسائر العلوم الأُخرى.

ومن جملة مَنْ اَشتُهر بتأليف «لحن العوام»: الكسائيّ، أحد القراء السبعة، وبتأليف «لحن الخواص»: الحريري، الذي كتب «دُرّة الغواص في أوهام الخواص»، وهذّبها ابن منظور اللغوي صاحب «لسان العرب» وأسماها: «تهذيب الخواص من درة الغواص» ورتّبها بشكل معجمي. وقد حقّقناه علىٰ نسخة فريدة وحيدة، وجِدت بخط المؤلف نفسه في إحدى مكتبات اسطنبول؛ مُستدلِّين بها علىٰ اضطلاع المسلمين في هذا العلم اللغوي التطبيقي، كاطروحة للدكتوراه في علم اللغة التطبيقي المقارن، بعد دراسة مستفيضة في هذا الشأن في المقدمة. كما أفدنا منها في دراسة المفردات والمصطلحات العلمية ولاسيما في الجانب الدلالي، وهو ما يُسمى بعلم السيمانتيك (*Semantics*)، وارتباطه بعلم الترمينولوجي (*terminology*)، الذي شرعنا في ضوئه بكتابة دراسات مقارنة في مسيرة عشر سنوات خلت علىٰ صدر مجلة التوحيد الرحب تحت عنوان:«دراسة مقارنة في المصطلحات الإسلامية ومعادلاتها في مختلف اللغات»، من خلال نظرٍ توحيدي عرفاني خاص، ونظرية توحيدية عرفانية خاصة، أسميناها (*Unitheism*)، تسمياً مع المنطلقات المعاصرة لعلم اللغة في حقلَي: النظرية والتطبيق؛ خدمةً للمعرفة اللغوية والفلسفية بشكل عام، وللمصطلحات الاسلامية والمفردات الحضارية بشكل خاص؛ علّنا نكون قد أسهمنا ـ ولو بشكل مختصر ـ في مسيرة التفاهم الإنساني العلمي العالمي الذي بدأت طلائعه الحضارية تُشرق من إيران الإسلام، والتي تعتمد الثورة الثقافية أساساً لها، وتقف أمام الغزو الثقافي المنحرف

بوعي إسلامي أصيل انعكست لمحاته الفكرية في أمثال مشاريع «كتاب التوحيد» هذا الذي يضم بين صفحات كتبه وصدور كُتّابه باقات من الأزهار اليانعة، والأفكار الرائعة،التي نأمل أن تكون تباشير غدٍ حضاري مشرق، وأزاهير أملٍ توحيدي مُورق.

د. محمد علي الحسيني
٢٦ رجب ١٤١٦هـ

الفصل الأوّل

مدخل إلى علم اللغة الحديث

نظريات في علم اللغة الحديث

لقد اعتبر دى سوسير (عالم اللغة السويسري) أباً لعلم اللغة الحديث ورائداً له، وذلك لما أبدى وقدّم من ملاحظات منهجية حول حقيقة اللغة وطبيعتها وكيفية دراستها، كما اقترح تصنيف علم اللغة ضمن حقل أشمل منه يدرس فيه جميع أنظمة العلامات والإشارات وما يتعارف ويصطلح عليه الناس من رموز ودلالات، وأسماه: علم السيمولوجي ـ علم السمات ـ ***Semiology*** أو كما يحبذ تسميته البعض ***Semiotic systems***[1] أي علم السيموطيقا عند التعريب[2].

وقد ساهم هذا الاقتراح في تفسير كثير من الظواهر والنشاطات الاجتماعية، وساعد علىٰ تطوير العلوم الاجتماعية المعاصرة (***Modern social science***) باسلوب منهجى حتى تأثّر وأثّر ـ فى نظريته هذه ـ العالمان المعاصران له أميل دوركهايم ***Emile Durkheim*** رائد علم الاجتماع الحديث المولود سنة واحدة بعده ١٨٥٨ وسيجموند فرويد ***Sigmund Freud*** رائد علم النفس التحليلي الحديث المولود سنة واحدة قبله ١٨٥٦. وقد شكّل هؤلاء العلماء الثلاثة نظرة ونظرية ثورية واحدة أسهمت في بلورة العلوم الاجتماعية الحديثة[3] وذلك من خلال البحوث العلمية المنهجية والنظرة النظامية ***Systimatic view*** حول طبيعة الظواهر الاجتماعية علىٰ ما فيها من ملاحظات وانتقادات.

وقد توصل هؤلاء الثلاثة إلى أنَّ اللغة، والسلوك، والتقاليد والعادات، والثقافات، والأعراف وما إليها، بعض من تلك الظواهر الاجتماعية التي لم تعط فيما مضى التفسيرات العلمية الكافية، كما لم تعرف وظيفتها ومكانتها المناسبة من خلال

نظام حيويّ شامل لها.

وإنّ أهم ما امتاز به دي سوسير وصاحباه في نظراتهم ونظرياتهم الجديدة هذه هو تأكيدهم علىٰ (النظام) والنظامية في تفسير هذه الظواهر.

فاللغة عند دي سوسير: هي نظام ***Language as a system*** أو كما يعبّر عنها بعض السويسريين المحدثين نظام الأنظمة (***A system of systems***).

والنفس عند فرويد: نظام لتحليل دواخل الشخصية

Psyche: as an interpersonal system

والمجتمع عند دوركهايم: نظام التقاليد والعقائد الجامعة

The system of collective norms and beliefs

وخلاصة القول حول هذه المسألة: أنّ معرفة الظواهر الاجتماعية ومعرفة نشاط الأفراد وتجاربهم في المجتمع: لغةً وسلوكاً، وتقاليد، وعادات، وأعرافاً، ومسابقات رياضية وغيرها، ينتج عن معرفة حقيقية للأنظمة والقوانين المتعارفة التي تعطي الأحداث والأشياء معانيها

The actions are meaningful only with respect to a set of institutional conventions[٤].

ويجب اعتبار المجتمع في ضوء ذلك حقيقة ثابتة بنفسها متشكلة من مجموعة أنظمة وقوانين يمارسها الأفراد ويتفاهمون من خلالها ويتحاورون، وتكون مؤثرة تأثيراً بالغاً في سلوك الأفراد، عكس المفهوم السابق الشائع بأنَّ المجتمع وليد تصرفات الأفراد وسلوكهم.

Society was considered as a reality in itself a set of institutions or systems... enables men to perceive not just physical objects but objects with a meaning... enables them to communicate and act meaningfully[٥].

ومن خلال هذا الفهم الجديد لطبيعة اللغة، وعلىٰ أنّها أحسن مثال سيميولوجي ***Semiological*** لسائر الظواهر الاجتماعية ***Social Phenomena*** وأنّه لا يمكن ممارستها من دون مجتمع، استطاع دي سوسير أن يدقق في تحليلها وتركيبها و يبحث

حولها، حتى اعتبر أوّل من وضع أصول النظرية البنيويّة ***Structuralism***[٦] وأشاد بأعماله اللغوية عالم اللغة الأمريكي الشهير ***Leonard Bloomfield*** وصرَّح بأنَّ دي سوسير وضع أسس نظرية جديدة في الدراسات اللغوية[٧] ***a theoretic foundation to the newer trend in linguistics study.***

وكان دي سوسير قد تساءل عن حقيقة اللغة وطبيعتها وأجاب عن ذلك بعلمية ودقة حتى اشترطت هذه (العلمية) في تعريف علم اللغة الحديث.

Lingusitics: a scientific study of the language[٨].

ومن تلك الأسئلة والأجوبة:

هل اللغة مفاهيم خالصة؟

لا.

لأنّ المفاهيم غير ملفوظة وفيها جانب نفساني وعقلاني، وأنّ ما يشاهد ويحس منها في الواقع، هو الكلام وما يمثله من أصوات وعلامات.

وهل اللغة ذلك الكلام حسبُ؟

لا.

لأنّ مجموعة من الأصوات يمكن نطقها ورسمها وتكون بلا معنى، فلابدَّ من وجود مفهوم سابق لها لتكون ذات معنى[٩]. إذن؛ هذا الإرتباط بين المفهوم الفكري والصوت المنطوق ـ في رأيه ـ هو أصل اللغة وجوهرها[١٠].

وهذا الإرتباط هو الذي أحال ثنائية اللغة إلى وحدة منسجمة، أو بعبارة أُخرى ما نشاهده من وحدة لغوية هي في الأصل نتاج ثنائية متزامنة ***Simultaneous duality.***

نتاج امتزاج النظام الصوتي مع النظام الفكري.

ونتاج امتزاج الموروث اللغوي مع الكلام الحاضر.

ونتاج امتزاج النشاط الفردي في بوتقة المجتمع.

وما إلى هناك من ثنائيات لا توجد اللغة بدونها، وبعبارة مجملة: فاللغة في نظره ليست أحادية الجانب بل ثنائية من جميع الوجوه، كما عبَّر عنها مارتينه[١١] بـ ***Double***

.**Articulations**

وقد اصطلح دي سوسير علىٰ الرابطة بين الدال **Signifier** والمدلول **Signified** بالعلاقة اللغوية **Linguistic sign** أو كما يعبر عنهما بالفرنسية **Signfiant** و **signifie** وقرّر أنّ هذه العلاقة بين الدال والمدلول اصطلاحية اعتبارية ـ إن لم نقل اعتباطية ـ **Arbitrary choice** وليست علاقة طبيعية كما تحصل في نسبة ضئيلة من الكلمات التي يصطلح عليها بـ (**onomatopoeic**) وهي أقرب إلى نظرية أرسطو المخالفة تماماً لنظرية استاذه افلاطون في المقام.

كما قرر أنّ العلاقة هذه تجريدية انتزاعية **Abstract** وليست مادية فيزياوية أصلاً، إذ العلامات اللغوية ونظامها اللغوي الشامل منعكس بشكل سلبي **passive** في أذهان أصحاب اللغة وبشكل تجريدي انتزاعي، وأنّ كل متكلم وناطق بتلك العلامات يستعمل بشكل ايجابي **Active** ما يمتاز به هو من ميزات صوتية ودلالية تطبيقاً لما في ذهنه من الصور الصوتية **Sound images** والرسوم الدلالية المجردة، أي بعبارة أُخرى: وجودها كوجود النوع والأفراد تجريدي انتزاعي **members and class**.

ولذلك نجد أصحاب اللغة الواحدة يختلفون في كلامهم كل حسب خصائصه وما أُوتي من ميزات في الجهاز الصوتي، والعمر، والجنس، والثقافة، والمحيط، والقدرة علىٰ الانتخاب، وما إلى ذلك من خصائص فردية **individuals** تظهر في الكلام الذي هو بطبيعته متغير **Evolutionary** لا في اللغة التي هي بطبيعتها ثابتة: **static** ولذلك يمكن دراستها والبحث فيها وحولها.

وللتمييز بين الكلام المتغير بطبيعته **La parol** وبين اللغة المجردة الثابتة بطبيعتها: **langue** ضرب مثالاً بالمعجم اللغوي.

فالمعجم اللغوي للغةٍ ما ثابت يرجع إليه كل باحث، والمتكلم الذي يجيد لغة ما توجد في ذهنه نسخة من ذلك المعجم الثابت الذي وزّع افتراضاً علىٰ سائر أفراد تلكم اللغة، وراثياً واكتسابياً، لكنهم أثناء الكلام يمتازون كل بحسب اختياره وانتخابه من تلكم المفردات والتعابير المجردة [١٢].

ومن هنا أكد دي سوسير علىٰ أنّ علم اللغة يجب أن يُعنى بدراسة هذا الجانب

من اللغة ***La langue*** وليس الكلام ***La Parole***.

وأنَّ الدراسة اللغوية تقوم علىٰ دراسة العلامات اللغوية ونظامها التجريدي، والذي تبلور عند أصحاب النظريات بعده [١٣]، المتأثرين به، واعتبروا اللغة خير مثال لأنظمة العلامات ***Semiotic systems*** وأنّ علم اللغة: هو العلم بهذه العلامات ***science of signs*** ودراسة هذه العلامات اللغوية هي من أهم ميزات دي سوسير الأربع التي أُشير إليها في مقدمة كتابه: (حول علم اللغة العام).

وقد قرر أيضاً أننا إذا أردنا أن نعرف حقيقة اللغة وطبيعتها يجب علينا أن نتعرَّف عليها من خلال علاقاتها بسائر الأنظمة الاشارية وعلم العلامات ***Systems of signs***.

If we are to discover the true nature of language, he continued, we must consider it in relation to other systems of signs [١٤]

كما اعتبر الظواهر الاجتماعية كافة من تقاليد وآداب وثقافات وأعراف وطقوس وعقائد، وغيرها من الأساليب والسلوكيات الجماعية نوعاً من اللغات بمعناها الأوسع:

We, shall shed new light on ritual customs, and social behaviour in general by considering them as types of languages [١٥]

إنّ أفكار دي سوسير وملاحظاته حول علم اللغة الحديث ونظريته حول علم السيمولوجي ***Semiology*** بشكل عام لم تقدّر حق قدرها في زمانه، وقد بدأ الاهتمام بها بعد وفاته، ولا سيما حين لفت الأنظار إليها شيخ البنيوية وعلم الانثروبولوجي كلود ليفي شتراوس ***Claude Levi Strauss*** بعد نشر مقالته الشهيرة ***Structural Analysis in Linguistics and Anthropology*** بخمسة عشر عاماً، عندما وقف في الحفل التكريمي الذي أقيم علىٰ شرف دي سوسير في كولج دي فرانس ***College de France*** ليقول: «لقد عرّف دي سوسير علم الانثروبولوجي كأحسن ما يكون من خلال وصفه لمستقبل علم السيمولوجي، وهكذا يجب تطبيقه واتّباعه» [١٦].

كما أنَّ نظرية جومسكي ***Chomsky*** عالم اللغة الأمريكي المعاصر، والتي تعتبر

ثورة في علم اللغة الحديث مدينة بالشيء الكثير إلى نظرية دي سوسير ومتممة لها ومكملة لبعض نقائصها.

ولتوضيح تأثير جومسكي بدي سوسير نرى أن نعرض للمقولة الثانية من مقولاته الأربع، وهي تمييزه بين نظامي اللغة: التجريدي والتطبيق. أي بعبارة أُخرى، تمييزه بين ما أسماه ***La Langue*** اللغة: ذلك النظام التجريدي الحاصل في الذهن من مجموعة القوانين والقواعد اللغوية الموروثة ***inherited*** والمنتزعة من الظواهر الاجتماعية والعقل الجمعي ***collective mind*** وبين ما أسماه ***La parole*** الكلام: ذلك النظام الفردي الذي يشمل (النطق والكتابة) في تطبيقها الواقعي المنتخب من ذلك النظام التجريدي في بعديْ (الزمكان): الزمان كأصوات دالة والمكان كرسوم مؤشرة ***Linear***.

وعلىٰ من يريد معرفة لغةٍ ما، أن يتقن ذلك النظام التجريدي الانتزاعي ويلمّ بطبيعته وقوانينه، وليس أن يتكلم عدّة جمل منها، بل الواقع أن يكون قادراً علىٰ تكوين جمل جديدة، وأن يفهم جملاً جديدة إذا سمعها لأوّل مرّة.

وهذا ما بلوره فيما بعد جومسكي بمصطلح القواعدية ***Grammaticality*** والتي تفيد بأنّ معرفة قواعد محدودة من لغةٍ ما بشكل متقن يساعد علىٰ انتاج وتكوين جمل غير محدودة من تلك اللغة وهذا ما عبّر عنه بالكفاءة والقدرة اللغوية في الانسان ***Competence*** التي يمثلها العقل البشري، والتي تميّزه عن الحيوان والآلة، وحتى عن أرقى عقل آلي الكتروني ***Advanced Computer*** وهي كامنة في التركيب العمق للمفاهيم ***deep structure*** وتظهر علىٰ التركيب السطحي[١٧] ***surface structure*** أشكال الأداء والتعابير المختلفة ***performance*** حسب اختلاف الأفراد المتكلمين وقدراتهم، عبر سلسلة من التحويلات والتوليدات (الجومسكية) التي تكفّلت ببيانها نظريته المعروفة بـ ***Transformational Generative Grammar***.

والتي يرمز إليها اختصاراً (***T.G.G***) أو (***T.G***).

The fact that anyone who has learned a language can recognize wether a sentence he has never before encountered is formed in accordance with the rules of the language and can himself produce

new sentences which accord with the grammar, is sufficient indication that the sentence must be considered an entity of the system linguistic [١٨]

وهذه هي حقيقة الخلاقية ***Creativity*** في الفرد المتكلم التي اصطلح عليها جومسكي.

وانّ المقولة الثالثة التي امتاز بها دي سوسير في ملاحظاته حول النظرية اللغوية ومنهج دراسة اللغة هو تمييزه المنهجي بين الوحدات اللغوية ***Linguistic units*** وأسلوب البحث فيها، وذلك إمّا من خلال منظور تاريخي متطور متغير ***Diachronic*** ومن خلال منظور موقوت ثابت معاصر ***Synchronic*** وفي ضوء كل منهج من هذين المنهجين نستطيع تحديد قيم الوحدات اللغوية ووظائفها ***Their value and function*** .

وعلىٰ الرغم من تأكيده علىٰ ضرورة اتخاذ المنهج الوصفي ***Discriptive Method*** في دراسة اللغة في وقت محدد، ولا سيما المعاصر؛ لم يرفض المنهج التاريخي الذي يصف تطور الوحدات اللغوية وتغير دلالاتها، لكنه يوجب الفصل بين المنهجين والحذر من الخلط بينهما. ويضرب علىٰ ذلك مثال الوحدة اللغوية الفرنسية الآتي ***pas*** (***step***) التي تعني الخطوة أو القدم في بعض دلالاتها التاريخية؛ لكنها تستعمل في الوقت الحاضر بأسلوب ظرفي منفي: يساعد علىٰ إعطاء المعنى السلبي في الجملة؛ كقولك ***Je ne pas sais*** أي لا أعلم، ولا علاقة لها بالدلالة التاريخية اللغوية الأولى.

ولذلك قرر أنّ القيم اللغوية تُحدّد بحسب مكانتها في النظام اللغوي المعاصر لا بحسب دلالتها التاريخية [١٩]، نعم يمكن الإفادة من الدلالات التاريخية وتطور معاني المفردات في ميدان البحوث الايثمولوجية ***Etymological studies*** وبما أنّ تحديد القيم اللغوية يتم في ضوء الأطر الاجتماعية، لذلك أكد علىٰ إعطاء التوجه إلى دراسة اللغة في ضوء المنظور الاستاتيكي ***Static view*** الثابت في زمان معين، لا المنظور التاريخي المتطور ***evolutionary*** ولا بُدَّ من التحدث عن الظواهر اللغوية حسب أحد المنظورين أو المنهجين المشار إليهما دون خلط بينهما عند لزوم الأمر، وكمثال علىٰ ذلك في باب دراسة الأصوات اللغوية وتغييراتها، لابُدَّ أن يكون المنهج منهجاً تاريخياً، ذلك أنَّ

الأصوات تتغير حسب نظام خاص وفي ضوء قوانين صوتية معروفة تتحكم في كلّ اللغات دون إرادة أصحابها ولها مسير معين في التغير والتطور، ففي الانكليزية مثلاً كلمة **Stan** تطورت إلى كلمة **Stone** الحديثة دون وعي من أبنائها في خلال العصور والأجيال المتعاقبة [٢٠].

والمقولة الرابعة التي أتحف بها دي سوسير علم اللغة الحديث وساعد علىٰ بناء نظرياته وتطورها هي نظرته إلى العلامات اللغوية علىٰ أساس شكلي **formal** أو بنائي تركيبي **structural** لا علىٰ أساس ذاتي مادي **Substancial** وأنّ تحليل العلامات اللغوية وتعريفها يتم عن طريق التعريف السلبي **differential terms** لا الايجابي **positive terms** ومن جملة عباراته الشهيرة أنّ اللغة عبارة عن فروقات **Differences** في كل مستوياتها التركيبية البنيوية: صوتية كانت أو صرفية أو نحوية أو دلالية.

ومثالها الصوتي: أنَّ الصوت (*t*) في أحسن تعاريفه هو ليس الصوت (*l*) و (*f*) و (*b*) و (*i*) و (*k*) وما شاكل.

وأنّ دلالة القطار الذي يطلق عليه قطار الثامنة والخامسة والعشرين دقيقة هو. ليس الوجود المادي وما يتكون منه، بل بالنسبة إلى علاقته بسائر القطارات التي تتحرك قبله أو بعده. إذ هو ليس هي. فقد تتبدل الماكنة أو العربات، أو المشرفون علىٰ سياقته وإدارته، أو حتى قد يتقدم الوقت أو يتأخر قليلاً أو كثيراً، لكنه يبقى ذلك القطار نفسه بالنسبة إلى علاقته بسائر القطارات التي تكون قبله أو بعده متميزاً عنها، لأنّه ليس هي [٢١].

وهذا ما يظهر في تفريع آخر هذه المسألة، وهو رأي دي سوسير حول العلاقات **Relations** من خلال الوحدات اللغوية بالنسبة إلى تتابعها وارتباطها مع الوحدات اللغوية الأُخرى **Syntagmatic** داخل الكلام المنطوق، ومن خلال التداعي **Associative** أو التبادل التقابلي في الذهن **Paradigmatic** أو **Contrastive** بين الوحدات التي يمكن تبديلها في اطار من منظومة **Set** معينة من الكلمات أو الأصوات، وكمثال علىٰ ذلك، الصوت (*p*) الذي يمكن تعريفه عن طريق تقابله مع الأصوات التي تحل محله في المنظومة (*-et*) مثل (*pet* و *bet* و *met* و *let* و *net*) الخ [٢٢] كما يمكن وصفه بأنّه

يشكل كلمات أو وحدات لغوية دالة عند ارتباطه بأصوات أُخرى غيره؛ ويشكل معها علاقات معينة شريطة أن تتقبلها اللغة الانجليزية، أو اللغة المبحوثة، وهكذا القول في سائر الأصوات واللغات.

الشعر وعلم اللغة الحديث

انّ البحث في لغة الشعر وبنيويته الموسيقية بحث ملذ ممتع من ناحية، وخطير جادّ من ناحية أُخرى، ملذّ لأنّه يتصل بجماليات الفنون عامة **Aesthetics**[٢٣] و بجماليات الفنون الأدبية خاصة؛ وفن الشعر من أجملها. خطير لأنّه بحث يتصل بالتراث وتقويمه، وبالنسبة للعرب بالذات، الشعر ـ كما قيل عنه ـ ديوان العرب، وإذا وصفت الأمة العربية بشيء فهي أمّة شاعرة.

والباحث أمام مسيرة تراثية فنية ضخمة، وأمام كشف علمي بنيوي موسيقي وجد على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد اكتملت أو تكاملت نظرياته واصطلاحاته أو كادت عندهم. وأمام دراسات ونظريات جديدة تتصل بعلم الصوتيات العام ***Phonetics*** تفسر إيقاع الشعر وموسيقاه تفسيراً بنيوياً يتصل بوجود الإنسان الفردي والجماعي وتركيبه العقلي والنفسي والفلسفي والوظيفي.

والبحث خطير أيضاً لأنّه يتصل باللغة وبنيتها بشكل عامّ، ونحن أمام دراسات ونظريات حديثة ما زالت تنمو وتتفرع، وتتصل بكل العلوم والفنون ولا سيما الحديثة منها، وقد أطلق عليها اسم اللغويات ***Linguistics*** أو اللسانيات أو علم اللغة الحديث. و خطير لأنّه يتصل بالبنيوية ***Structuralism*** كمنهج ونظر، وبمفهومها الأوسع كتركيب وتحليل فلسفي يتعدى الحقل اللغوي إلى سائر حقول العلم والمعرفة، بحثاً عن الأساسيات والمكونات الأولية، أو المؤلّفات المباشرة بطريقة تحليلية معينة تدعى ***I.C. Analyses*** في مضمار الأنسقة والأنظمة والقوانين الكلية التي تحكم تلك العناصر والموضوعات المتشابكة، ومن هنا جاء تحذير شيخ البنيويين المعاصرين «ليفي اشتراوس» من خطر الالتباس «فاشترط ـ كمقدمة ضرورية بكل خطوة بنيوية يتخذها الباحث ـ أن يقوم أوّلاً وقبل كل شيء بعملية تحديد دقيق للموضوع الذي

يريد إخضاعه لمثل هذا التحليل. وأمّا «ألتوسير» فقد كان أكثر صرامة لأنّه أوجب بادئ ذي بدء إدخال الموضوع في إطار مجاله الاشكالي؛ أعني داخل ذلك «النسق» الفكري الذي يسمح ببناء مفهومه»[٢٤].

لذا قام هذا البحث على هذه المقدمة الوجيزة أوّلاً، وعلى محاور ثلاثة ثانياً، تناول المحور الأوّل الجانب العروضي من جهة تراثية، وتناول المحور الثاني بنية الشعر الموسيقية من وجهة علم الصوتيات العام، أمّا المحور الثالث فقد تناول لغة الشعر من وجهة النقد الأدبي والنظريات اللغوية الحديثة.

١ـ المحور الأوّل:

لمحة عروضية تراثية:

لكل أمّة من الأمم موسيقى لغوية متوارثة، نشأت من طبيعة ظروفها وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية، ومن طبيعة صراعاتها ومحاولة احتكاكها ومحاكاتها للطبيعة، وهي تعبر عن الصفات العقلية والنفسية[٢٥] لكل شعب من الشعوب.

وقد اعتادت هذه الأمة أو تلك جرساً من الألفاظ خاصاً، وانسجاماً في مقاطع مفرداتها وتراكيبها متميزاً. وسارت على قواعد وأصول في لغتها حقباً متطاولة متطورة، حسب ما يستجدّ لها من حاجات ويحصل لها من احتكاك بلغات الأمم الأخرى، غير مبتعدة عن الصميم والجوهر.

ولكل أمّة أيضاً، أشعار متميّزة، وأوزان من الشعر خاصة، متقوّمة بتلك الموسيقى، وقائمة على إحساسها الفني بلغتها وتعابيرها، تلذ بسماعها وتطرب لإنشادها، وعلى هذا النمط من الحياة يجري الخلف تابعاً السلف. «وحين نستعرض ما درجت عليه الشعوب من أوزان وقواف لأشعارها، وما ألفوه من نظام لتلك الأوزان والقوافي نلحظ أنّ التجديد فيها نادر، وأنّ تطوّرها بطيء جداً»[٢٦].

ومن الصعب جداً أن تتطور بسرعة آذان الشعوب وتعتاد موسيقى جديدة ـ هي كالطفرة ـ تراد لها دون أن تريدها هي طواعية واستجابة لظروفها المتطورة وصراعاتها المستجدة.

ودليلنا على ذلك كله موسيقى الشعر العربي منذ نشأته الموغلة في القدم وحتى عصرنا الحديث فلم تمس بالجوهر، ولم تفقد الأصالة الايقاعية المتوارثة.

وقد حدث أن درس الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ ﻫ) أوزان الشعر العربي وقوافيه، واستقراها استقراءاً، خرج هو وتلاميذه بنتائج علمية ثابتة في عصر بدأ العرب فيه تسجيل علومهم وتدوين آثارهم، ووضع الكتب العلمية بشكلها الصحيح في لغتهم.

واتّجه الخليل إلى وضع قواعد في أوزان الشعر وقوافيه، كما اتجه إلى وضع قواعد في مفردات العربية وأصواتها، وبنية اللغة وتراكيبها، فكان كتاب العين وكتاب العروض، وكتاب الإيقاع، وكتاب النَغَم، وهي أعمال أدبية لغوية بكر، كان الخليل فيها رائد الموسيقى وعلم العروض والقوافي، ورائد الحركة المعجمية في ميدان اللغة والأصوات [٢٧]

وقد أحصى الخليل الأوزان الشعرية فكانت خمسة عشر بحراً [٢٨] فأسمى كل وزن بالبحر لمشابهته له في سعته، واستيعابه لكل ما ينظم عليه من معان وأخيلة دون نفاد، كما أسمى هذه القواعد في أوزان الشعر بعلم العروض لأنّه يعرض عليه الشعر فيعرف صحيح الوزن من سقيمه، أو أنّه ألهمه في مكة المكرمة التي من أسمائها العروض؛ لآعتراضها في وسط البلاد، أو أنّه اسم لعُمَان التي كان يقيم فيها الخليل [٢٩]. أو أنّه اسم للجمل الذي هو سفينة الصحراء وجمالها، أو أنّه الخشبة العارضة في الخيمة.

وعلى بيت الشَعر ـ بفتح الشين ـ قام بيت الشِعر ـ بكسر الشين ـ في كثير من معانيه ومصطلحاته ورموزه، وبقي عروض الخليل يدرس عبر الأزمنة والأمكنة المختلفة دون أن يزيد عليه الدارسون شيئاً يذكر، اللهم إلّا في مسائل جزئية، تكاد تكون استنباطاً من هذا العلم الذي وضعه الخليل متكاملاً تقريباً أو استدراكاً عليه في وزن مستخرج أو قافية متصيّدة.

ولصعوبة هذا العلم، وحاجته إلى مؤهلات الذكاء والفطنة، والأذن الموسيقية ولكثرة مصطلحاته ورموزه، كاد يعافه حتى الشعراء والمتأدّبون، والنقّاد الذين لا يمكنهم الحكم على الشعر العربي إلّا بعد الوقوف على مسائله، والإلمام بأصوله

وقواعده، ولا يكادون يلجأون إليه إلّا في مناسبة حوار أو جدال، ليكون فيصلاً وحكماً.

والحركات الشعرية المتجددة في الأوزان والقوافي، سواء منها ما تبنته العامة كالمواليا، والكان وكان، والقوما، والسلسلة، والزجل، وما اليها، أو ما كان معرّباً كالدوبيت، أو ما أبدع فيه أهل القريض كالمزدوجات والمثلّثات والمربعات الاعتيادية، والمخمّسات والمسدّسات، والمسمّطات والموشّحات بأنواعها القديمة والحديثة، وحركة البند، وحركة الشعر الحر، حديثاً، لم تكد تمس جوهره ولم تخرج عن أصوله وقواعده إلاّ توهماً من الواهمين أو جهلاً من الجاهلين [٣٠].

ونحن لا نوافق الرأي القائل بأنّ حركة الشعر الحرّ بدعة، بل هي إبداع رائع ما دامت خاضعة لهذه الوحدة الايقاعية، وسائر مقومات الشعر الأصيلة.

إنَّ الوحدة القياسية التي أفادها الخليل من الميزان الصرفي بتصرف هي التفعيلة وهي الوحدة النَغَمية الأساس التي يقوم عليها ميزان الشعر العربي عموماً، وهذه التفعيلة متكونة من جزئين رئيسيين هما: السبب والوتد، وهما أساس في كل تفعيلة من التفعيلات الثماني التي يقوم على إيقاعها بناء الشعر العربي، والتي تدخلها الزحافات والعلل المعروفة في علم العروض.

وقد أصبح علم العروض من علوم العربية التي لا يمكن لدارسيها الاستغناء عنه من نواحي شتى:

فمن الناحية التاريخية: هو فرع من فروع اللغة العربية وداخل في جملة علومها وفنونها.

ومن الناحية النقدية: يحتاج إليه كل ناقد ودارس للشعر العربي وأوزانه قديماً وحديثاً، ليستطيع ـ كما ألمحنا ـ الحكم له أو عليه، أو النظر في إدخال نتاج فيه أو إخراجه منه في ميدان المعارك الشعرية.

ومن الناحية الأدبية: يحتاج إليه كل شاعر يريد أن يتمكن من صنعته ويسلم من الهفوات الموسيقية التي تعرض له أو يتعرّض هو لها.

ومن الناحية التحقيقية: يحتاج إليه كل محقّق ومشتغل بالتراث وأدواته، إذ لا

يمكن لناشر ـ يريد أن يتّبع أصول النشر العلمي والتحقيق ـ أن يجرؤ على نشر ديوان أو كتاب مخطوط ترد فيه أشعار دون الوقوف على أصول هذا العلم ودقـائقه، وكـم يساعد اتقانه في تصحيح خطأ أو تحقيق تصحيف.

وهنا لا يتسع المجال لتعداد النواحي التي يحتاج فيها إلى هذا العلم الذي بدأ علم اللغة الحديث يوليه اهتماماً وعناية فائقين اضافة إلى كونه زينة وكمالاً.

والذي أُريد أن أعرض له في هذه اللمحة التراثـية هـو دقّـة المـصطلحات العروضية التي وضعها الخليل، وظِلال دلالاتها اللغوية والايقاعية في أصل الوضع، فقد كان مرهف الحس لغة وإيقاعاً، وإبداعاً في هـذا الفـن خـاصّة، إذ اسـتطاع أن يستقري الشعر العربي حتى عصره ويخرج بملاحظات ذكية دقيقة من حيث القوافي وعدد الأوزان.

وحصر كل مجموعة منها في دائرة موسيقية تدور تـلكم البـحور في فـلكها وتنساب في محيطها، كما وضع لكل دائرة وبحر مصطلحاً دقيقاً يدل ـ غـالباً ـ دلالة لغوية وإيقاعية على مبناه ومعناه تسهيلاً للحفظ والتعلّم [٣١].

فقد أسمى الدائرة الأولى من دوائره الخمس المستنبطة بـالمختلف لاخـتلاف تفعيلاتها، وتشكّل كل اثنتين منها ـ سباعية وخماسية ـ وحدة نَغَمية متكررة بـعدد معين ينتهي بقافية (مقفوّة) في نهايات الأبيات، وتنسحب هذه الدائرة على ثلاثة بحور هي الطويل: القائم على فعولن مفاعيلن، والمـديد: القـائم عـلى فـاعلاتن فـاعلن، والبسيط: القائم على مستفعلن فاعلن.

والملاحظ في مصطلحات هذه البحور أنّها على وزن واحد هو فعيل، وفي هذه البنية الصرفية تلعب الياء دوراً معبّراً غاية التـعبير عـن (طـول) هـذه البـحور و (انبساطها) و (مدِّها)، من حيث عدد الحروف وعلاقة الأسباب بالأوتاد كماً وكيفاً، اضافة إلى أنّ كل بحر منها يتكون من ثماني تفعيلات في أصل الدائرة وهو العدد التام الذي تنقص عنه كثير من البحور في بقيّة الدوائر.

وأسمى الدائرة الثانية بالمؤتلف (لائتلاف) تفعيلات بحريها شكـلاً، وإيـقاعاً بتكرار متفاعلن ستّاً في (الكامل) ومفاعلتن ستّاً في (الوافر) كما يلاحظ وحدة الصيغة

(فاعل) في التسمية، إضافة إلى الدلالة اللغوية في وفرة هذا وكمال ذاك من حيث الحركات في الأجزاء، إذ هما الوحيدان اللذان يمتلكان السبب الثقيل مثل: لَكَ وبِكَ ـ بحركتين متتاليتين ـ مع وجود السبب الخفيف والوتد المجموع وهو ما هو من الجرس والايقاع!

وأسمي الدائرة الثالثة بالمجتلب؛ وهي التي تحدث (جلبة) وايقاعاً راقصاً يدل على الحركة والاضطراب في بحورها كافة، كما تلاحظ تسمية بحورها بصيغة واحدة هي (فَعَلَ) بثلاث حركات لتدل على (الهَزَج) و (الرَجَز) و (الرَمَل) لغة وجرساً، مع انسجام في تفعيلاتها السباعية مستفعلن ومفاعيلن وفاعلاتن كماً وكيفاً في أصل الدائرة، إذ هي ستّ في كل بحر أصلاً، ومتكوّنة من سببين خفيفين ووتد مجموع واحد. وكذلك يقال عن الدائرة الرابعة، وهي أكثر الدوائر بحوراً، إذ أسماها بالمشتبه إمّا (لتشابه) بحورها وزناً وإيقاعاً وإمّا لاشتباه بعضها مع بعض. وكثيراً ما يؤدي التشابه بين الأشياء إلى الاشتباه، حتى يعسر على المتعلِّم ضبطها وحدُّها، إلاّ على من أُوتي أذناً موسيقية وحساً مرهفاً، فيستطيع عند ذاك أن يميز بينها ويتمتع بحلاوة جرسها، ولا سيما المجزوءات منها، وهي الثلاثة الأخيرة: المضارع، والمقتضب، والمجتث، المتفرعة من الخفيف والمنسرح مضافاً إليهما السريع وهو أوّلها، وهي وإن تحامل كثير من الباحثين والدارسين عليها، وأنكر بعض العروضيين وجود قسم منها، واقترح بعضهم دمج بعضها، فلا تكاد تفقد الشحنة الايقاعية الراكضة الراقصة، ولعل مرجع هذا كله هو وجود التشابه بين موسيقاها الذي قد يؤدي ـ كما ذكرنا ـ إلى الإشتباه بينها.

ونحن حين ندرك سر تسمية الخليل لهذه الدائرة بالمشتبه ندرك أيضاً سر تسمية المضارع وهو في اللغة المشابه والمماثل فلابُدَّ أنّه (ضارع) بعض بحور هذه الدائرة. ولدى التحقيق نجد أنّه ضارع المجتث، والمجتث مجزوء الرجز مقلوباً أي اجتث تفعيلته الأُولى من الخفيف، وعند إصابة مستفعلن بالخبن تصبح متفعلن وهي على وزن مفاعلن التي تنتهي إليها تفعيلة المضارع مفاعلين بعد القبض، وبذلك يكون إيقاعهما واحداً:

مــــفاعلن فــاعلات　　　　مــــفاعلن فــاعلات

وأسمى المقتضب مقتضباً، لأنّه (اقتضب) من المنسرح بحذف تفعيلته الأولى وإذا رجعنا إلى تسمية البحور الأصلية الثلاثة الأولى في هذه الدائرة وهي السريع والمنسرح والخفيف، لرأيناها تتفق في هذه الدلالة على السرعة والانسراح والخفّة لغة، إضافة إلى اتفاقها في عدد التفعيلات الستّ أصلاً واشتراك بعضها في الصيغة ايقاعاً.

وهذه الملاحظات الدقيقة حول أسماء الدوائر والبحور السابقة تقودنا إلى القول عن الدائرة الخامسة (المتّفق) بما قاله استاذنا الدكتور المخزومي من أنّها ـ ببحريها ـ من وضع الخليل واكتشافه، إذ أنّهما متفقان في عدد التفعيلات الثماني في أصل الدائرة ومتفقان بأنّ تفعيلاتهما خماسيتان، إضافة إلى وحدة الصيغة متفاعلن في أشهر التسميات، فلابُدَّ أن يكونا من واضع واحد، وأنّ الذي اكتشف تلك الدوائر واستنبط منها تلكم البحور عن طريق (الفكّ) هو مكتشفهما، لاتفاق الوحدات النغمية عدداً وإيقاعاً، فكلا فعولن وفاعلن متكونان من سبب خفيف ووتد مجموع، وبتقديم أو تأخير أيّ سبب أو وتد في كلّ منهما تصل إلى الايقاع نفسه في التفعيلة الأخرى: (علن فا) أو (لن فعو) = فعولن أو فاعلن.

والغريب في المقام أنَّ هذه المصطلحات ودقّتها المتناهية تتعدى هذا الجانب إلى الزحافات والعلل، بل إلى القافية أيضاً. فمثلاً نجد إيقاع (تشعيث) هو (فالاتن): وهو قطع رأس الوتد المجموع المتوسط، وهو علة جارية مجرى الزحاف، وبه تصبح فاعلاتن فالاتن ويوجد في الخفيف والرمل.

وإيقاعُ الضرب (المقطوع) هو (مستفعل) والقطع هو حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله، وبه تصبح مستفعلن مستفعل ويوجد في البسيط والرجز وغيرهما.

وإيقاع عروض (المنسرح) وضربه (مستعلن)، والعجيب أنّ عروض المنسرح وضربه يجب فيهما الطي وهو حذف الرابع الساكن وبه تصبح مستفعلن مستعلن، ويوجد في الرجز والبسيط والسريع، لكنه في عروض المنسرح وضربه واجب. (وعلى هذه فقس ما سواها).

وانّ هذه النظرة إلى هذه المصطلحات والرموز تذكرنا بالنظرية اللغوية المعروفة التي تربط المعاني بالألفاظ أو الأحداث بالأصوات أو المدلول ربطاً طبيعياً والتي تدعى ***Onomatopoeic*** وهي متمثلة باللغة العربية وعلمائها أكثر من غيرها، ولاسيما عند ابن جني في خصائصه، وابن فارس في مقاييسه ومن حذا حذو هذه المدرسة اللغوية.

٢ـالمحور الثاني:

بنية الشعر الموسيقية وعلم الصوتيات العام [٣٢]:

من الحقائق التي يقررها علم الصوتيات العام ***Phonetics*** ـ وربما نغفل عنها لبداهتها ـ أنّ الأجهزة الصوتية في الانسان لا تقوم بوظيفة التصويت وحدها، بل هي أجهزة تقوم بأكثر من وظيفة، ويمكن لهذه الوظائف أن تكون متداخلة متخللة، لكنها ليست متزامنة بالمعنى الدقيق ـ أي ليست موجودة في لحظة واحدة ـ كوظيفة الأكل والشرب والتنفُّس وما إليها.

ويستطيع الانسان أن يتكلم في أثناء عملية الأكل، لكنّه لا يستطيع أن ينطق وفي فمه ماء. ولا بُدَّ له من التنفس في أثناء عملية النطق إذ لا يستطيع أن يتكلم إلاّ في حالة إخراج الهواء من الرئتين حسب. حيث لا يمكن أن تحدث أصوات من دون هواء أو حيِّز ينتقل فيه التذبذب والموجات الصوتية، كما هو ثابت علمياً في الأجهزة الصوتية المفرَّغة من الهواء.

ومن هذه الحقائق أيضاً أنّ جميع لغات البشر تكون من أصوات ومقاطع صوتية أثناء عملية الزفير ـ كما ألمعنا ـ وليست أثناء عملية الشهيق، ونادرة جداً تلك اللغات التي تستخدم بعض الأصوات الشهيقية لتؤدي وظيفة لغوية.

وبما أنّ عملية التنفس عملية ميكانيكية، أي قهرية وليست اختيارية، وانّها متناوبة منظمة ومتشابهة عند جميع الناس، كانت الأصوات اللغوية وأنظمتها متشابهة ومتقاربة ـ وإن كانت متميِّزة بعضها من بعض ـ في جميع اللغات.

ولما كان الانسان لا يستطيع أن يخرج أصواتاً مستمرة دون انقطاع ودون

توقّف ولو للحظات لتتم عملية التنفّس المتناوبة في الصدر شهيقاً وزفيراً، كان الفاصل الزمني الذي يعتمد النبر النبضي (**Stress – Pulse**) أو الذي يعتمد تقلص عضلات الصدر وانبساطها المنظم **System of chest pulses**) أشبه ما يكون بالفاصل الموسيقي. والمدد المتعينة بين الضربات هي التي تقوم بدورها الوظيفي في عملية الموسيقى وهي جزء منها، وإنّ نغم الكلام وإيقاعه هو نغم هذين النظامين وإيقاعهما المتحد في الذهن. وإنَّ هذا الإيقاع اللغوي محسوس في عضلات الانسان وأعصابه المختصّة في جهاز النطق حتى في أثناء القراءة الصامتة أو النوم عندما يتكلّم في حُلم، أو الاستماع للغة يعرفها.

ومن هنا جاءت البنية اللغوية بشكلها الطبيعي بنية مموسقة قهرية في جميع اللغات، وذات اختيار نسبي متميّز، هو الذي يميز أصوات بعضها من بعض تبعاً لاختلاف المحيط والمجموعات البشرية ذات التقاليد والقواعد اللغوية الخاصة، وينقسم نظام أصوات هذه اللغات إلى قسمين رئيسين؛أحدهما يعتمد نظام النبر الموقوت **Stress + timed system** وثانيهما يعتمد النظام المقطعي الموقوت ÷ **Syllable timed system** وهذه الموسيقى اللغوية تشمل كل أنواع الفنون الكلامية التي تتفرع من القسمين الرئيسين: الشعر والنثر، أي أنّ للشعر موسقاه اللغوية الخاصة وللنثر موسيقاه النثرية المفردة، وكلاهما يخضع للموسيقى اللغوية العامة، ولنظام الأصوات العام الذي يحصل عند الانسان بشكل متقطّع متناوب، أثناء عملية الشهيق المحدودة الزمن المتبوعة بعملية الزفير المحدودة الزمن أيضاً، وعلى هذا النظام الميكانيكي الطبيعي تقوم بنية الموسيقى اللغوية التي تشمل كل فنون الكلام الشعري والنثري.

انّ الذي يميّز بنية الموسيقى الشعرية هو كونها موسيقى تقوم على نظام أبيات: **Lines** متكونة من وحدات أساسية **Feet** قائمة على نظام مقاطع **Syllables** مؤلفة ـ بمجموعها المتناغم ـ القصيدة **Poem** في الشعر الكلاسيكي وفي أغلب اللغات، ونمثل هنا لبعض اللغات الشرقية بالعربية والعبرية والفارسية، ولبعض اللغات الغربية القديمة بالاغريقية واللاتينية، فأشعارها جميعاً قائمة على هذه الموسيقى ذات المقاطع القصيرة والطويلة غالباً ومنها إلى التفاعيل، فالأبيات، فالقصائد، فالدواوين.

والذي يميز بنية الشعر الحديث ***Free Verse*** موسيقياً عن تلك الكلاسيكية هو محاولة التحلل والتحرر من نظام الأبيات والقوافي الصارم أي من نظام التفعيلات المحدودة ومن نظام القوافي المتوقعة، وبعبارة أُخرى أنّها تقوم لدى التحليل على أساسيات إيقاعية متكررة، ذات وحدات موسيقية متكونة من مقاطع غير متوقعة العدد في الأبيات، وذات قواف غير متوقعة المجيء في المكان.

وبكلام قد يكون مستفزّاً: إنّ البنية الموسيقية في الشعر الحديث هي: (موزونة مقفاة) أيضاً، غير أنَّ هذا الوزن غير محدود التفعيلات والمقاطع، والأبيات المقفاة موجودة لكنها لا تأتي كما كانت متوقَّعة المكان في الشعر القديم، بل تبعاً لنوعية التجربة والإيقاع النفسي الجديد.

وفي ضوء ما تقدم من تقسيم للموسيقى الكلامية في جميع اللغات إلى قسمين أساسيين، لابُدَّ من ضرب بعض الأمثلة لها: فالموسيقى اللغوية التي تعتمد المقاطع ***Syllabic Language*** دون نبر توجد في العربية والفارسية والفرنسية وما اليها، والموسيقى اللغوية التي تعتمد االمقاطع المنبورة ***Language of Stress*** توجد في الانجليزية ولا يعني هذا أنّ اللغة المنبورة لا تعتمد النظام المقطعي نهائياً، بل هي تعتمد نبر مقاطع تراها مهمة في أداء الوظيفة الكلامية وتوصيل الرسالة المنطوقة، كما نلاحظها في كيفية قراءة شعر شكسبير الآتي، التي تعطي حتى للوقف نبرة ذات وظيفة في بحر الأيامبيك ***Iambic*** ويرمز لها (٨).

To be or not to be that is the question of man's first disobedience and the be fruit

وكذلك الأمر في اللغة التي تعتمد المقاطع أو النظام المقطعي، انّها ليست عديمة النبر نهائياً، بل هي لا تعطيه هذا الوزن والأهمية في أداء الرسالة، فالفرنسية ليست منبورة مثلاً، إلّا أنّها إذا نبرت فتوقع النبر على آخر المقاطع غالباً، بعكس الانكليزية التي تنبر دائماً وتوقعه على أوائل المقاطع غالباً.

ومن هنا يرى اللغويون والأصواتيون المعاصرون علاقة الشعر بعلم الأصوات العام ولابُدَّ من ربط علم العروض (***prosody***) بعلم الصوتيات الحديث، إذ أنَّ من وظيفة الأصواتي أن يدرس الأصوات اللغوية المتميزة في كل لغة، والتي منها

نظام الأصوات في لغة الشعر ونظام الأصوات في لغة النثر.

وهكذا أكد آبر كرومبي في مقدمة دراسته للتراكيب الشعرية، هذه العلاقة، وقال ما مؤداه: إني حين أربط الدراسات العروضية ***prosody*** بالدراسات الصوتية ***Phonetic*** لا أربطها على أساس من الهواية والولع، وإنّما على أساس علمي موضوعي، وأرى أنّها من واجب علم الأصوات، إذ أنّ بنية الشعر الايقاعية، خاص من عام، وهي اللغة عموماً. وبما أنّ لكل لغة نظام أصوات متميزاً بها، تألفه آذان تلك المجموعة البشرية، وتطرب لسماعه وتلذ بحديثه وترتاح له نفسيّتها، فكذلك إيقاع شعر كل لغة، ونغمه مستوحى من ذلك النغم اللغوي العام، والموسيقى اللغوية التي تميّز هذه عن تلك، على الرغم من وجود الروابط الموسيقية واللغوية التي تربط لغات البشر جميعاً ـ كما ألمعنا سابقاً ـ بحسٍّ نغميّ مشترك وإيقاع دلالي عامّ، وبنية لغوية شاملة، تبنتها النظرية الحديثة، التي تعرف بالعالمية والكونية ***Universality***.

كما أكد آبرو كرومبي هذه العلاقة أيضاً باسلوب آخر في كتابه (مبادئ علم الأصوات العام) وقال ما مضمونه: إنّ نغم الكلام اليومي المسموع هو الأساس الذي يقوم عليه إيقاع الشعر المنظوم في جُلِّ اللغات.

وهكذا نلاحظ تقصير بعض العروضيين المحدثين الذين لم يهتموا بعلم أصوات اللغة العام، الذي هو شامل لموضوعهم، وتقصير بعض الأصواتيين الذين أولوا عنايتهم بعلم الأصوات غافلين عن دراسة علم العروض وموسيقى الشعر التي هي جزء من موضوعهم.

وإنّما نقول بعض المحدثين، لأنّنا نلاحظ في تاريخنا اللغوي أعلاماً وعلماء لغويين قد اهتموا بالدراسات العروضية، إضافة إلى دراسات اللغة ومفرداتها وتركيبها الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، وعلى رأسهم أصحاب المدارس المعجمية الرئيسة الثلاثة، وهم: الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) واضع علم العروض ومعجم العين القائم على نظام الأصوات. والجوهري (ت ٢٩٨ هـ) صاحب كتاب في العروض ومعجم الصحاح القائم على نظام القافية، والزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) صاحب القسطاس المستقيم في العروض ومعجم الهجائية الاعتيادية في أساس البلاغة.

ولابُدَّ لنا ونحن نأتي على نهاية الحديث عن هذا المحور من أن نلاحظ ما يأتي: هو أنّنا لم نتطرق إلى معاني الشعر ودلالاته اللغوية والبلاغية الأساسية التي تخص علم المعاني والدلالات العام **Semantics** ذلك لأنّنا نرى أنّ المعاني والدلالات يمكن أن تصبّ بأي قالب نثرياً كان أم شعرياً، تبعاً للتجربة الشعورية المستوحاة من الواقع المعاش أو الخيال المجنّح، وقد نجد موسيق شعرية، فيها معنى النثر ودلالته، كما نجد موسيق نثرية، فيها معنى للشعر ودلالته، غير غافلين عن حقيقة الشكل والمضمون المتميز في كل منهما بل إنّنا ـ إذا صحَّ التعبير ـ نؤمن بشكلية المضمون ومضمونية الشكل التي تقوم عليها الأساسيات البنيوية.

٣ـ المحور الثالث:

لغة الشعر في ضوء النقد الأدبي والنظريات اللغوية [٣٣]:

إذا كانت الطبيعة لغة الله، فالشعر لغة الشاعر، وتمتاز لغة الشعر عن غيرها بمدى ما تستوحيه من لغة الطبيعة، أو بمدى ما تخلعه هي على الطبيعة من أحاسيس وأخيلة وحياة.

وفي ضوء هذه النظرية الفلسفية ـ وقل النظرة إلى الطبيعة ـ اختلف أرسطو (أوّل مفكر عظيم يشغل نفسه بالنقد الأدبي) عن استاذه افلاطون صاحب نظرية «المُثُل» التي تعتبر كل ما في الطبيعة انعكاساً وصوراً نسخت عن مُثل عُليا سامية، وبمحاكاة الشعراء لها، ابتعاد عن المثل والحقائق المجردة المطلقة، لأنّ ذلك أشبه بترجمة عن ترجمة وليس عن أصل. «ولم يكن الشعر عند افلاطون فناً أو صنعة يمكن تعلمها، بل ضرباً من الوحي الإلهي. ولكن العقل العلمي لدى أرسطو لم يكن مقتنعاً بأوصاف تعتمد الأسطورة. فالمحاكاة أو التمثيل غريزة عند الانسان، ففي الصغر كان أوّل تعلّمنا، عن طريق المحاكاة، ونحن نجد متعة في تلك العملية. فهنا كما قال في كتاب الشعر مصدر الفن وتفسير سبب متعتنا في خلق الأعمال الفنية وتأملها» وبهذا كما قيل: أنزل أرسطو الفلسفة من السماء إلى الأرض.

وإذا أردنا أن نعرض للغة الشعر أو بنيته التعبيرية التي يتكون فيها شكلاً

ومضموناً في ضوء النقد الأدبي أولاً. فنحن أمام مسيرة أدبية طويلة أو قُلْ سيرة أدبية نقدية، كتب جزءاً منها (كلودردج) الناقد والشاعر الانجليزي المعروف الذي عرض فيها أفكاره حول الشعر والنظريات النقدية عند صديقه (وردزورث)، والتي أصبحت المرجع النقدي المهم حول لغة الشعر وأسلوبه في القرن الثامن عشر، وكان على رأس شعراء الطبيعة والرومانسية. وإنَّ هذه المسيرة الأدبية تمتد أبعادها نحو قديم القديم، وما تزال تتطور عبر جديد الجديد. فقد عرف الانسان الشعر منذ عصوره الأولى، وربّما كان الشعر أوّل ما نطق به، ليعبِّر عن حبِّه وعاطفته وانبهاره بوجوده في هذا الكون الفسيح الرهيب المكتنف بالرموز والألغاز، منادياً بذلك ربّات الشعر، ليتلقّ منها الإلهام، وقوة التعبير، كما كان يعتقد (هوميروس) و (افلاطون) وبعض قدماء الاغريق، أو متوسلاً بشياطينه وجنيّاته، كما كان يعتقد بعض شعراء العرب ورواتهم:

إنّي وكل شاعر من البشر شيطانه أُنثى وشيطاني ذكر

لتدحرج على لسانه ما لا يستطيع حبسه من كلمات وعبارات تتشكل بأوزان وقوافٍ، أو نغم وسجع، يجعله شارداً عن وجوده ومحيطه، ثم يمسك على نفسه، فإذا به الشاعر أو العاشق، أو المجنون، وما أشبه هؤلاء الثلاثة عند افلاطون. ولا يختلف إلاّ قليلاً عن افلاطون وصف الخيال الشهير عند شكسبير في مسرحية (حلم ليلة صيف)، إذ يضع الشاعر في مصاف المجنون والعاشق (أليس العشق نوعاً من الجنون؟).

المجنون والعاشق، والشاعر، يمتلئون جميعاً بالخيال ... فعين الشاعر، إذ تدور في هياج جميل، تنقل الطرف من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء، وإذ يجسم الخيال أطياف الأشياء المجهولة، يحيلها قلم الشاعر مسكناً في الجوزاء والسماء. كما عرف الانسان نقد الشعر منذ تلك العصور الأولى «وطبيعي أن ينشأ النقد أوّل ما ينشأ بين الشعراء أنفسهم قبل غيرهم، وهي ظاهرة تكاد تمثل نشأته عند مختلف الأمم».

ويتحدث شوقي ضيف عن نشأة النقد عندنا فيقول: «تشبه نشأة النقد عند العرب نشأته عند اليونان، فقد نشأ في الأعمِّ الأكثر بين الشعراء، وظلَّ على ذلك حقباً متطاولة حتى وضعت علوم العربية، فوضعت معها قواعده وأصوله».

وقد سيطرت وجهة نظر أرسطو المنطقية وقواعده الكلاسيكية حول الفنون

الأدبية عامة وفن الشعر خاصة، على نظريات القرون الوسطى سيطرة تامة، في حين سيطرت وجهة نظر افلاطون على الافلاطونيين المحدثين وعلى نظريات عصر ما يسمى قبيل الانبعاث ***prerenaissance*** وحتى نشوء المدارس الأدبية الحديثة وظهور المصطلحات النقدية المتبلورة كالكلاسيكية، والرومانتيكية، والطبيعية، والواقعية، والرمزية، والسريالية، وما إليها، والتي تطوَّرت من خلال وجودها في أوروبا عامة وفرنسا خاصة.

وهناك سؤال كبير قائم باستمرار ومتفرع باستمرار، وفي ضوء الاجابة عنه تتفرع الآراء والنظريات عبر حدود الزمان والمكان والانسان. احدى صوره: أيهما أسبق النقد أم الشعر؟ أو قل النقد أم النتاج الأدبي؟ وهو قابل الانسحاب على الفكر والسلوك العام فرداً وجماعة. وما إلى ذلك من مسائل تتعلَّق بالانسان كمواقف واختيارات ودلالات.

والاختيار ـ أي اختيار ـ موقف نقدي كامل، وإنّ عملية الإختيار ـ كما هو معروف ـ عملية نقدية متكاملة، إذ تنطوي على الرفض والقبول في آن واحد. ففي كل عبارة ننطقها نكون قد رفضنا غيرها وقبلنا نطقها. وكل قصيدة نكتبها نكون قد اخترنا أسلوبها ولغتها، أي اخترنا أن نقول هكذا، وكذلك الأمر في السلوك والثقافة والعقيدة وهكذا. إذن المسألة ليست بهذه البساطة، فهناك عمليات معقَّدة قد تكون في الوعي أو اللاوعي، ليس هنا مقام الخوض فيها. فهي قد تبدو على السطح بسيطة لكن النظر إلى الأعماق قد يكشف أشياء وأشياء، وهي أشبه بجبل من الثلج غاطس في البحر لا يُرى منه إلاّ الجزء الظاهر اليسير.

ومسألة السطح والعمق هذه سنعرض لها في مكانها من البحث عند الكلام عن نظرية (جومسكي) اللغوية النقدية التي تعالج الحالة الجدلية القائمة بين ما يدور وينمو في خلد الانسان وعقله وحدسه في البنى العميقة ***Deep structures*** وبين ما يظهر ويطفو على السطح ***Surface Structures*** أو على الوجه أو العيون أو اللسان من تعابير ودلالات تنمُّ عن تلكم الأحاسيس والمدلولات الكامنة النامية، سواء ما كان منها على صعيد اللغة بكل نتاجاتها الفكرية والأدبية، أو ما كان على صعيد النغم والموسيقى

بكل طبقاتها وأبعادها، أو ما شاكل ذلك من عوالم بدأت غزوها نظرية جومسكي التوليدية التحويلية ـ التي يرمز لها بـ ***T.G. Grammar*** اختصاراً لـ ***Transformational Generative Grammar*** والسؤال الكبير المتفرّع هذا على الدوام قد يكون ـ ونحن نبحث في لغة الشعر ـ أيهما أسبق القواعد أم اللغة؟ أي القواعد الفكرية النقدية العامة المجردة في ذهن الانسان، والتي جعلت اللغات تتخذ أنظمة من الأصوات والحروف معيّنة، وأنظمة من المعاني والدلالات خاصّة، لتتحد في نظام بنيويّ قائم على الفونيمات ***phonemes*** والمونيمات ***monemes*** أطلق عليه اسم اللغة، أو الكلام، وهو ما يعبّر عنه (مارتينة) ***Double Articulation*** وأستاذنا (مولدر) بنظام الأنظمة ***System of Systems*** وكلاهما صاحب نظرية تتصل ببنيوية اللغة من الوجهة الوظيفية ***Functionalism*** وهذا ما يدعونا للتذكير بقول (آبرو كرومبي): وإن نغم الكلام اليومي المسموع هو الأساس الذي يقوم عليه ايقاع الشعر المنظوم وأنّه نغم متحد من نظامين قائمين في الانسان، أحدهما؛ يعتمد النبر النبضي ***Stress pluse*** وثانيهما؛ يعتمد تقلّص العضلات في الصدر وانبساطها المنظم ***Systems of chest pluses*** وذلك كله يقتضينا أن نعرض ولو باختصار إلى النظريات حول اللغة والقواعد الصوتية والدلالية، ولا سيّما ونحن نتكلم عن لغة الشعر، اللغة الموسقة المجنّحة، ذات الوجه المشرق من وجوه اللغة، تمييزاً لها من لغة القصة ولغة المسرح ولغة الرواية وما إلى ذلك من فنون الأداء والتعبير المختلفة.

وقبل الالماع إلى النظريات اللغوية الحديثة الشهيرة، أود من باب المقدمة أن أذكر بنقد (كلولردج) للغة الشعر عند (شكسبير) من خلال منظور نقدي عام عن الخيال «فمنذ أيام دكتور جونسن أصبح السؤال الحاسم في النقد الجادّ ليس ما قاله أرسطو بل ما فعله شكسبير» وبذلك نستطيع بعد الاستئناس بالنظريات النقدية واللغوية أن نعتمد المعيار النقدي هذا في لغة الشعر، وهو ما فعله الشعراء وما عبّروا من أساليب، فالشعر إذن هو ما قاله امرؤ القيس وليس ما قاله ابن سلام عنه، وما قاله أبو تمام والبحتري وليس ما قاله الآمدي عنهما، وما قاله المتنبي وليس ما قاله الجرجاني فيه وفي خصومه. ولا نريد بهذا أن نبخس دور النقد والنقّاد وما لهم من تأثير بنّاء في الشعر والأدب والفكر، غير أنّ الناقد ـ كما قيل عنه صدقاً أو كذباً ـ أديب

فاشل، فمهما وضع من قواعد وشروط وملاحظات حول الشعر أو الأدب أو الفكر، يبقى الشاعر أو الأديب أو المفكّر هو الذي يبدع والناقد هو الذي يدرس ويصف ويعلّل ويستنتج من ذلك العمل البكر المبدع.

وكذلك القول في عالم اللغة والمتكلّم، فمهما وضع اللغوي من قواعد وأصول وضوابط وملاحظات حول اللغة، يبقى المتكلّم هو الذي يشرّعها ويبدعها، والمتكلّم المثالي **Ideal Speaker** ـ كما يقول عنه (جومسكي) ـ يستخدم بما أوتي من قوّة وكفاءة، قواعد وأصواتاً محدودة للتكلّم بعبارات غير محدودة، متجدّدة متنوّعة على الدوام، عبر توليدات وتحويلات جومسكية يفهمها السامع المثالي **Ideal Hearer** وبذلك تكون لكل انسان تعابيره ولغته، وتركيباته وجمله، وأساليبه واختياراته، وإن كانت كلّها تسير في نحو عام يسير عليه أفراد قبيلته ومجتمعه اللغوي ـ أو يجب أن يسير على ذلك النحو ـ ليكون مصداقاً لقواعد لغته النحوية والتي دعوها **Grammaticality** وأولئك جميعاً وإن امتازوا في قبائل ومجتمعات شتى فهم يسيرون في نحوٍ عامٍ شامل تؤكد عليه النظرية العالمية الكونية **Universality** التي أشرنا إليها سابقاً.

وأصبح لزاماً على دارس اللغة ـ أيّة لغة وأيّة جوانب منها ـ أن يلمّ إلماماً بجوانب من النظريات اللغوية الحديثة التي أخذت تنظر إلى اللغة بشكلها العام بمنظار علمي فلسفي نقدي بنيوي قائم على أسس وقواعد محكمة رصينة بلورها علم اللغة الحديث **Linguistics**.

وقد ارتبط علم اللغة الحديث باسم عالم لغوي منظّر هو **Saussure** (١٨٥٧ ـ ١٩١٢) والذي يعتبر أباً لهذا العلم الجديد وأباً للبنيوية أيضاً إذ أنّه من أوائل من دعا إلى دراسة اللغة على وفق منظور وصفي اجتماعي بنيوي بعد أن كانت الدراسات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا قائمة على منظور تاريخي فيلولوجي **Philology** وقد تبلورت على يديه أسس ومصطلحات علمية لغوية ما تزال موضع دراسة وتمحيص في نظر النقاد واللغويين، من أهمها تمييزه بين مصطلحي **La parole** و **La Langue** وبين مصطلحي **Diachronic** و **Synchronic** واعتباره اللغة حقائق اجتماعية **social facts** تقوم على علاقات اصطلاحية تواضعية **Conventional** وليست على

علاقات طبيعية **Natural Relations** وأنّ اللغة نظام من أنظمة العلاقات **Linguistic sign** ويجب أن تدرس تحت علم السيمولوجي أو السيميوطيقا **Semiotic Systems**.

وقد ترعرعت أفكاره هذه في مدارس جنيفا ولايبزك وباريس درساً وتدريساً وهي أشبه بمدارس البصرة والكوفة وبغداد ومنها تفرَّعت أغلب المدارس والدراسات اللغوية الحديثة في الشرق والغرب، وقد جمعت محاضراته بعد وفاته ونشرت من قبل تلامذته بالفرنسية أوّلاً، ثم ترجمت إلى الانكليزية بعنوان (**Course in General Linguistics**) وبهذا يشبه الخليل بن أحمد في انتشار أفكاره وعلومه على يد تلامذته وأصحابه في ميادين اللغة والأصوات. ويعتبر (سوسير) ثالث ثلاثة من رواد العلوم الحديثة المولودين في القرن التاسع عشر، سنة بعد أخرى. فقد ولد قبله بسنة عالم النفس الحديث (فرويد)، وولد بعده بسنة عالم الاجتماع الحديث (دوركايم) والذي تأثر به كثيراً في نظرته إلى اللغة، وهؤلاء الثلاثة قد أثروا الدراسات الانسانية ثراءً منقطع النظير، وخاصّة فيما يعنينا منها الأدبية واللغوية رغم موقفنا النقدي منها.

ويأتي بعده (سابير) **Sapir** بحوالي خمس وثلاثين سنة ليكون من رواد المدرسة الأمريكية الذين وضعوا خطوة أُخرى على طريق البنيوية **Structuralism** والتي تعتمد أساساً التركيبات الشكلية في اللغة **Languistic Forms** وقد ركَّز (سابير) على الدراسات الحقلية والجانب الانثروبولوجي متأثراً (بفراوزبوعز) المولود بنفس السنة التي ولد بها (دوركايم) ١٨٥٨ كما ركَّز على الجانب الثقافي في الانسان أكثر من تركيزه على الجانب البيئي وبهذا يلتقي معه البنيوي المعاصر (ليف شتراوس) ووصف منهجه هذا في كتابه الشهير (**Language**).

ويأتي بعد ذلك **Bloomfield** ليبلور البنيوية، ويكون ثالث ثلاثة ممن اهتموا بالجانب الوصفي للغة كصاحبيه المتقدمين (سوسير) و (سابير) غير أنّه ركَّز على الجانب السلوكي فيها **Behaviorism** متأثراً بويستن **Weston** الذي يشرح هذا الإتجاه بأنّه اكتشاف ما سوف يفعله الفرد في موقف معين أو حين يرى شخصاً ما يفعل شيئاً ما، وهذه الطريقة تمكننا من التنبؤ بالإستجابة **Response** حين نعرف المنبّه أو المثير **Stimulus** وبذلك أخذ ينظر إلى اللغة كبديل سلوكي بين الحافز والاستجابة، والذي

يتمثل عنده بقصة **Jack** و **Jill** في طريقة تناولها التفاحة المصورة في العلاقة الآنية، والنقاط هي التي تمثل دور الكلام في المعادلة (**r s ... r. s**).

وقد رسم خطة خاصة به في كيفية دراسة اللغة، وضعها في كتابه الذي يحمل نفس عنوان كتاب سابير **Language** طبعه سنة ١٩٣٣ بعد أن غير عنوانه السابق وأجرى بعض التغييرات عليه.

وفي أحضان هذه المدرسة الأمريكية وعلى أيدي تلامذتها الكبار أمثال **Hariss** نشأ العالم اللغوي المعاصر (جومسكي) **Chomesky** الذي أحدث ثورة في علم اللغة الحديث منذ صدور كتابه البُنى النحوية **Syntactic structures** سنة ١٩٥٧ ووقف موقفاً مناهضاً للوصفيين والسلوكيين عبر كتاباته وتصريحاته ومقابلاته وما يزال كذلك، كما حدث له بأَخَرَةٍ مع الـ (**B.B.C**) في لندن مركِّزاً على الجانب المعياري والقواعدي في اللغة، والذي يستند به إلى العقل والمنطق والرياضيات متأثّراً إلى حد كبير (بديكارت) حتى وضع دراسة في علم اللغة الديكارتي **Cartesian Linguistics** بحيث يذكرنا بالدراسات اللغوية والنحوية التي نشأت عند العرب والمسلمين، ولكن بمنظور جديد ونظرية علمية تكنيكية يمكن الافادة منها في الكومبيوتر وما إلى ذلك من أجهزة تقنية متطوِّرة، وأهم ما يميز نظريته هو امتلاك الانسان الكفاءة **Competence** التي تميِّزه عن الآلة والحيوان، وهي كامنة ونامية في الأعماق بيولوجياً، وتظهر على السطح عبر سلسلة من التوليدات والتحويلات بشكل الأداء والتعبير **Performance** كما ألمعنا سابقاً إلى نظريته **T.G. Grammar**.

وخلاصة القول: نستطيع بعد هذا العرض السريع لموقف علم الصوتيات والنقد الأدبي والنظريات اللغوية الحديثة التي تتمثل بالمنهج البنيوي، والبنيوية، أن نقرر ما يأتي من نقاط قبل الحكم على لغة الشعر وشاعرية الشاعر، وذلك ما يقتضينا النظر والتأمُّل إلى مدى تأثير وتأثّر البنية الشعرية بالموسيقى كما يرى الأصواتيون، وإلى مدى قابلية الشاعر على استلهام الأخيلة الشعرية من ربَّة الشعر كما يرى الهوميريون والافلاطونيون، ومدى توافر معيار النقد فيه كما يرى الارسطاطاليون، ومدى نجاحه في توصيل الرسائل والمشاعر كما يرى السوسيريون والوظيفيون، ومدى ما يقدِّمه من

ثقافة وفكر كما يرى السابيريون والشتراوسيون، ومدى ما يؤثِّر في السلوك والنفس كما يرى البلومفيلديون والفرويديون، ومدى ما يكشف عن الأعماق والقواعد العقلية كما يرى الجومسكيون، وإلى ما هنالك من مَدَيات مفتوحة حتى يبقى السؤال الكبير مستمراً ومتفرّعاً، وتبقى المشكلة تبحث عن حلّ، والحلّ عن مشكلة جديدة وهكذا الشعر واللغة والانسان.

القرآن وعلم اللغة الحديث

في هذه الصفحات القليلة أودّ أن أقف وقفة متأملة عند كلمة واحدة من كتاب الله المجيد، ومفردة من كلماته التامّات، ألا وهي كلمة «البيان» التي وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم واستعملت أكثر من استعمال واشتقت أكثر من اشتقاق، لكن المعنى الجامع لها واحد تقريباً، وهو البيان بمدلوله العام، والذي هو لغةً الوضوح والظهور والاعراب والدلالة . وتكاد المعاجم والمصادر اللغوية تجمع على ذلك، وقد جاء في مختار الصحاح: «البيان الفصاحة واللسن... والبيان أيضاً ما يتبيّن به الشيء من (الدلالة) وغيرها... والتبيين الايضاح» [٣٤].

وقد استعمل (البيان) كمصطلح بلاغي يدل على فرع من فروع علم البلاغة، وقد حفظ معناه اللغوي هذا غير مبتعد عن الصميم والجوهر، وذلك أنّ التشبيه والاستعارة والكناية وما شابه ذلك كلها أساليب بيانية تختلف درجاتها في مقدار الوضوح والتلميح. ولهذا العلم فرسانه ورجاله، ليس هنا مقام الخوض فيه، ويكفي أن نشير إلى أنّ التفسير البياني واحد من أروع التفاسير وأبرعها في ميدان إعجاز القرآن الكريم [٣٥].

وقد لفت نظري إلى هذه الكلمة تعريف القرآن نفسه بالبيان **﴿هذا بيانٌ للناس وهُدىً وموعظةٌ للمتَّقين﴾** [٣٦] كما أنّ فيه «تبياناً لكلِّ شيء» [٣٧] و **﴿إن هو إلاّ ذكرٌ وقرآن مبينٌ﴾** [٣٨] وتتجلّى هذه الكلمة في مطالع سورة الرحمن **﴿الرَّحمنُ * عَلَّمَ القرآنَ * خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمهُ البيانَ﴾** [٣٩] ورأيت أن أقف عندها وقفة دارس متعلم يريد أن يستعلم هذه الكلمة عن دلائلها ويستنطقها عن أكثر من جواب، أو بالأحرى تريد

هي أن تستنطقه عن أكثر من سؤال، فالقرآن هو الناطق وهو الكلام المبين.

يطالعنا نظم القرآن المعجز في هذه السورة بكلمة «الرحمن» التي هي (مبتدأ) في هذا التركيب اللغوي ***Syntactic Structure*** وهو عزّ وجلّ مبدأ الوجود ومبتداه ومنتهاه، ثم يخبرنا سبحانه وتعالى ذاكراً لنا نعمه التي لا تحصى بجمل فعلية متوالية «علّم القرآن»، «خلق الإنسان»، «علمه البيان» وقد جاء ذكر النعم (خبراً) بأعظمها وهي (الغاية) من هذا الوجود «علّم القرآن» العلم والمعرفة. ﴿وما خلقتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعبُدون﴾ [٤٠] أي ليعرفون [٤١]، ثم ذكر «خلق الانسان» وهي نعمة الوجود التي هي (البداية)، ثم ذكر «علّمه البيان» وهو (الوسيلة) التي يدرك بها كل شيء ويعلم كل شيء عن طريق (النطق والمنطق) وهو الميزة الخارقة التي امتاز بها من سائر المخلوقات بكونه (الحيوان الناطق) وبها استطاع أن يتعلم القرآن وسائر المعارف، واستحق أن يخاطب، وأن يكون مخاطبه الرب الجليل ﴿إنّي أنا ربُّكَ فاخلع نَعْليكَ إنكَ بالواد المقدَّسِ طُوىً﴾ [٤٢] وأن يكلف بعبء الأمانة ﴿إنّا عَرضنا الأمانة على السمواتِ والأرضِ والجبال فأبَينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسانُ﴾ [٤٣] وإليه ترسل (الرسالات) ***Messages*** وأن يكون (الرسول) ***The Messenger*** منه واليه ﴿قُلْ إنّما أنا بشرٌ مثلُكم يُوحى إليَّ﴾ [٤٤] وببساطة أن يأتيه (البيان) ﴿هذا بيانٌ للناس﴾ [٤٥].

إنّ علم اللغة الحديث يبحث اللغة تحت نظرية العلامات ***Sign Theory*** فهو يقرر انّ هدفها وظيفي وهو الاتصال ***Communication*** وهو ضرورة ملازمة للانسان، وبدونه لا يتكون مجتمع إنساني بمعنى الكلمة. وإنّها تقوم على نظام من أنظمة العلامات والاشارات الاصطلاحية بين أفراد مجموعة بشرية ضمن عوائل لغوية معروفة مصنّفة. ليس هنا مقام البحث فيها.

وهذه العلامات والاشارات المصطلحة بقسميها البسيط ***Simple sign*** والمعقّد ***Complex sign*** هو في حقيقة الأمر، وسيلة (البيان) الذي امتاز به الانسان والمشار إليه في الآيات الكريمة المذكورة، كما ورد في سورة (العلق) وفي مطالعها أيضاً: ﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذي خلق * خلقَ الانسانَ من علق* اقرأ وربُّكَ الأكرم *الذي علَّم بالقلم *

علَّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾ [٤٦] فالرب الأكرم هو الذي تكرم على الانسان (بخلقه) وبخلق سائر المخلوقات، غير أنّه ميّزه بالعلم وبوسيلته، وقد رمز إليه (بالقلم) الذي هو سلاح العلم والمعرفة والبيان عند الانسان، وبالعلم والايمان صار رفيعاً ﴿يَرفعِ اللهُ الذينَ آمَنوا منكم والذينَ أوتوا العِلمَ درجاتٍ﴾ [٤٧] وبالعلم صار مخترعاً ومكتشفاً وما اخترعه من آلات ذات قابلية على البيان والنطق كالعقل الالكتروني ليس له إلّا خزن المعلومات وهو يعمل بارادة الانسان لا بارادته، وكما هو معروف أنّ أذكى عقل الكتروني هو أغبى الأغبياء في أبسط الاختبارات العقلية.

ويقول لنا علم اللغة الحديث إنّ كل شيء له دلالة بالمعنى العام، كما سيتبين من سياق الكلام الآتي، وإنّ القرآن الكريم أشار إلى ذلك في معرض جلب النظر إلى آيات الله (البيّنات) في الآفاق والأنفس ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى (يتبيَّنَ) لَهُمْ أنَّه الحقُّ﴾ [٤٨]، ﴿وعلاماتٍ وبالنَّجمِ هُم يَهتدونَ﴾ [٤٩] ﴿والشمسُ تجري لِمُستقرٍّ لها﴾ [٥٠] وبطلوعها يتبين النهار وبغروبها يكون الليل، ولها في النهار والليل آناء وأوقات ﴿والقَمر قدرناهُ منازلَ﴾ [٥١] فأوله هلال وأوسطه قمر وآخره سرار ومحاق، ﴿...الرياحَ بُشراً بين يدي رحمته﴾ [٥٢] فهي (الحواشك) المختلفة والشديدة، و (البوارح) الشمال الحارة في الصيف، و (الأعاصير) التي تهيج بالغبار، و (اللواقح) التي تلقح الأشجار، و (المعصرات) التي تأتي بالأمطار، و (المبشّرات) التي تأتي بالسحاب والغيث، و (السواقي) التي تسقي التراب [٥٣]. وذكر المفسرون أنّه لم يأت في (القرآن) لفظ الأمطار ولا لفظ الريح إلاّ في الشر، كما لم يأت لفظ الرياح إلاّ في الخير، وهذا معنى دعائه عليه السلام عند عصوف الرياح، اللهم اجعلها «رياحاً» ولا تجعلها «ريحاً» [٥٤] ويستطيع علم الأنواء الحديث أن يعرف متى وأين وكيف، وباختصار (أنّى) تسقط الأمطار، ولأكبر مخلوق في الكون بيانه ودلالته، كما أنّه لأصغر مخلوق كالذرة والنواة أو ما تركبت منه دلالته، وللحويمنات و (العلق) والجينات دلائلها ومعلوماتها ***Genetic Information*** وتتجلّى هذه الدلالات والآيات البيّنات في عين الشاعر الحكيم بقوله:

وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ | تدلُّ على أنّه واحد

ولو أراد الإنسان أن يستعرض دلائل المخلوقات وآيات الخالق وأنّى له ذلك،

أو أن يستقري كلمات الله وهيهات، لعلم سرّ ما يحاول ﴿ولو أَنَّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّهُ من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفدت كلماتُ الله﴾ [٥٥].

فإذا كانت كل هذه المخلوقات دالة ومبيّنة بهذا المعنى وهي تسبح بحمده تعالى «ولكن لا تفقهونَ تَسبِيحهُم» [٥٦] إذن ما ميزة (بيان الانسان) موضوع البحث؟ يجيب علم اللغة الحديث بتميزه بين نوعية بيان (العلامات والاشارات) على أنّهما مصطلحان دقيقان لهما دلالتهما في ضوء ما اصطلحت عليه بعض المدارس اللغوية الحديثة بأنَّ (بيان الانسان) ولغته اشارة اصطلاحية ***Conventional*** بين طرفين في الأقل: مشير ومشار إليه، يستقبل ما خوطب به، أو ما هو بهذه المنزلة، وبيان سائر المخلوقات ولغاتها ـ إن صح التعبير ـ طبيعية ***Natural*** وبعبارة أُخرى بيانه (إشارة) مقصودة، وبيانها (علامة) مستوحاة.

وتؤكد التجارب العلمية مركزية اللغة في العقل البشري، وأنّها تصدر عن قوة الفكر والمنطق بل (النطق هو المنطق) بمفهومه المجرد، وأنّ هذا الفهم التجريدي ***Abstract*** هو من خصائص الانسان التي لا ترقى إليها سائر المخلوقات، وقد جاء في الحديث القدسي مخاطباً (العقل) وعظمته في الانسان «وعزّتي وجلالي ما خلقتُ شيئاً أشرف منك» وأنّ لغة الانسان الصادرة عن عقله وفكره هي وسيلة اتصاله بخالقه وأخيه الانسان، وبها تكون (صِلاته) ـ بكسر الصاد ـ و (صَلاته) ـ بفتحها ـ وبها يستطيع أن يكون مبيناً بأنواع (البيّنات) ومدلاً ومدللاً بمختلف الدلالات من أصوات وحروف ونصب واشارات [٥٧] مستخدماً لغة العقل ***Mind Language*** ولغة الجسد ***Body Langwage*** التي هي أداة التنفيذ.

وإذا قرر العلم الحديث أيضاً بأنّ لبعض الحيوانات لغاتها فهي ليست بمفهوم لغة البشر، بل من قبيل ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿قالتْ نملةٌ يا أيُّها النملُ ادخلوا مساكنكُمْ لا يَحْطِمنَّكُمْ سُليمانُ وجنوده﴾ [٥٨] ﴿وأوحى ربُّكَ إلى النحلِ أنِ اتّخذي من الجبال بُيوتاً ومن الشجرِ ومما يعرشون﴾ [٥٩] وما نسمع من أصواتها فليست لغة مصطلحة معقّدة وحتى لو بولغ فيها فهي لا تستطيع أن تخبر عن أحداث الماضي والمستقبل مثلاً [٦٠] فالانسان هو المخلوق السعيد الذي أعطي هذه الموهبة الإلهية

العجيبة التي حيّرت ذوي الألباب والعقول المفكرة، وبهذه الموهبة يستطيع أن يتكلم بأكثر من لغة مصطلحة ويتعلم أكثر من علم حتى قرر العلم الحديث عجزه عن ادراك كنهها، بقوله كيف نستطيع أن نعرف حقيقة اللغة ونحن نفكر باللغة نفسها وهي أداة البحث والمعرفة؟ وكيف نبحث عن كنه العقل وهو وسيلة البحث عندنا؟ فكل ما يستطيع العلم أن يقدمه هي النظريات والآلات الدقيقة التي تساعد على وصف الظواهر وتسجيلها ***Description*** أما بواطن الأمور وأسرارها فمهما بالغ العلم في محاولة فهمها والوقوف على كنه الكنه وسر السر فشيء وراء العقل المحدود، وخير مثال على ذلك الذرة، هل استطاع أحد أن يقف على آخر أسرارها؟ هيهات!

وفي ضوء التمييز بين (الاشارة والعلامة) يحاول بعض علماء اللغة المحدثين [٦١] أن يجعل بينهما عموماً وخصوصاً كما يقول (المناطقة) فكل اشارة علامة وليست كل علامة اشارة، فعلامة الدخان دليل على وجود النار أو نظيرها، وليست في الأصل إشارة مرسلة إلاّ أن يصطلح عليها من قبل جهتين مثلاً بأنّها أمارة الهجوم أو أي دلالة أُخرى. وعلامة الصوت دليل على وجود المصوّت وإن لم تره ومن هنا أفيد فائدة عرفانية للدلالة على وجود الخالق، فقد جاء في الأثر «البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، أفسماوات ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، لا تدلاّن على اللطيف الخبير» وجاء في دعاء الإمام الحسين (ع) يوم عرفة: «ألغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حُبّكَ نصيباً» [٦٢] غير أنّها تحتاج إلى تدبر وتفكر ﴿**الّذينَ يذكرونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبهِمْ ويتفكرونَ في خلق السمٰواتِ والأرضِ ربّنا ما خَلَقت هذا باطلاً سُبحانكَ فَقِنا عَذابَ النار**﴾ [٦٣].

وخلاصة القول:انّ دلالة الانسان ولغته ـ كما أشرنا سابقاً ـ اصطلاحية، ودلالة سائر الأشياء طبيعية، وبالاصطلاح الدقيق غير المبهم ـ وهو ما يسعى إليه علم اللغة الحديث ـ يمكن الاصطلاح والتفاهم بين البشر كافة، ومن سوء الاصطلاحات وفهمها يحصل سوء الفهم والاختلاف، ومنه إلى العداوات والبغضاء، وبالتالي إلى الويلات والحروب والدمار والبوار ولذلك أرسل الله سبحانه وتعالى (الرسل) مصلحين

ومصطلحين، مبشّرين ومنذرين بالمحجّة الواضحة والبيّنة اللائحة، حاملين (رسالات السماء) إلى الأرض (بياناً ونوراً) مخاطبة البشر والبشر وحدهم ليكونوا هادين مهديين إلى (طريق الحق) غير ضالين ولا مُضلّين، وباتباع (رسالة الاسلام) الخالدة واتخاذ (القرآن) الكريم شريعة ومنهاجاً وعقيدة ونظاماً وبياناً وبرهاناً نحظى بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

هوامش الفصل الأوّل

١ـ انظر مولدروهارفي:

Mulder & Hervey; Theory of Linguistic sign, P.19 (Mouton, Paris 1972):

وكذلك كتاب الأصوات والاشارات (موضوع السيموطيقا) (***Sounds & Signs***) الترجمة العربية.

٢ـ انظر الترجمة العربية لكتاب ***Sounds and Signs*** (موضوع السيموطيقا).

٣ـ انظر الترجمة الانكليزية لكتاب دي سوسير المتقدم ص ١.

٤ـ المصدر السابق ص ١١١.

٥ـ المصدر السابق ص ١١.

٦ـ انظر واثرمن ، (سيرى در زبانشناسي)، (ط. طهران) (الترجمة الفارسية)، ص ٩٥.

٧ـ انظر مقدمة المترجين لكتابه ***Course in General Linguistics*** ص ***xxvii***(ط. كلاسكو) ١٩٧٤.

٨ـ انظر مولدر (محاضراته) سنة ٧٥ ـ ١٩٧٦ في جامعة سانت أندروز أو كما جاء في بعض التعاريف:

الدراسة النظامية للغة: ***"the systematic study of language"*** انظر كتاب: ***Jean Aitchison,***

Linguistics p. 20 (Teach yourself Books - 1978 U.S.A)

٩ـ لزيادة الاطلاع على هذه الأسئلة والأجوبة انظر ص ٨، من كتابه المذكور حول علم اللغة العام.

١٠ـ انظر واثرمن، المصدر السابق، ص ٩٧.

١١ـ انظر مولدر المصدر المشار إليه سابقاً.

١٢ـ انظر الصفحة (١٩) من كتابه المذكور حول علم اللغة العام.

١٣ـ لقد استعمل يلمسلف نفس العلامة اللغوية في نظريته المعروفة ***Glossematics*** غير أنّه عبَّر عن المدلول بـ ***Content*** وعن الدال بـ ***expression*** كما درس بلومفيلد العلامة اللغوية هذه غير أنّه لم يوفّق

التوفيق الكامل في نظر استاذنا مولدر. وان مثال بلومفيلد حول قصة التفاحة بين جاك وجين المشهورة **stimulus** و **Responsed** في التفسير السلوكي للغة.

١٤ـ انظر الصفحة (**xiv**) من كتابه المذكور حول علم اللغة.

١٥ـ المصدر السابق نفس الصفحة.

١٦ـ انظر المصدر السابق ص **xv**

١٧ـ انظر كتابه الأوّل حول النظرية: **Noam chomsky, Syntactic structures, Mouton, 1957.**

١٨ـ المصدر السابق، ص **xxiii**

١٩ـ انظر المصدر السابق، ص **xxi**

٢٠ـ انظر واترمن (الترجمة الفارسية)، المصدر السابق، ص ١٠٢.

٢١ـ انظر الكورس، ص **xxi**

٢٢ـ انظر المصدر السابق، ص **xx**

٢٣ـ ينظر د. كمال عيد، جماليات الفنون، الموسوعة الصغيرة، ط بغداد ١٩٨٠، ص ٣ ـ ٢٧.

٢٤ـ د. زكريا ابراهيم، مشكلة البنية، التصدير، ط مكتبة مصر، ١٩٧٦، ص ٢٠.

٢٥ـ نسيب الاختيار، معالم الموسيقى العربية، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٥٣، ص ٣.

٢٦ـ د. ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٨.

٢٧ـ ينظر محمد علي الحسيني، نظرة في موسيقى الشعر العربي وعروضه حول مصادر هذه الفقرات، آداب الرافدين العدد السادس، جامعة الموصل ١٩٧٥، ص ٣٤٢.

٢٨ـ ينظر د. مهدي المخزومي، عبقري من البصرة ـ نشر وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٢ حول البحر السادس عشر، ص ١٠٥.

٢٩ـ ينظر د. صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، ط ٣ بيروت ١٩٦٦، ص ٢٦.

٣٠ـ ينظر محمد علي الحسيني المصدر السابق ص ٣٤٤.

٣١ـ ما يتعلق بدلالة المصطلحات اللغوية والإيقاعية، خلاصة لمحاضرة ألقيناها في مايس ١٩٧٥ (ما تزال مخطوطة).

٣٢ـ ينظر حول مصادر هذا المحور ما جاء في مقالتنا لغة الشعر وعلم الأصوات اللغوية في مجلة الثقافة (١٩٨١).

٣٣ـ ينظر حول مصادر هذا المحور ما جاء في مقالتنا لغة الشعر في ضوء النقد الأدبي والنظريات في مجلة فنون (١٩٨١).

Mulder, The Strategy of Linguistics (Scottish Academic) 1980 De Sussure, F.,Course in General Linguistics , (Fontana / Collins) ÷ 1974.

(Glasgow)

Martinet, Elemetns of General Linguistics

(London ÷Faber ÷ 1964)

Aber Crombie, General Elements of Phonetics. (Edinburgh)

٣٤ـ الرازي، مختار الصحاح (بيروت ـ ١٣٩٠/ ١٩٧١)، ص ٧٢.

٣٥ـ ينظر الحسيني، دراسات وتحقيقات (بيروت ـ ١٣٩٤/١٩٧٤) حول اعجاز القرآن الكريم وبيانه، ص ٦٧.

٣٦ـ آل عمران: ١٣٨.

٣٧ـ النحل: ٨٩.

٣٨ـ يس: ٦٩.

٣٩ـ الرحمن: ١ ـ ٤.

٤٠ـ الذاريات: ٥٦.

٤١ـ ينظر الهادي الحسيني، أمالي الهادي، (بيروت ـ ١٣٩٥ / ١٩٧٥)، ص ١٠.

٤٢ـ طه: ١٢.

٤٣ـ الأحزاب: ٧٢.

٤٤ـ الكهف: ١١٠.

٤٥ـ آل عمران: ١٣٨.

٤٦ـ العلق: ١ ـ ٥.

٤٧ـ المجادلة: ١١.

٤٨ـ فصلت: ٥٣.

٤٩ـ النحل: ١٦.

٥٠ـ يس: ٣٨.

٥١ـ يس: ٣٩.

٥٢ـ الأعراف: ٥٧ والفرقان: ٤٨ والنمل: ٦٣.

٥٣ـ الثعالبي. فقه اللغة. ص ٢٥٤ (القاهرة ـ ١٣٧٣ / ١٩٥٤).

٥٤ـ الحريري. درة الغوّاص. (ليبزك ـ ١٨٧١). ص ٨٠.

٥٥ـ لقمان: ٢٧.

٥٦ـ الإسراء: ٤٤.

٥٧ـ ينظر الهادي الحسيني. أمالي الهادي. ص ١٠.

٥٨ـ النمل: ١٨.

٥٩ـ النحل: ٦٨.

٦٠ـ ينظر كندراتوف. الأصوات والاشارات. ص ١٤.

٦١ـ المصدر نفسه. ص ١١.

٦٢ـ القمي. كليات مفاتيح الجنان. (طهران ١٣٧١). ص ٢٥٩.

٦٣ـ آل عمران: ١٩١.

الفصل الثاني

وحدة المعرفة في ضوء اللغة والعرفان

مدخل النظرية

يبدو الآن وبعد استعراضنا لعلم اللغة الحديث، يكون مهماً بحث نظرية وحدة المعرفة في ضوء اللغة والعرفان، التي لا تنفصل ـ حسب رأينا ـ عن بحث المصطلحات الإسلامية، وعن مجمل بحوثنا حول هذا الموضوع. وقد أسميناها بـ «نظرية وحدة المعرفة» أو «النظرية النونية» ونزعم أنّها عالمية مرادفة لما يسمى بالانجليزية ***uiversality*** وهي مرادفة أيضاً لما اصطلحنا عليه على وجه التحديد ***Unitheism*** .

والسبب الأساس الذي دعانا إلى وضع هذا الاصطلاح هو أنّ تلكم الأعمال الكتابية والفكرية ينتظمها فكر فلسفي واحد، ونظر عرفاني موحّد، تقوم عليه جميع نظراتنا أو قل نظرياتنا المتواضعة هذه في تلك الموضوعات المختلفة ولا سيما حول اللغة، وعلم اللغة، وحول سائر حقول نظرية المعرفة، سواء منها ما يصطلح عليه بفلسفة اللغة: ***Philosophy of linguistics*** أو التقسيم الآخر: لغة الفلسفة ***Linguistics of philosophy***.

وأنّ النظر القرآني الكريم، والفكر الإسلامي العظيم هو القاعدة الكبرى لهذه النظرية التي جاءت أوّل ما جاءت تسميتها في الانجليزية بذهننا ***Unitheism*** وترجمتها الدقيقة تكون: «نظرية وحدة المعرفة» أو ما نصطلح عليها أيضاً: «بالنظرية النونية» ***NOnation*** لاشتقاقها من آية: ﴿**ن . والقلم وما يسطرون**﴾ [٢] ومقارنة حرف النون، أو صوت النون هذا في مختلف اللغات، والأثر الدلالي لها فيها حسب منهجنا المقارن المتّبع والذي يفيده أكثر ما يفيده دلالته على «الوحدة والتوحيد» كما سنتبين.

ولا ندعي هنا أنّنا لم نتأثر بدراسات السابقين واللاحقين، كما لا ندعي بأنّ هذه النظرية هي حصيلة فكر «منفرد متفرّد» وإنّما الفضل كل الفضل يعود أوّلاً وبالذات إلى البيئة العلمية الإسلامية التي نشأنا بها، وثانياً وبالعرض إلى الدراسات المتلاقحة في علم اللغة الحديث ***Linguistics*** والذي هو بدوره حصيلة جهود علوم وعلماء، ولغات وحضارات، وآراء ونظريات ما تزال تتطور وتتبلور في مشرق الأرض ومغربها، ويجب أن لا يدعونا التعصب والنظر الضيق لإنكار جهود الآخرين والكلّ من فضل ربّ العالمين.

ولابُدّ لنا بادئ ذي بدء أن نؤكّد مقولة منطقية مقبولة إسلامياً، وهي أننا لا

نريد أن نحمّل القرآن الكريم نظرات العلم ونظرياته، حديثة كانت أو قديمة، لأنّ العلم، ولاسيما بمفهومه المعاصر، متطور متغير يُبنى على نظرات ونظريات مختلفة حسب اختلاف الزمان والمكان والانسان، والظروف المتحكمة في حقول التجربة وأدواتها، وسائر المسائل المحيطة الأخرى. في حين أنّ «العلم» في القرآن الكريم هو «علم الله» وهو سبحانه وتعالى «العلم المطلق» والعلم نفسه، والمعرفة نفسها، وهو القدرة ذاتها، والحياة عينها، وإلى ما هنالك من أسماء حُسنى وصفات عليا، قل هي «عين الذات» و «ذات العين» أو هي «ذات الحقيقة» و «حقيقة الذات» الالهية المقدّسة التي جلّت عن أن توصف بوصف وتحدّ بحدّ، وتؤين بأين، وتكيف بكيف [٣]، بل إنّما هي من باب تجلّي الذات الواحدة و «الحقيقة البسيطة» [٤] في كل الأشياء، وهي ـ كما جاء في تعريفات الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام الإسلامي العرفاني ـ: «كل الأشياء وليس بشيء منها» و «واجب الوجود بالذات واجب من جميع الجهات» وأنّ الوجود كله «واجب بالعرض في عالم الإمكان» وهو مرايا عاكسة وظلال مشمسة تحكي الأشعة الأبدية الأزلية التي تمر من مركز الدائرة، أو قل الدوائر والمدارات اللامتناهية ـ عدة وشدة ومدة ـ في هذه «الفيوضات الرحمانية» حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿والسّماءَ بَنيْنَاها بأَييدٍ وإنّا لَمُوسِعونَ﴾ [٥]. وذلك المركز «معنى إشاري» متمثل بواجب الوجود، الحيّ القيوم، القدير المتعال، السميع البصير، الأزلي الأبدي، الأوّل الآخر، والظاهر الباطن، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [٦] و «لا يصدر عن الواحد إلاّ واحد» سواءاً قيل عنه «القلم» أو غيره؛ كما هو في شكل النظرية هذه ورسمها: والدوائر المفتوحة «الوهمية» المتمثلة بعالم الإمكان قائمة به، وليس لها أن تدعي وجوداً وحياة وعلماً وقدرة مستقلة، وهي تحوي عدة دوائر تستعصي على الحصر والقصر ـ وهماً هندسياً ـ على عدد ما في «علم الله» غير أنّا مثلناها في نظريتنا هذه ـ نظرية وحدة المعرفة ***Unitheism*** ـ بخمس دوائر مفتوحة على شكل الحرف: «ن» الذي أقسم به الله تعالى في القرآن الكريم بقوله جلّ من قائل: **﴿ن. والقلم وما يسطرون﴾** [٧] ونحن نستنبط هذه المباني والمعاني من خلال الاستناد إلى النظر القرآني العرفاني، وإلى مطالعات في كتب القدماء وتأملات في آراء الأساتذة، ولاسيما سيدنا

المرحوم الوالد الذي غلب عليه النظر العرفاني في الفلسفة الإسلامية والفقه وأُصوله[8]، وهذه المصطلحات هي في حقيقتها متواضعة إلاّ أنّها بالنسبة إلى ملهمها المنان واسعة وشاسعة.

والذي حدا بنا إلى العرض إلى هذه النظرية إضافةً إلى تكاملها النسبيّ في ذهننا هو أننا نسينا أو تناسينا دور علمائنا العظام وأسلافنا الكرام الذين طوّروا علم اللغة وغيره من العلوم الإسلامية من خلال دراساتهم الرصينة المتينة في اللغة العربية بوجه خاص خدمةً للقرآن الكريم، وتوخياً لفهمه وعلمه، وتفسيراً لما غمض على بعضهم من محكم آياته ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وعامّها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، وأسباب نزولها وفواتح سورها، وإعرابها وقراءاتها، وما شاكل وشابه من مبان ومعان عرضت في هذا المضمار على أيدي علماء مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة المتعاصرين في القرون الأولى، وتلاحقها في مدرسة بغداد بأخرة، وانتقالها جميعاً ـ ولاسيما منذ عصر مُؤسس مدرسة النجف الأشرف الشيخ الطوسي ـ إلى الأزهر الشريف، والقيروان، وغرناطة، وقرطبة، ونيسابور، والري، ودمشق، وحلب وغيرها من الحواضر الإسلامية من قبل ألف عام، وإشعاعها على وجه المعمورة ببركة الإسلام، ولاسيما في تجلي علوم القرآن، ونخص بالذكر منها في مضمار علوم اللغة والبلاغة والإعجاز «نظرية النظم» المتبلورة على يد إمام البلاغة والنحو عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» اللذين ينتظمهما نظر بلاغي ثاقب ورأي نحوي صائب قائم على «معاني النحو» و «نحو المعاني»[9] يذكرنا تماماً بنظرية معاصرة في علم اللغة العام تدعى «البنيويّة» أو «البِنْيَة» ترجمة عن الانجليزية **Structuralism** التي نجد أصداءً كبيرة فيها لنظرية النظم وبنيويتها، غير أنّ عبد القاهر الجرجاني لا يغفل هذا الجانب العرفاني، بعد تطبيقه لنظريته تلك في ذينك الكتابين كحقلي تجربة ومجالي عمل **Applied Linguistics** بعد عرضه النظري لها **Theoretical Linguistics**، إذ يقول في آخر ما كتب فيهما ما مضمونه: ولا يدرك هذا جميعاً إلاّ من أوتي حظّاً بلاغياً وذوقاً روحياً[10]. وقيل أيضاً انّ بداياتها ظهرت في كتاب الجاحظ المفقود: «نظم القرآن» وبعد ذلك عند الزمخشري في كتبه التي تعنى في التفسير

والبلاغة، ولا سيما في معجمه اللغوي «أساس البلاغة» الذي ضمنه حسّاً بلاغياً ونظراً مجازيّاً، إضافة إلى كونه أصبح رأس مدرسة للمعجم اللغوي الحديث، بعد مدرسة الجوهري قبله المتمثلة في كتابه «صحاح اللغة» الذي رتبه على طريقة «الباب والفصل» أو ما يسمى بمنهج القوافي وهي المدرسة الثانية في المعاجم العربية، وقبلهما جميعاً «مدرسة الخليل» المعروفة بمدرسة المعجم الأصواتي المتمثلة في كتابه «العين»: وهو أوّل معجم لغوي في الدنيا يخطط لكلّ مفردات اللغة، ويقوم على منهج أصواتي دقيق يعرف حديثاً بعلم الأصوات اللغوية: ***Phonology***[١١].

وهناك عامل مهم آخر، هو تجاهل بعضهم أو جهلهم لما في القرآن الكريم من ذخائر ومفاخر، ولما فيه من خزائن ودفائن، ولما يحويه من علوم وفنون، وآداب ورسوم، وحقائق ودقائق؛ جاءت بصورة رموز وإشارات، أو عبارات موجزة معجزة، لتبيان أصول المعرفة، ووسائل الرشاد، إذ هو ليس كتاب فيزياء أو كيمياء، ولا كتاب طب أو هندسة، ولا حتى كتاب فلسفة أو لغة، لكن فيه: ﴿تبياناً لِكُلِّ شيء﴾[١٢] بشكل مجمل كما تشير إليه هذه الآيات الكريمة، لغرض التوجيه والهداية: ﴿ألم * ذلك الكتابُ لا ريبَ فيهِ هُدىً للمتَّقين﴾[١٣] وهذه الرموز والاشارات لا يعلمها إلاّ الله والراسخون في العلم، الذين فتح الله صدورهم للمعرفة والايمان والإسلام: ﴿فَمَنْ يُرِد اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدرَهُ للإسلام﴾[١٤] ومن هذا البعض الجاهل أو المتجاهل واحد من أساتذة الجامعة في قسم اللغات الذي أشتغل مديراً فيه، حيث قال لي نصاً بعد أن أعلن عن عنوان المحاضرة التي اخترت عنواناً لها ***The Quranic View of Language and Linguistics*** والتي ألقيتها بالانجليزية مدعواً من قبل (جامعة طهران) في موسمها الثقافي في عام ١٩٨٧م بأنني قرأت القرآن ولم أجد فيه نظراً حول اللغة وعلم اللغة، متندراً ومازحاً في الظاهر فأجبته بالاسلوب نفسه ***It depends on the reader*** أي يعتمد على من يكون القارئ !!

وكان هذا التعليق منه سبباً مهماً في تحضيري لتلك المحاضرة بشكل أدق وأكثر علمية، وأن أفكر جدياً في تكميل المشروع الذي بدأت فيه منذ مدة مديدة، وأنا أسأل الله تعالى الإلهام والسداد، والتوفيق والرشاد، حتى فتح الله عليّ بلطفه وفضله بما

أعرضه اليوم من نظرية وحدة المعرفة في ضوء اللغة والعرفان.

والسؤال الأوّل والأساس الذي نسأله هنا ونحاول الاجابة عنه، يتعلق بشكل النظرية وبنيتها «النونية» ذات العلاقة «بالتنوين» الذي دخل الانجليزية في كتب اللغة تحت مصطلح (***Nonation***) وهذا التنوين من دلالاته في العربية الدلالة على «الوحدة» في مثل قولك: كتابٌ = كتاب + ن ، وقلمٌ = قلم + ن ، ويدل على الواحد والوحدة، ونحن نعلم أنّ ضرب هذين المثالين المختارين عن قصد للاشارة «لكتاب الطبيعة المفتوح» و «قلم الوجود السُبّوح» إذ **﴿وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾** [15] وكذلك هو الشعر العرفاني:

وفي كل شيءٍ له آيــة تــدل عـلى أنّـه واحـد

وما شاكل وشابه، يوضّح الدلالة على الوحدة والتوحيد.

وأمّا لماذا حرف النون بهذا الشكل / ن / ولماذا هي خمسة نونات أساس ذات نقطة واحدة، ولماذا هذا الشكل القلمي العمود ***Column*** الذي يربط المخلوقات جميعاً بخالقها الواحد الأحد، إذ هو «الصادر الأوّل ولا يصدر عن الواحد إلاّ واحد» وأنّ كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه هي السُّفلى، وأنّها تقوم على رمز الدائرة: / ه / التي يشار بها إلى ضمير في العربية يدل عليه، وأنّ كل شيء في الوجود هو ملكه ويرمز إليه بلام الملكية: / له / أو كل شيء يعود إلى الأوّل الذي هو الآخر، وهو معنى المعاد أي «العود» /إليه/: **﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾** [16] وقد يشار في كلمة «الله» إلى دائرتي الكمال والجمال، أو إلى دائرتي الجلال والجمال هكذا: /اللّه / اللّتين منهما صدر عالم الإبداع والخلق المتمثل بعالم «القلم الواحد» رمز «وحدة عالم الإمكان» الذي يحكي عن رمز «وحدة عالم الوجوب»، وأنّ مركز «عالم الإمكان هو عالم الإنسان» وأنّ عالم الإنسان هو واحد أيضاً وذات حقيقة واحدة، وإليه جاءت «الأديان» التي هي أيضاً ذات طبيعة واحدة وهدف واحد، وأنّ الإنسان هو المخاطب ـ بالكسر والفتح ـ الوحيد الذي يستطيع أن يعرف «لغة الخطاب» و « كلام الربّ» الحاكي عن «وحدة اللسان» التي عبّر عنها في لغة القرآن «بالبيان». وأنّ هذه «النونات الخمسة» في النظرية النونية رمز لـ«وحدة المعرفة» هذه التي أشير إليها في أوّل سورة الرحمن: **﴿الرَّحمٰنُ * عَلَّم**

القُرآنَ * خَلَقَ الانسانَ * عَلَّمَهُ البيانَ﴾ [17]، كما سنستدل على ذلك بآيات القرآن الأخرى التي تبتنى عليها هذه النظرية في حينه.

وأمّا لماذا هذه «النقطة الواحدة»؟ أوّلاً انّها تدل على المركز الواحد، وثانياً انّها في العربية ولاسيما في رسم بعض المصاحف كدائرة صغيرة إشارة إلى ما أوضحناه من كمال رسم الدائرة وجمالها بالرسم الهندسي، مضافاً إلى ذلك أنّ البداية في الدائرة هي عين النهاية، وأنك تبتدئ من حيث تنتهي بها، وتنتهي من حيث أنك تبتدئ، وهي إشارة إلى «المبدأ والمعاد» معاً، وإلى وحدة الوجود هذه. وأنّ النقطة في العربية تدل على «الفصل» من ناحية وعلى «الوصل» من ناحية أُخرى، وذلك في معنى «نقط» و «رقط» و «فقط» في «الإبدال التصديري» لها، وأمّا في «الإبدال التذييلي» ففي مثل: «قطع» و «قطر» و «قطف»، وأمّا في «الإبدال المكاني» والإبدال الأصواتي الآخر ففي مثل: «نطق» الذي هو «المنطق» وأننا نشير في نظريتنا هذه إلى المعادلة: المنطق (النطق) = المنطق (العقل). وأنّ «العقل» هو «الصادر الأوّل» في بعض الروايات الأخرى «كالقلم» الذي علّم الله تعالى به الانسان وحده هذه «المعرفة الإلٰهية» العالية «الحكمة المتعالية»: ﴿اقرأ بِاسم ربِّكَ الّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ * اقرأ وَرَبُّكَ الأكرَمُ * الّذي عَلَم بِالقلم * عَلم الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ [18] إذ علّمه هذا العلم الذي عجز عنه الملائكة وهو «عِلمُ الأسماء» و «علم التسمية» و «علم المسميات» وعلم «النُّطق» و «المنطق» و «البيان» الذي يعجز غيره عن تعلّمه: ﴿وعلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضهُمْ على الملائكةِ فقالَ أَنبِؤُني بأسماءِ هؤُلاءِ إنْ كُنتُم صادقينَ * قالوا سُبحانَكَ لا عِلمَ لنا إلاّ ما عَلَّمتَنا إنّكَ أنتَ العَليمُ الحكيمُ﴾ [19] وإنّ هذا العلم هو هذه «الولاية» و «الخلافة» و «الامامة» و «الأمانة» التي عرضت على المخلوقات الكبيرة الأخرى فأبت أن تعلمها وتحمل هذا العلم الوزين: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السماواتِ والأرضِ والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسانُ﴾ [20] وهذه الأمانة هي هذه «الولاية الحقة» وهذا العلم الرحماني، والمعرفة الإلٰهية، ويرمز لها بتلك النقطة التي كما قيل عنها: «العلم نقطة كثّره الجاهلون» وهذه النقطة الواحدة هي خلاصة التوحيد وخلاصة الوحدة المتمثلة في «نقطة الباء» في «بسم الله الرحمٰن الرحيم» وفي

البسملة هذه يكمن سرّ المعجزة في قوله تعالى على لسان سليمان النبي الذي عُلِّمَ «منطق الطير» وسائر أنواع «المنطق»: ﴿إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[21]. وهذه البسملة هي التي تحمل معنى كل سورة وتتصدر وجوباً في كلّ منها إلّا في «سورة البراءة». وفي البسملة هذه تتلخص معاني كلّ السورة، وهي واحدة في الجميع رمزاً لوحدة المعرفة، وأنّها «إحدى آيات سورة الفاتحة» السورة التي تسمى بالكافية والشافية والوافية[22]، التي تكفي وتشفي، وهي خلاصة القرآن، وفيه تتخلّص وتتلخص كل معانيه، وهي التي لا تكون «صَلاة» و لا «صِلات» مع الربّ إلّا بواسطتها وبواسطة معانيها التي تحوي «أُصول الدين» و «فروعه» مُلَخَّصة، وفيها «الصراط المستقيم» الذي هو «طريق لا نهائية» و «سير تكاملي عرفاني» نحو المبدأ الذي هو معاد. وهذه النقطة التي هي الهدف النهائي للسير اللانهائي، ومن هنا قيل: «طلب الكمال هو الكمال»، وهذا السير هو يَعْبُرُ عالم الدنيا إلى «البَرْزَخ» ﴿بينهما بَرزَخٌ لا يبغيان﴾[23] ومنه إلى الآخرة التي هي «أبد الآبدين» ويحمل الإنسان معه «منطقه» و «لغته» و «عقله» و «عمله» و «روحه» بعد فناء جسده «وعدم آدميته»[24] المتمثلة في جسده، وأما روحه العملاقة هذه فهي خالدة في سيرها التكاملي المعرفي، إذ أنّها كما يقول صدر المتألهين الشيرازي: «جسمانية الحدوث وروحانية البقاء» وأنّ «العقل» هو أحد نشاطاتها وتجلّياتها، وهو منطقها الذي يعقل الأشياء ويحددها في كلمات ومفردات، كما هي «دلالة عقل»[25] في العربية على «التحديد» وهو الذي «يعقل نفسه وتعقله النفس» وهو المخلوق الوحيد الذي يكون «عاقلاً ومعقولاً» في الوقت نفسه لبساطة وجوده، إذ هو من «عالم المجردات» الذي يسمو على «عالم الماديات»، وتلك القدرة المجردة العقلانية هى «قُدرةُ البيان» التي يمتلكها جميع أفراد الإنسان والتي عُبِّر عنها في نظرية جومسكي ***Chomsky*** وغيره من اللغويين بقوة النطق ***Competence*** أو ***Faculty of Articulation*** ولكنّ التنوع في الألسنة أو ما يسمّى ***diversity*** في اللغات المتكلِّمة: كالعربية أو الفارسية أو الانجليزية وما إليها، هي الجوانب «المادية» لقوة البيان والنطق تلك، وفي هذه القوة خلاقيّة عجيبة ***creativity***[26] أشار إليها القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة: ﴿ومن آياته خلقُ السموات والأرض واختلاف

ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالِمِينَ﴾[٢٧] وهذه «الألسنة» و «الألسـنية» المتنوعة هي مجال بحث «العالِمِينَ»: العلماء المتفكرين في اختلاف اللغات واللهجات، والأصوات والدلالات، وهم علماء اللغة المعنيون الذين يصطلح عليهم في الانجليزية **Linguists** وهم الذين يدرسون «اللغة لذاتها» كعلم خاص أصبح يُطلق عليه ـ كما أشرنا مراراً ـ **Linguistics** وقد ترجم إلى العربية «بعلم اللغة»، أو «علم اللسنيات» أو «علم الألسنة»[٢٨].

ومن الطريف جداً أن نلاحظ حول هذه «النقطة» أو «الدائرة الصغيرة» التي هي مدار البحث وبواسطتها تكون النون نوناً، والتي هي في الحساب والرياضيات ذات دلالة على «الصفر» الدلالة التي طوّرت علم الرياضيات وأوصلت هذا العلم إلى ما وصل إليه من تقدم معرفي عظيم في عالم الفضاء والحاسبات وهو من ابداع علماء الإسلام وتدل كلمته العربية «صفرٌ» على **Zero** المشابهة لها في الانجليزية وفي غيرها من اللغات الأوربية، وأن نلاحظ التشابه الأصواتي والدلالي بين النقطة وبين «نكته» بالفارسية، وكذلك هي متشابهة صوتاً ودلالة في كلمة **note** الانجليزية بتغيّر أصواتي جزئي حسب مقتضيات النظام الصوتي لكل لغة، وكذلك هي في سائر اللغات المتفرعة عن اللاتينية. ونحن نشير هنا إلى بعض اشتقاقاتها في الانجليزية في مثل **notice** اسماً وفعلاً، وكذلك **notation** اسماً آخر **in notation** بالدلالة نفسها ومنها **innote** و **annote** و **annotation** و **denote** و **denotation** وتعود جميعاً إلى اللغة اللاتينية للدلالة على المفرد **denotatum** وللدلالة على الجمع **denotata** وأنّ علم اللغة الحديث **Modern Linguistics** يولي وجهه بأخرة في السبعينات والثمانينات إلى التركيز على هذه **denotata** ويجمع لها **data** المفردات الدلالية والمعطيات المعنوية لتدرس في علم المعاني **Semantics** أو قل «علم السِّمات».

وأنّ الهدف الذي نريد أن نصل إليه ونعبّر عنه من خلال هذه «النقطة» الشكلية والرمزية هو الهدف اللفظي والمعنوي، بل قل أبعد من ذلك هو «معنى المعاني» **the meaning of meaning**[٢٩].

وعلى أية حال، إنّ هذه النقطة هي مركز هذه النظرية: «نظرية وحدة المعرفة»

وهي رمز الدائرة الصغيرة التي هي رمز الكمال والجمال والجلال، وهي، وإن أشرنا إلى بعض أشكالها الرياضية بدلالتها على «الصفر» الذي قفز بعلم الرياضيات هذه القفزة العظيمة، لكنّ البحث العرفاني هنا هو أرقى من عالم «الرياضيات» الذي هو مباحث مهما تعقّدت في «عالم الكمّ» و «عالم الأعراض» حتى ولو كانت «النظرية النسبية» لأنشتين والنظرية الحديثة المعروفة في الفيزياء الرياضية، أو الرياضيات الفيزياوية ***Quantum theory*** [٣٥]. إذ أنّ دلالة الوحدة في هذه «النقطة العرفانية» خارجة عن العدد، وهي أشبه بدلالة «أحد» في تفسير سورة الاخلاص، «الواحد الذي لا ثاني له» وهو خارج عن قيود الزمان والمكان والكمّ والكيف والجنس والنوع، وما شاكل وما شابه من قيود وحدود، إذ دلالتها هنا أقرب إلى الدلالة على عالم المجردات، بل «مجرد المجردات» وكما جاء في القرآن الكريم في الكلام على الواحد الأحد ووصفه: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [٣١] ولو تحدثنا عن رمز هذه النقطة والتي بواسطتها تكون النون نوناً دلالة على الوحدة والتوحيد ـ كما ذكرنا ـ لما انتهى الحديث ولو ملأنا الصفحات والكتب، والمجلدات والموسوعات، والمكتبات والخزانات، بل كل عالم الممكنات **﴿ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يمدُّهُ من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نَفِدتْ كلماتُ الله إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ﴾** [٣٢].

وهذا سنقتصر على ما تقدم مكتفين بهذه الإشارة التي هي خير من عبارة، وإذا ما شاهدنا في «دلالة النون» في العربية على «الحوت» [٣٣] وصاحبها الذي كان يسبّح في بطنها، فهي إشارة إلى قوله: «لا إله إلاّ الله»: الوحدة والتوحيد، بدليل قوله تعالى: **﴿وَذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لن نقدر عليه فنادى في الظُلُمات أن (لا إله إلاّ أنتَ) سُبحانكَ إنّي كُنتُ مِنَ الظالمين﴾** [٣٤] وقد تظهر دلالة النون على الوحدة في الانجليزية بشكل كلمة ***One*** وفي الفرنسية ***Une***. وكذلك هي في سائر اللغات المتفرعة عن اللاتينية حسب تنوعات أصواتها، كما تُسمى الوحدات في الانجليزية ***Units*** والاتحاد ***Union*** ومن الجذر نفسه تتكون النظرية الكونية ***university***، ذات القواعد والقوانين الموحّدة في مختلف أبعاد النظرية، وكذلك هو الأمر في تسمية نظريتنا ***Unitheism*** في الدلالة على «وحدة المعرفة» في المقطع ***uni*** وعلى «وحدة الذات» في

المقطع the وعلى «وحدة الأسماء» والتسمية في المقطع ism كما سنفصّل القول في حينه، وهذه النون هي «نون الأمر» الذي أشار إليها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿كن فيكون﴾ [٣٥] ﴿وما أمرُنا إلاّ واحدةٌ ...﴾ [٣٦]، وإذا ما تكررت النون في الكلمات والاشارت، فكما تتكرر «النقطة على النقطة» ولا تزداد إلّا وضوحاً تلكم الوحدة. وقد رمزنا لنظريتنا هذه «بخمس نونات» للدلالة على «وحدة الرحمن» في عالم الوجود، و «وحدة عالم الإمكان» في وحدة الخلق: «ربنا ما خلقت هذا باطلاً» [٣٧] بدلالة «هذا»، و «وحدة عالم الانسان» مركز هذه المخلوقات ومن أجله خلقت، و «وحدة عالم الأديان»: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ [٣٨] و «وحدة عالم اللسان» ﴿علّمه البيان﴾ [٣٩] وان تنوع حسب تطور الزمان والمكان والإنسان في لسان عربي ولسان أعجميّ: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم﴾ [٤٠] و﴿الر تلك آياتُ الكتابِ المُبين * إنّا أنزلناهُ قُرآناً عربياً لعلّكم تَعقِلون﴾ [٤١] وهذا القرآن الكريم هو مُبين لكل شيء، ومن هذه الأشياء: «اللغة» و «علمها» الذي نبحث عنها في هذه المقالة، في ضوء نظرية وحدة المعرفة هذه، وقد عرّف لنا القرآن الكريم اللغة كقوة النطق والمنطق الواحدة المعطاة للانسان باصطلاح «البيان» كما أشار إلىٰ «علم اللغة» و «العلماء» المعنيين باختلاف تنوّعات هذا البيان كألسنة وألوان شتّى في قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين﴾ [٤٢] فعلماء اللغة والمعنيون بدقة اختلاف الألسنة وأنظمة أصواتها ودلالاتها هم القادرون على معرفة قوة البيان الواحدة هذه في الانسان، كما أنّ اختلاف الألوان في الناس لا يعني تعدد الانسان، بل النوع الواحد الذي يتنوع بمصاديق وأشخاص من ذكر وأنثى وشعوباً وقبائل، لغرض التعارف و «المعرفة الواحدة» ﴿يا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لِتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [٤٣]. وهذه التقوى هي المعرفة الإلهية الراقية التي تقود الانسان إلى أرقى درجات العلم الإلهي والمعرفة الحقّة: ﴿واتّقوا الله ويُعلِّمُكُمُ اللهُ والله بِكلِّ شيءٍ عليم﴾ [٤٤].

﴿قُل آدعُوا الله أو آدعُوا الرَّحمٰن أيّاً ما تَدعُوا فَلَهُ ٱلأسماءُ الحُسنى﴾[٤٥].

النون التي نبحثها هنا هي التي أشرنا إليها في «مدخل النظرية» وهي تلك النون التي تدلّ على «الوحدة» سواء جاءت على شكل حرف أم صوت، ساكنة أم متحركة، أو برسم النون أم التنوين **Nonation** أو بصورة كلمة عربية أم أعجمية، بسيطة أم مركّبة، مخففة أم مؤكّدة[٤٦]، في الضمائر أو الأسماء الظاهرة، وما إلى ذلك من صور وأشكال، فهي النون «المدلول» والمعنى، وليست النون «الدال» والمؤشّر، بل تلك «الدلالة» المجرَّدة، والرابطة الواحدة، رابطة الوجود البسيط، أو «الحقيقة البسيطة» بمفهومها الفلسفي العرفاني التي رمزنا إليها هنا بـ«نون الرَّحمن» أو النون الأُولى التي تدلّ على الوحدانية في «عالم الله» الذي هو «إله واحدٌ»: ﴿وإلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ لا إلٰهَ إلاّ هُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ﴾[٤٧] أو قل «عالم الوجوب» الذي يقابل «عالم الإمكان»، وإن كان كلا العالمين يدل على «الوحدة» في ضوء «نظرية المعرفة» هذه؛ إذ «لا يصدر عن الواحد إلّا الواحد» بهذا المفهوم المعرفي الذي تقرّره الحكمة الإلهية المتعالية عند الفلاسفة المسلمين، ولاسيا عند صدر المتألهين «الملّا صدرا الشيرازي» المقولة التي بلورها في كتابه الشهير (الأسفار)[٤٨].

والفرق بين النونين، أو بين وحدة «عالم الوجوب» ووحدة «عالم الإمكان» وما يضم ويتضمن من نونات، كبير وشديد في ضوء «مقولة التشكيك» فهو في «عالم الوجوب» بسيط بسيط، وفي منتهى البساطة الفلسفية، والتي عبّر عنها بالحقيقة البسيطة، أو «بسيط الحقيقة» وقد ذكرنا تعريفه سابقاً: ـ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وليس بشيءٍ منها، وواجب الوجود بالذات واجب من جميع الجهات ـ «وأنّ وجود واجب الوجود ووجوبه نفس حقيقته»[٤٩] بعكس «عالم الإمكان» الذي سنبحثه في «النون الثانية» فهو «وحدة إمكانية» أو «وحدة كونية» لها مكوِّنات، وكائنات، وكلها قائمة بعالم الوجوب وحدُّها: استواء الوجود والعدم فيها. وهي أشبه بالإنسان: «هذا الكون الصغير الكبير» وإنْ كان في «جوهره واحد»؛ غير أنّه من حيث «الماهية» أو «المائية»: مركّب من جنس وفصل، وروح وجسد وجواهر وأعراض، وأعضاء

وأطراف، وعناصر ومكوِّنات، والكون الكبير هو كذلك، قُل عنه «إنسان كبير» ذو ذرّات وكائنات، وكُرات ومجرّات، ودوائر ومدارات، وماديّات، ومجرَّدات، وجميعها تنسحب تحت مصداق «الممكنات» ويضمها «كَونٌ واحدٌ» وهو بالفارسية «جهان» وبالانجليزية **universe** أو **union** وكذلك في بقية اللغات الأوربية، وهي جميعاً متساوقة صوتاً ودلالة، وتدلّ على وحدة واتحاد، وكذلك هي غالباً في مختلف اللغات واللهجات والصيغ والاشتقاقات، عندما يكون المنظار بالتسمية واحداً، وإذا كان ثمّة اختلاف في الألفاظ والأصوات، فهو ناتج عن تطوّر تلك الأصوات حسب العصور والأزمان، وحسب تغيّر المقتضيات الصوتية والدلالية في أنظمة اللغات، كما عرضنا لذلك مِراراً، وربّما فصّلنا القول على ذلك في بحث «النون الخامسة»: التي هي نون «وحدة البيان» ـ موضوع اللغة وعلم اللغة الذي نبحثه في ضوء نظرية وحدة المعرفة هذه ـ بعد العرض إلى «النون الرابعة»: التي هي نون «وحدة الأديان»، و«الثالثة»: التي هي نون «وحدة الإنسان»، والإنسان: هو مركز عالم الإمكان، ومن أجله خلقت الأشياء: كما جاء في الحديث القدسي: «خلقتُ الأشياءَ لأجلك، وخلقتُك لأجلي» وواضح جداً بأنّ الله تعالى ليس محتاجاً إلى أحد، غير أنّه خلق الإنسان هذا المخلوق العجيب «على صورته» [٥٠] ليكون خليفة له، ويتخلّق بأخلاقه، وإذا ما أمعن في طاعة الله فسيصل إلىٰ درجة «عبدي أطعني تكن مثْلي ـ أو مَثَلي ـ تَقُلْ للشيء كُنْ فيكون» فعند ذلك يستحق تسخير جميع المخلوقات، وفي ضوء تسبيحه لله تسبِّح سائر المخلوقات والممكنات معه: ﴿ولقد آتينا داوُدَ منا فضلاً يا جبالُ أوِّبي معهُ والطَّيرَ وألَنّا لَهُ الحديد * أنِ اعملْ سابغاتٍ وقدِّرْ في السَّردِ واعملوا صالحاً إنّي بِما تَعملون بَصيرٌ * ولِسُليمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شهرٌ ورواحها شهرٌ وأسلنا له عينَ القِطرِ ومِنَ الجِنِّ من يعملُ بين يديهِ بإذنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أمرنا نُذِقهُ مِنْ عَذابِ السَّعيرِ﴾ [٥١].

وخير ما يوضّح الفرق بين النون الأولى: «وحدة الرحمن» والنونات الباقية من «عالم الإمكان» الحديث التوحيدي الوارد في «الكافي» عن أبي الحسن ـ عليه السلام ـ حين استوضح منه الفتح بن يزيد الجُرجاني عن ذلك بقوله: «قلت لا يشبهه شيء، والله واحد، والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوحدانية؟ قال: يا فتحُ أحلْتَ

ثبّتك الله. إنّما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دالّة على المسمى، وذلك أنّ الإنسان، وإن قيل واحد، فإنّه يخبر أنّه جثّة واحدة وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأنّ أعضاءه مختلفة وألوانه مختلفة.. وكذلك سائر ـ جميع ـ الخلق، فالإنسان واحد في الإسم، ولا واحد في المعنى، والله ـ جلَّ جلالُه ـ هو واحد لا واحد غيره، لا اختلاف فيه ولا تفاوت، ولا زيادة ولا نقصان، فأمّا الانسان: المخلوق المصنوع المؤلّف من أجزاء مختلفة وجواهر شتّى غير أنّه بالاجتماع شيء واحد»[٥٣].

ولمعرفة «الحقيقة الرحمانية» أو «حقيقة الحقائق» هذه، أو «الوحدة الحقّة الحقيقية» نورد الحوار العرفاني الراقي، والمكالمة المعرفية العالية، التي دارت بين إمام المتقين، أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ وصاحبه وكُميل أسراره «كُمَيْل بن زياد النخعي» راوية الدعاء المشهور باسمه، عثرنا عليه في مخطوطة محفوظة في مكتبة الدائرة الهندية في لندن ومشروحة بأسلوب عرفاني بالفارسية، وقد أعددناها للطبع محقّقة، وفيما يأتي نص المحاورة:

ـ «ما الحقيقة؟

قال الإمام ـ عليه السلام ـ: ما لَك والحقيقة؟

فقال كُميل: أوَلَستُ صاحِبَ سِرِّك؟

قال: بَلى، ولكن يترشَّحُ عليك ما يطفحُ منّي /إليكَ/[٥٢].

فقال كميل: أوَمِثْلُك يُخيِّبُ سائلاً؟

فقال الإمام: كَشْفُ سُبُحَاتِ الجَلالِ منْ غير إشارَة.

فقالَ: زدْني بَيَاناً.

قالَ: مَحْوُ المَوْهُومِ مَعَ صَحْوِ المَعْلومِ.

فقالَ: زدْني بياناً.

فقالَ ـ عليه السلام ـ: هَتْك السّترِ لِغَلَبَةِ السِّرِّ.

فقالَ: زدْني بياناً.

فقال ـ عليه السلام ـ: نُورٌ يُشْرِقُ مِنْ صُبْحِ الأزَل، فَيَلُوحُ على هَيَاكِلِ آثارِهِ.

فقالَ: زدْني بياناً.

فقال ـ عليه السلام ـ: أَطفِئ ٱلسِّراجَ فَقَدْ طَلَع الصُّبْحُ» [٥٤].

وبالنسبة للآية المتصدّرة عنوان البحث فهي تأمر بدعاء «الله» أو «الرحمن» أو سائر الأسماء الحُسنى، لأنّ الحقيقة واحدة، والذات المقدسة هي «الذات» وما سواها صادر عنها، وعارض قائم بها، وهي موضوع النظرية في وحدة المعرفة التي أطلقنا عليها بالانجليزية ***Uni_the_ism*** ونحن نرى أنّ ***the*** هي إشارة إلى هذه الذات، وهي متشابهة صوتاً ودلالة في مختلف اللغات، فإذا كان المقام «مقام شهود» وحضور، فالخطاب يكون بـ ***thy*** و ***thou*** و ***thee*** [٥٥] في الانجليزية القديمة المقابلة لكلمة ***You*** المعاصرة ذلك الضمير الذي يأتي بالفرنسية على شكل ***vous*** غير منطوق السين، وهو يقابل «تو» بالفارسية، و «اتّ» بالعبرية وترسم هكذا « » و «انت» بالعربية، وهكذا في سائر اللغات التي تنعكس فيها المصطلحات الدينية بشكل متشابه، وهي الأداة التي تتصدر في الانجليزية أمام كلّ اسم وتعطيه صفة «العَلَميّة» في مثل ***the book*** الكتاب ويصطلح عليها ***definite article*** وهي تقابل (***la***) و (***le***) في الفرنسية و (***des***) و(***dei***) في الألمانية و «أل» في العربية، وقد أشرنا إليها في مبحث «الولاية» وبعض صورها «إل» ـ بالكسر ـ وهي تدل على «الإله» وهي هي في الكلمات المقدّسة، وأسماء الجلالة، في مثل كلمة «الله» أو «إلوهيم» في العبرية، وهي هي «يد القُدرة» التي تأتي في التركية مشدّدة «ألّ» بمعنى اليد عموماً [٥٦].

وأمّا بالنسبة للمقطع الأوّل (***uni***) فهو هو (***one***) في الانجليزية أو (***une***) في الفرنسية، أو «التنوين الدالّ على الوحدة» في العربية.

وأمّا المقطع الآخِر (***ism***) فهو هو الاسم صوتاً ودلالة، الذي يعطي للمعاني «معناها المطلق المصدريّ» وتتحول إلى أفكار ومفاهيم، ويقابلها في العربية ما يصطلح عليه بـ «المصدر الصناعي» الذي يضيف إلى الكلمة كاسعة ***Suffix*** « ... يه» حيث تلعب الياء دوراً مهماً في مقطع (***ism***) في اللغات المتفرّعة عن اللاتينية وفي مقطع « ... يه» في اللغات المتفرعة عن السامية، كما أنَّ الميم والنون تتبادلان في كثير من اللغات، ويقابل التنوين في العربية التميم في العبرية، وقد استعمل المورفيم ***morpheme:*** (***ism***) في اللغة الفارسية المعاصرة في كثير من المفردات والمصطلحات المستعارة من اللغات

الأوربية، بل ذهبوا أبعد من ذلك في صياغة «مصادر صناعية» مشابهة من جذور الكلمات الفارسية أو العربية في مثل «روحاني ـ اسم» مشاكلة للمصطلحات «كابيتال ـ اسم» و «سوسيال ـ اسم» وما شاكل وشابه، مقابلة ـ بالمعنى التقابليّ في مصطلحات علم اللغة الحديث ـ لمصطلحات «روحانية» و «رأسمالية» و «اشتراكية» والصواب في ترجمة مصطلح «سوسياليسم» هو «الاجتماعية»، لأنّ جذرها يحكي ذلك، وكذلك **Socially** و **Society** وسائر الاشتقاقات الأخرى، في حين أنّ الاشتراكية تقابل مصطلح **Communism** وترجمتها الشهيرة في العربية هي الشيوعية، والأدق اصطلاحاً هو الاشتراكية.

وإذا ما بنت الاشتراكية العِلمية نظريتها على ما يصطلح عليه بالفارسية المعاصرة بـ «تيز» و «أنتي تيز» نقلاً عن الفرنسية التي هي **these** و **antithese** والتي تقابل الانجليزية **thesis** و **anti thesis** وقد ترجمت إلى العربية بالأطروحة وضدّ الاطروحة، غير أننا نرى «وحدة هذه الاطروحة المعرفية» في ضوء نظرية «وحدة الوجود» التي تقول: «الوجود لا ضدّ له » وهذه الوحدة ليست تركيبية كما جاء في المصطلح الثالث بعنوان **syn these** في الفرنسية **syn thesis** في الانجليزية، بل هي **uni thesis** العنوان التي تقوم عليه نظريتنا **unitheism** والتي تبحث عن «وحدة الذات» أوّلاً، وهي غاية الحكمة التي يحلم بالوصول إليها الفيلسوف الحكيم، ومنتهى «العلم التامّ» الذي يطمح إليه العالم العليم، وهيهات هيهات، إذ جاء على لسان ابن سينا في كتابه (التعليقات): «الحكمة: معرفة الوجود الواجب وهو الأوّل، ولا يعرفه عقل كما يعرف هو ذاته، فالحكيم بالحقيقة هو الأوّل، والحكمة عند الحكماء تقع على العلم التامّ، والعلم التامّ في باب التصورات أن يكون التصوّر بالحدّ، وفي باب التصديق أن يعلم الشيء بأسبابه إن كان له سبب، فأمّا ما لا سبب له، يتصوّر بذاته، ويعرف بذاته، كواجب الوجود، فإنّه لا حدّ له، ويتصوّر بذاته، لا يحتاج في تصوّره إلى شيء، إذ هو أوليّ التصوّر، ويعرف بذاته؛ إذ لا سبب له» [٥٧]، وهذه الحقيقة هي تجلّي الذات المقدسة للذات نفسها، ولغيرها من خلال أسمائها، وبتجلّيها هذا هو دليل الذات على الذات، كما جاء في دُعاء الصباح للإمام علي ـ عليه السلام ـ: «يا مَنْ دَلّ على ذاتِهِ بِذاتِه،

وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجَلَّ عن ملائمة كيفيّاته»[٥٨]، وهو برهان الصدّيقين.

والمعنى الذي تدل عليه هذه الأسماء الحُسنى هو واحد، وهو هذه الذات المقدسة، غير أنّ الكلمات كثيرة، ومن أكملها، بل أكملها هي كلمة «الله» وكلمة «الرَّحمن» وهما من أسماء الله الخاصة، ولا يمكن تسمية غير الله تعالى بهما، غير أنّ بعضهم قد يُسمّي بالرَّحمن تجوّزاً وتسامحاً، أو اختصاراً بحذف المضاف، وهو كلمة «عبد» من «عبد الرحمن» وعلى أيّة حال، فقد عرضت الكتب الحديثيّة العرفانية، والمصادر الكلامية الفلسفية عند المسلمين لأسماء الله تعالى، ونصّت على أنّها مختصرة في تسعة وتسعين اسماً، وتلك الأسماء المقدسة قد لُخِّصت في أربعة: هي «الأوّل والآخِر، والظاهر والباطن»[٥٩] وهذه الأربعة ملخصة في اثنين هما: الله والرّحمن. وأنّ اسم «الله» هو الاسم الأعظم، والاسم الجامع المستجمع لجميع الصفات، وان كتابته ورسمه بهذه الصورة «الله» ـ بدائرة واحدة في آخره ـ إشارة إلى صفة الكمال التي هي متجلّية في بعض الرسوم الخطية هكذا «اللّه» ـ بدائرتين ـ إشارة إلى صفتي الجلال والجمال، اللتين ترجعان إلى الذات الواحدة، إذ كل صفات الجمال لابُدَّ وأن تنتهي إلى صفات الجلال، وهكذا كلّ صفات الجلال لابُدَّ وأن تنتهي إلى صفات الجمال، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً بقول الشاعر العارف:

عِبَاراتُنا شتّى وحُسْنُكَ واحِدٌ　　　وَكُلٌ إلى ذاكَ الجَمالِ يُشِيرُ[٦٠]

كما أنّ صوت الهاء الذي يرمز له بالدائرة، هو «صوت النَّفس» الذي تسبِّح به كل المخلوقات الحيوية، وكلها حيَّة في نظر العارفين، وكلّها يسمع ويرى ويتنفس وجوداً «رحمانياً» ويسبّح بلغته الخاصة، ومنطقه الوجودي التوحيدي: ﴿وإنْ مِنْ شيءٍ إلاّ يُسبِّحُ بِحمدِهِ ولكن لا تَفقهونَ تَسبيحَهُمْ﴾[٦١] والنقص والعيب إن وجد، ففي معرفتنا، وناتج عن غفلتنا نحن. وأما الأنبياء والأئمة والأولياء، فقد عُلِّموا «منطق الطير»[٦٢] وغيره؛ ويشاهدون الوجود جميعاً بالعلم اللّدني.

ونحن هنا اخترنا اسم «الرحمن» لارتباطه الوثيق بعلم البيان، الذي هو اللغة وعلمها، والمعرفة وطرقها بالمفهوم الأوسع الأشمل، علماً بأنّ كل اسم من أسماء الله تعالى له أنواره وتجلياته التي تظهر على «هياكل آثاره» التي ألمح إليها الإمام علي ـ

عليه السلام ـ بالنصّ المتقدم. ومن أظهر آثار الرحمن وتجلياته، كما جاء في «سورة الرحمن» هو «علم البيان»: هذا العلم الذي بواسطته ووساطته يحصل «علم القرآن» وهو الهدف الأسمى من «خلق الانسان» هذا المخلوق الفريد، والمخاطب ـ كسراً وفتحاً ـ العتيد، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحمن * علَّم القُرانَ * خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمَهُ البيانَ﴾ [٦٣]، وإنّما قدّم وأخّر في هذه الآيات لغرض بلاغي معرفي، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، حيث الغاية ـ وهي علم القرآن ـ وإن كانت النهاية وصولاً، لكنها هي البداية دوافعَ وذاتاً وفطرةً في عالم العلل والمعلولات، والأسباب والمسببات [٦٤]، وبالنسبة لله تعالى تتضح المسألة في كون «المبدأ» هو «المنتهى» «إلى ربِّكَ المُنْتَهى» [٦٥] والأوّل هو الآخِر، والظاهر هو الباطن، والمعاد يكون إليه، ولا معاد إلّا إلى مبدأ وبداية، وهو معنى العَوْد الحقيقي المتضمن «إنّا لله وإنّا إليه رَاجِعونَ» [٦٦].

وإنّ هذه «النون» التي قُلنا بأنّها تدل على «الوحدة» في مختلف اللغات والحالات، حسب استدلالاتنا السابقة متمثلة بالصوت ـ والرسم ـ الذي هو من «الحروف الذُّلْق» أو «الذولقية» التي يشترك في أدائها الأصواتي طرف اللسان، واللثة، وجوفا الفم والخيشوم بشكل فعّال، وتعطي الكلمات «رنيناً» و «أنيناً» و «نايا» عرفانياً في علم التوحيد والتجويد، ويعبّر عنها بالغُنّة ناقصةً وكاملة، لعلاقة «التنوين» بـ«التنييم» حسب تناغم النظام الأصواتي في «نظم القرآن» وقراءته، ولهذا أمرنا بقراءة القرآن الكريم «تحزُّناً» و «وحَزَناً»، وبذلك تزداد قراءته «تحسُّناً» و «حُسناً» لمراعاة المشاكلة والانسجام الروحاني والقرآني، حسب ما يصطلح عليه حديثاً في علم اللغة الأصواتي ***assimi lation*** ما يُشبه الادغام في حروف «يرملون» الذي تذوب فيها النون انسجاماً، وتَغنىَ تناغماً في ما تجاوره من الأصوات و «الآنّات» وتتحد معها، وتشكّل «وحدة» أصواتية منغّمة تُضفي على المعاني مغاني، وعلى الغِناء العرفاني غَناءً بلاغياً، وطرباً روحانياً، يلمح منه مفهوم «الغناء» الروحاني «وفَناء الفناء» عند العرفاء، الذي هو «عين البقاء» و «حق اليقين» بعد اجتياز مرحلتي «علم اليقين» و «عين اليقين». وقد أطلق على موسيقاها الأصواتية هذه في مصطلحات علم الأصوات الحديث ***nasalization*** اشتقاقاً من ***nasal*** لأنّها أنغموية، وقد جاء في أوصافها

ما يصطلح عليه في علم الأصوات اللغوية بالملامح الصوتية ***distinctive features*** : «جهريّة أنغموية، انفتاحيّة، استفاليّة، إذلاقيّة، غُنيّة غنويّة، سكونيّة»[٦٧] .

وإنّ هذه النون هي التي وردت منفردة في «وحدة نغمية» في فواتح السور، نظير بعض الحروف والأصوات القلائل التي وردت كالصاد، والقاف، وأعطيت الوجود الاستقلالي «والقَسَم التوحيديّ»، كما هي في معناها العرفاني تدلّ على التوحيد و «الوحدة الرحمانية» حيث تجلّت هذه الصفة في هذا الاسم الأعظم من أسماء الله الحُسنى، وهي ﴿التي وَسِعَتْ كُلَّ شيء﴾[٦٨]، على بُعد شمولي أفقي كما جاء في بعض التفاسير والروايات الشارحة لكلمة «بسم الله الرحمن الرحيم» حيث ورد عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: «الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله، وروى بعضهم: الميم ملك الله، والله إله كّل شيء، والرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين»[٦٩] وقد جاء أيضاً تفسير الرحمانية «بالرحمة الخاصة» الراقية التي لا يرقى إليها إلّا عباد الرحمن ـ مفاداً من الآية الكريمة الآتية ـ على بُعد طولي عمودي ـ وهم أولئك الذين جاء وصفهم في القرآن الكريم محيِّراً للألباب: ﴿وعِبادُ الرَّحمٰنِ الذينَ يَمشونَ على الأرضِ هَوْناً وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلونَ قالوا سَلاماً * والّذينَ يَبيتونَ لِربِّهِمْ سُجّداً وقياماً﴾[٧٠].

وهذه العبودية عند عباد الرحمن هي «جوهرة الربوبية» كما جاء في الأثر، وهي مرتبة لا ينالها إلاّ الخواص الكُمَّل من البشر، وهم الأنبياء، والأولياء، والأئمة والعرفاء، الذين تتجلّى في أخلاقهم مضموناً، والذي يذكر عادة في «أوائل الأحاديث الأربعينية»: ﴿الراحمون في الأرض يرحمهم من في السماء، ارحمْ مَنْ في الأرضِ يرحمك من في السماء﴾[٧١] وهذه الرحمة هي على مراتب، وأرقاها مرتبة تجلّي «صفة الرحمانية» وما أكثر الأحاديث التي تدعو إلى التخلّق بأخلاق الله تعالى، وقد مرّ بعضها، وليس من السهل ذلك، بل يحتاج إلى رياضة دائمة، ومعرفة راقية، وتقوى علمية وعملية عالية، لأنّ صفة الرحمانية هي التشبه «برحمة الرحمان» التي وسعت كلّ شيء ولا يستطيع أن يبلغ شأو التمظهر بها إلاّ الرحمانيون وهم محمد وآله الطاهرون ـ عليهم السلام ـ ومن سار على منوالهم من الأنبياء والحواريين ـ قبْلاً زمانياً ـ حيث

أنّهم كانوا أنواراً في العرش مُحدقين، قبل خلق الخلائق أجمعين ـ قَبْلاً رُتبيّاً ـ في عالم المجردات، و «الصادر الأوّل» و «إمكان الأشراف» [٧٢] ، ولذلك جاء في القرآن مؤكداً رحمة النبي محمد (ص) بأنّها رحمة للعالمين جميعاً غير مختصة بزمان أو مكان، أو عالم معيّن، بل ﴿وما أرسلْناكَ إلاّ رَحمةً للعالمينَ﴾ [٧٣] وأنّ تلكم الأنوار النيّرة مظاهر أسماء الله الحُسنى بدليل الآية الكريمة: ﴿وعَلّمَ آدمَ الأسماء كُلَّها ثُمَّ عَرَضهُمْ على الملائكةِ فقالَ أَنبِؤُني بأسماءِ هؤُلاءِ إنْ كُنْتُمْ صادقينَ * قالُوا سُبحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلّا ما عَلَّمْتَنا إنّكَ أنتَ العَليمُ الحكيمُ * قالَ يا آدمُ أنبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلمّا أَنْبأَهُمْ بِأسمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنّي أعلَمُ غَيبَ السَّمٰواتِ والأرضِ وأعلَمُ ما تُبدونَ وما كُنتُمْ تكـتُمونَ﴾ [٧٤].

وببرهان «ثم عرضهم» و «أسماء هؤلاء» وما يتبع ذلك و«هم» رمز «العقل الكلي» و «النفس الكلية» التي أُعطيت قابلية هذه «المعرفة الرحمانية» ومن أجلِّ مظاهرها وأجلاها «تعليم القرآن» ـ نصّاً وتأويلاً ـ هذه القراءة المعرفية الشاملة في الوجود، والهدف الأسمى من «خلق الانسان» ـ ذلك الانسان الكامل أو المتكامل جوهرياً، وأنّ السبيل إلى تلكم المعرفة القرآنية هو «علم البيان» المنعكس في الكتاب المبين والإمام المبين ـ وهما واحد ـ ﴿وكُلَّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مُبينٍ﴾ [٧٥] حسب مدارج الكمال في دائرتي الجمال والجلال، وحسب المقامات والدرجات ﴿يَرفَعِ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنكُمْ والذينَ أوتوا العِلمَ درجاتٍ﴾ [٧٦] وهذه الدرجة الرحمانية الإيمانية تظهر على قسمات وجوه عباد الرحمن، حسب مقاماتهم ودرجاتهم، ومدارجهم وسيرهم في «قوسَي الصعود والنزول» وكل منهم يعود إلى مقامه الصدوري وهذا العود هو المعاد، وكما قيل «العود أحمد» والكل إلى الله راجعون، وحسب معارفهم وأعمالهم ملاقون:

خُلِقَ الناسُ للبقاء فَـظلَّتْ — أمــةٌ يَحْسَــبُونها للـنَّفادِ
إنَّما يُنقلونَ مِنْ دارِ أعـمالٍ — إلى دار شِقوةٍ أو رشَـاد [٧٧]

فامّا ملاقاة «أسماء الجمال» التي من مظاهرها الخلود في جنة الفردوس وجنة اللقاء، وامّا ملاقاة «أسماء الجلال» التي من مظاهرها قهارية الملك القهار والخلود في عذاب النار. وعند ذلك تكون النتيجة ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ جَنَّتان﴾ [٧٨] والعيش في ظلال «سورة الرحمن» التي هي كما ورد «ربيع القرآن» لما ورد فيها من وصف آلاء

الملك المنّان، وامّا ـ والعياذ بالله ـ جهنّم البُعد والحريق في النيران، وما تقدم تـفسير لمعنى «الرحمانية» و «القهارية» والعودة إلى المبدأ على كل حال، لأنّ المخلوقات جميعاً والممكنات عموماً معلولة للعلّة الأولى، وقائمة بالذات المقدسة المطلقة، ووجودها ظلّي مـرآتي، بـعكس آلاء الرحمـن الجـمالية، أو آلاء الجـلال القـهارية، وأن وجـودها «تشكيكي» كما أشرنا إلى «المقولة التشكيكية» بمعناها الفلسفي العـرفاني [٧٩]، وهـي أشبه بوجود الشمعة أمام الشمس في رائعة النهار، وتلك الشمس هي «شمس الحقيقة» التي «تشرق من صبح الأزل». أو قل هي «القطرة» أمام البحر اللامـتناهي ـ بحـر القدرة ـ لكن هذه القطرة، أو القطرات يكون لها وجود عظيم وقـوي حـين تـتصل بالبحر العظيم وتذوب فيه ـ ارادياً إضافةً إلى اتصالها تكوينياً ـ وهي «مرحلة الفناء» بل قل «فناء الفناء» الذي هو ـ كما ألمعنا «عين البقاء» والحياة الأبدية التي تشتغل «بنغمة توحيدية موحدّة» بتسبيح الله وتمجيده، حتى تنسجم هذه النغمات العرفانية في لحن الناي الأزلي الأبدي في السُّبُحات الرحمانية، من سُبُحات الجمال، وتردِّد تلكم النسمات على شفة الخلود:

«كـلُّ شيءٍ مـصيرُهُ للـزَّوالِ غَيْرُ رَبِّي وصالح الأعـمالِ» [٨٠]

ونختم «النون الأولى» بنون «أنا» الحقيقة: الضمير الذي يدلّ عـلى المـتكلّم الواحد، والمتجلّي بالآية الكريمة الآتـية: ﴿فَلَمّا أَتاها نُودِيّ يا مُوسى * إِنّي أنا ربُّكَ فاخْلَعْ نَعْلَيكَ إنَّكَ بالوادِ المُقَدَّسِ طُوىً﴾ [٨١].

الوحدة وعالم الإمكان

قال تعالى:﴿رَبَّنا ما خَلقتَ هَذا باطلاً سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النار﴾ [٨٢].

إنّ فضاء البحث في النون الثانية، أو ما اصطلحنا عليه بنون عالم الإمكان، هو انعكاس مرآتي للنون الأولى وهي نون عالم الرحمان، حيث لا يمكن تصوّر أكثر من عالم واحد في عالم الإمكان أيضاً، وكلّما يُظنّ أنّه خارج عنه فهو داخل فيه، إذ لا يصدر عن الواحد إلّا الواحد: «الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد، وذلك أنَّ من الواجب أن يكون بين العِلّة ومعلولها سنخيَّة ذاتيَّة» [٨٣] وكلاهما يدلّ على وحدة الوجود، لا وحدة

الموجود؛ غير أنّ عالم الرحمان ـ النون الأولى ـ يدلّ على «وحدة واجب الوجود» في ذاته وصفاته وأفعاله، ونون عالم الإمكان ـ النون الثانية ـ تدلّ على «وحدة ممكن الوجود» في جميع صوره وأشكاله، ووجوهه ومظاهره، وأفراده وأشخاصه، وأبعاده وآماده ـ عِدَّةً ومُدَّةً وشدَّةً ـ.

وإنَّ هذه الوحدة في عالم الإمكان مطروقة في البحث الفلسفي الكلامي الذي يتناول الصادر الأوّل، أو أولى الممكنات، أو الأوليات الإمكانية، وكذلك المادة الأولى أو «الهيولى» التي هي حاشية الممكن، أو التشخص الشيئيّ الذي هو وجود واقعي، وكذلك القوة والفعل المجرّد، حيث حدّ الجميع واحد في عالم الإمكان، وهو الاستواء في إمكانية الوجود والعدم، أي غير الضروري بالذات: «والإمكان بالذات، كما في الماهيات الإمكانية، فإنّها في ذاتها لا تقتضي ضرورة الوجود ولا ضرورة العدم»[٨٤]، بعكس واجب الوجود الذي هو ضروريّ بالذات، وواجب من جميع الجهات، وهذا البحث بحث فلسفي كلامي تناوله علماء الإسلام قديماً وحديثاً، وأشبعوه درساً وتدريساً، وقتلوه بحثاً وتحقيقاً، وليس هنا مقام التوسّع والتدقيق فيه، وقد عالجناه في المدخل باختصار.

وحديثنا هذا في النون الثانية حول «ممكن الوجود» هذا المتمثل في بقية الآيات من «سورة الرحمٰن» بعد كلمة «الرحمٰن» نفسها: الكلمة الاسم، أو الكلمة الصفة التي ترمز إلى عالم الوجود الذي ﴿أعطى كُلَّ شيءٍ خَلقه ثمَّ هَدىٰ﴾[٨٥] والذي وسعت رحمته كلّ شيء بفيض الوجود المنظّم النظيم، وإيجاد الكون المنغّم الرخيم rhyme حسب لسان حال الموجودات، وطلبها بالنطق والاستعداد، «لقاعدة الفيض»[٨٦] وحسب إمكان الأشرف فالأشرف في قوسي النزول والصعود، وقد تجلّى بيانه في: ﴿الرَّحمٰن * علّم القُرآنَ * خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمَهُ البيانَ * الشمسُ والقمرُ بحسبانٍ * والنجمُ والشجرُ يسجدانِ * والسماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الميزانَ * ألا تَطْغَوْا في الميزان * وأقيموا الوزنَ بالقِسطِ ولا تُخْسِروا الميزانَ * وَالأرضَ وَضَعَها للأنام * فيها فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الأكمام * والحبُّ ذو العصف والرَّيحان * فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ﴾[٨٧] وفي سائر الآيات الكريمة من هذه السورة وسائر السُّور المباركة في القرآن الكريم التي

تتصدرها آية «بسمِ اللهِ الرحمٰن الرحيم» دلالة على التوحيد، ووحدة مضامين القُرآن المجيد، وقد عَوَّض سبحانه وتعالى عن بسملة «سورة البراءة» المحذوفة لغرض بلاغي، وغاية معنوية، ببسملة: ﴿إنَّه مِنْ سُليمانَ وإنَّه بسمِ الله الرحمٰن الرحيم﴾ [٨٨] انسجاماً مع عدد السور، وانتظاماً للآيات الغُرر.

ومن أجلى مظاهر وجوده سبحانه وتعالى هي الصفة «الرحمانية» بعد الصفة «الإلوهية» كما هي دلالة «بسم الله الرحمٰن الرحيم» بترتّب الأسماء الحُسنى والصفات العُليا، وفيها الاسم الأعظم، وقد جاءت صفة «الرحيم» بمعنى «الرحمٰن» أيضاً في بعض التفاسير [٨٩]، وعندها تكون «البسملة» دالةٌ على معنيين رئيسيين:

أوّلاً: «الاستيلاء» كما هي دلالة كلمة الله ***All ... Allah***.

وثانياً: «الرحمة» كما هي دلالة كلمتي الرحمٰن الرحيم ***rhythm rhyme*** ولا يمكن تصوّر شيء في عالم الإمكان إلّا وعليه «الاستيلاء» من قبل الله ـ جلّ وعلا ـ وفيه «الرحمة» التي وسعت كلّ شيء [٩٠].

وقد ناقش الرازي سبب هذا الترتّب بالأسماء في «البسملة» نجتزىء من كلامه ما يأتي: «إنَّما قدَّمه لأنَّ لفظ «الله» اسم خاص بالبارىء تعالى لا يُسمّى به غيره لا مفرداً ولا مُضافاً فقدَّمه، و «الرحيم» يوصف به غيره مفرداً مضافاً فأخَّره و «الرحمٰن» يُوصف به غيره مضافاً ولا يُوصف به مفرداً إلاّ الله تعالى فوسطه» [٩١].

والدلالة على خاصيّة هذين الاسمين به تعالى وأنَّهما من أجلى أسمائه وأكبرها، وإن كانت كلّ أسمائه تعالى كبيرة [٩٢]؛ وورود هذين الاسمين صريحين مرتّبين في الأمر بالدعاء: ﴿قُلِ أدعوا الله أو أدعوا الرحمٰن أيّاً ما تدعوا فلهُ الأسماء الحُسنى﴾ [٩٣] ـ كما مرَّ بحث ذلك في النون الأولى ـ ولا شكَّ في أنَّ جميع صفاته هي عين ذاته، وهي واحدة؛ غير أنَّ صفة «الرحمانية» أظهر مظاهره سبحانه وتعالى بعد «الاستيلاء» وهي التي كانت سبباً في خلق «عالم الإمكان» وبترتيب «إمكان الأشرف فالأشرف» وأشرفها على الإطلاق هو «الإنسان الكامل» ومصداقه الأمثل محمد المصطفى (ص) وأهل بيته الطاهرون (ع)، الذين كانوا أنواراً بالعرش محدقين، حسب مقولة الصادر الأوّل لا الإمكان الزماني أو المكاني وما إلى ذلك، بل الإمكان في عالم الأمر والذرّ والشهود:

﴿وإذْ أخَذَ ربُّكَ من بني آدمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّتهُمْ وأشهدهُمْ على أنفسهِمْ ألستُ بربِّكُمْ قالوا بلى﴾ [٩٤] في عالمخارج عن «الزمكان» وساير «الأعراض» و«المقولات» التي ليس لها مصداق في «عالم المجردات» و «عالم العقول الكلية» أو «عالم اللوح والقلم» أو «عالم الصادر الأوّل» المقولة التي عرضنا لها في «المدخل» والتي تقوم عليها أساساً هذه النظرية التوحيدية في وحدة المعرفة، وأنَّ الإنسان الكامل هذا هو «مركز عالم الإمكان» ومن أجله خلقت الأشياء، وخُلق هو من أجل العلم والمعرفة [٩٥]؛ ومعلّمه الأوّل الله تعالى، وقد علّمه أرقى العلوم «البيان» ـ بالمعنى العام ـ وهو «كل ما دلّ على القصد» وأرقى أنواع البيان هو «علم القرآن» العلم الجامع المانع بكلّ معنى الكلمة، كما سنعرض لذلك مفصّلاً في «النون الخامسة» نون البيان، وقد أشار سبحانه وتعالى في سورة الرحمن إلى ذلك، ثمّ استطرد إلى ذكر الآلاء والنِّعَم في «عالم الدنيا» و «عالم الآخرة» و «عالم البرزخ»: الذي هو بينهما: ﴿بينهما برزخٌ لا يبغيان﴾ [٩٦] حيث تعرض السورة إلى نكات دقيقة في كُلّ هذه العوالم التي يهيمن عليها «عالم الرحمن» واسمه وكلمته «لأنّها تومىء إلى الإنعام والافضال» [٩٧] وتلتقيه بالرحمة والمرحمة **Mercy** ويتلق منه «الكلمات» وبوساطتها يتوب من يتوب ويسمو بجوهره حتّى يصل إلى درجة الشهود والخشية والخوف التامّ من الله حَسْبُ، وهي جنّة اللقاء: ﴿ولمنْ خاف مَقامَ ربِّه جنَّتان﴾ [٩٨] والذي يخاف مقام الربّ ويخشاه حقّ خشيته هم «العلماء» ﴿إنّما يخشى الله من عِبادِهِ العُلماءُ﴾ [٩٩] حيثُ الجنّة الأولى: ﴿حُورٌ مقصوراتٌ في الخيام * فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان * لم يَطمثهُنَّ إنسٌ قَبلهُمْ ولا جانٌ * فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان * مُتكئينَ على رفرفٍ خُضرٍ وعبقريٍّ حِسان﴾ [١٠٠] والجنّة الثانية الأعظم هي: «جنّة اللقاء» وجنّة ملاقاة «الاسم الأعظم» في عالم الرحمٰن الجمالي والجلالي وعالم «مكارم الأخلاق» والإكرام والبركة: ﴿تبارك اسم ربّك ذي الجلال والإكرام﴾ [١٠١] و «لمحيي الدين ابن العربي في الجزء الرابع من «الفتوحات» كلام حول قوله تعالى: ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ هذا توضيحه: «إنّما عطف سبحانه الإكرام على الجلال، لأنَّ الإنسان إذا سمع وصف الله بالجلال دون الإكرام تملكه اليأس والقنوط من الوصول إلى الله تعالى لأنّه لا يرى نفسه شيئاً في جنب العظمة الإلهية، فأزال سبحانه

هذا الوهم عن الإنسان، أزاله بعطف الإكرام على الجلال»[١٠٢] وهذا منتهى البلاغة والعناية الإلهية، ونهاية المطاف الحقيقي الذي لا نهاية له، والجنّة الخاصّة المنسوبة إليه تفرّداً بياء المتكلّم: ﴿فادخُلي في عبادي * وادخُلي جَنَّتي﴾[١٠٣] وهو الحضور الأبدي الأزلي في محضر الربّ الذي كان الإنسان المؤمن قد عرفه وعاناه في صلواته ودعواته عزوجل وخاطبه ودعاه شهوداً: ﴿إيّاكَ نَعبدُ وإياكَ نستعين﴾[١٠٤] وقد ذاق طعم فاكهة التوحيد، هذه الفاكهة المعرفية، والثمرة العلمية مكرّراً: ﴿كُلَّما رُزقوا من ثمرةٍ رِزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبلُ وأُتُوا به مُتشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مطهّرةٌ وهم فيهاخالدون﴾[١٠٥]، وان الدنيا للانسان العارف العالم مزرعة الاخرة، وهو يحصد في الآخرة ما كان قد زرع: ﴿جزاءاً وِفاقاً﴾[١٠٦] وأنَّ الجزاء هو من سِنخ العمل، بل نفسه[١٠٧]، وأنَّ بركات «اسم الربّ» ذي الجلال والإكرام مفتوحة منهمرة، وفيضها دائم عامّ وفاكهتها كثيرة «لا مَقطوعة ولا ممنوعة»[١٠٨]، وكلّما ذاق منها من ثمرةٍ ازداد علماً ونوراً، وهي ليست كفاكهة الدنيا التي تنعدم بعد الأكل أو تخضع للميزان والمقدار،والمكان والزمان،بل أُكُلها دائم ﴿تُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذنِ رَبّها﴾[١٠٩] لأنَّها كلمة التوحيد الطيّبة، ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾[١١٠] أي لا يمكن عدّه وحصره؛ كما هي حقيقة النِعَم الإلهية: ﴿وإن تَعُدّوا نِعمة الله لا تُحصوها﴾[١١١]

وقد خلق الله تعالى الإنسانَ لهذه المعرفة، ولهذا العلم الذي هو «علم القُرآن» بمعناه الشامل الكامل، وهو قُرآن القراءات، وجامع السعادات، وأصل الخيرات، وجماع البركات، التي لا تحصل إلّا عن طريق «علم البيان» بمعناه العرفاني التوحيدي الذي نحاول أن نبلوره: «والبيان وبخاصَّة الكلام من أعظم النعم وأتّمها، فيه يعبّر الإنسان عن مقاصده، ويفهم مقاصد الآخرين، ويتجاوب معهم ويتعاطف، ويقضي حاجته وحاجة غيره، وبالبيان يستبين الكفر والإيمان، وعليه ترتكز العلوم والآداب والفنون، وتُعرف الأديان، قال بعض العلماء: كل ما يتناوله العلم يعبّر عنه بالبيان، ولا شيء إلّا والعلم متناولٌ له»[١١٢] وسنفصّل ذلك ـ بإذنه تعالى ـ في «عالم البيان» في المبحث الخامس والختامي من هذه النظرية كنتائج لهذه الدراسة المتواضعة.

وإنّ ظهور الكون كان في وحدته «بياناً» و «تبياناً» لكل شيء في عالم

التكوين، ونزول القرآن الكريم كان بياناً و ﴿تبياناً لكلِّ شيءٍ﴾ [113] في عالم التشريع، وإنَّ لله تعالى ـ كما يقول بعض العرفاء ـ كتابين: كتاب التكوين وكتاب التشريع؛ وهما متشابهان ونحن نراهما واحداً كوجهين لعلمة واحدة أو «وجهان لحقيقة واحدة»: «والقرآن يشبه الكون في جهات، منها انّ القرآن من كلامه تعالى، والكون وُجد بكلمة «كُنْ» ومنها أن كلاً مهما يدلّ بالحسِّ على قدرة الله وعظمته، فالكون تراه العيون، والقُرآن تسمعهُ الآذان، ومنها أنّ كلاً من الكون والقُرآن فيض من قدرة الله وحدها، ويستحيل أن يأتي أحد بشيء من مثله، ومنها أنّ كلاً منهما نعمة كبرى أسبغها سبحانه على الإنسان، فهو يتمتَّع بخير الأرض والسماء ويهتدي بنور القرآن إلى طريق الهناء ولسعادة الدراين» [114] وكلاهما كشف عن هذا «الكنز» الجمالي الجلالي الخالد. كما هو نصّ الحديث القدسي الوارد: «كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف» [115] فكل هذا الخلق في شتّى عوالمه الامكانية التي تُرى والتي لا تُرى مظاهر لهذا الجمال المطلق، وهو ينتظم الشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والبحار والأنهار، والجبال والتلال، والأشجار والأزهار، والفواكه والثمار، ومن أرقّها وأرقاها ثِمار العلم وفواكه المعرفة التي تجلّت أكثر ما تجلّت في هذه السورة بالذات، لأنّها ـ كما ورد عنها ـ ربيع القُرآن، وقد ارتبطت آياتها بأسماء الله تعالى المناسبة من حيث «الظاهر» و «المظهر» وأن هذا الكنز ـ والذي هو كنج بالفارسية و cage ـ بالانجليزية «غيب الغيوب» و «الظاهر الوحيد» في الوجود، وكلّ ما عداه من مخلوقته «مظاهر» لأسمائه الحُسنى وصفاته العليا، حيث لا سبيل إلى معرفة تلك الأسماء إلّا عن طريق «القُرآن» الكريم الذي هو في حقيقته «ذِكر» لأسماء الله تعالى، وتذكير بها ﴿إنْ هو إلاّ ذِكرٌ للعالمين * لمن شاءَ منكُمْ أن يستقيم﴾ [116] وبيان آلائه، وتفسير كلماته، وتفصيل رموزه التي وردت في «فواتيح السور» حيث يأتي البيان بعدها مباشرةً غالباً إلى القول بأنّه «ذلك الكتاب» أو «القرآن» أو «الفرقان» أو «الذكر» وما إلى هنالك من أسماء للقرآن الكريم الذي يفسّر تلكم الرموز والعلامات، ويشرح تلكم المجملات والمختصرات، بشكل: عبارات، ولطائف، وحقائق، وإشارات [117]، وأنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً «وينطق بعضه ببعض» [118] وكلّ يعرف منها بمقدار سعته وبمقدار قابليته،

وما أوتي من قُوّة على التحليل والتأويل: **﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخونَ في العلم﴾**[119] حيث يميزون بين محكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، أو عامّه وخاصّه، ومطلقه ومقيّده، وظاهره وباطنه، وصريحه وتأويله، وما إلى هنالك من علوم وأسرار، جمعها القرآن الكريم الذي نُزِّلَ على قلب النبي محمد (ص) **﴿تبياناً لكلِّ شيءٍ﴾**[120] وأنَّ النبي محمداً وأهل بيته الطاهرين هم «القرآن الناطق» الذي يفسّر هذا القرآن الصامت، وهم المطهَّرون الذين يَمَسّون معانيه، ويصلون إلى أسراره ومغانيه، حيث **﴿إنّه لقرآنٌ كريم * في كتابٍ مكنون * لا يمسُّهُ إلاّ المطهرون﴾**[121] وهم «المطهرون» بصريح القرآن وآية التطهير: **﴿إنّما يُريدُ الله ليُذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهركم تطهيراً﴾**[122]، وأنّ الرسول الكريم (ص) هو «مدينة العلم الالهي» وأنّ علياً وأولاده المعصومين الأحد عشر (ع): هم أبواب هذه «المدينة الفاضلة» والمدينة الطيّبة ***on ÷ the top ÷ utopia*** ومن أراد الدخول إليها، فلابُدَّ من الدخول من أبوابها، وأنّ الإمام المنتظر (ع) هو «بقيّة الله» و «صاحب الأمر» والمصداق الوحيد الباقي، الذي يرمي إليه فعل **﴿تنزّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها بإذن ربّهم من كُلّ أمر * سلامٌ هِيَ حتّى مَطلعِ الفجر﴾**[123] في كلِّ عام من ليلة القدر؛ الفعل المضارع الذي يضارع اسم الفاعل، والزمان المتكرّر المستمر: حتّى طلوع الفجر الحقّ، و «صبح الحقيقة»، وعندها ينطفئ سراج الفكر والعقل المحدود، ويتّقد سراج القلب والفؤاد الموقود، بعالم الشهادة والشهود، وحيث جنّة اللقاء والوفادة، وجنّة السلام والتسليم، على الرّحمن الرحيم، وعندها ينحسر البرهان والدليل، حيث لا نحتاج بعدها إلى دليل مثل: «البعرة تدلّ على البعير وأثر الأقدام يدلّ على المسير» إذ ليس كل ما في الوجود الإمكاني أو ما أصطلحنا عليه «بنون عالم الإمكان» بأدَلَّ وأظهر من «الظاهر نفسه» والمظهر لغيره، والذي«دل على ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته،وجلّ عن ملائمة كيفياته»[124]، والذي هو:**﴿اللهُ نورُ السمٰواتِ والأض﴾**[125] منوّر كل شيء ومُظهر كل شيء، وظاهر بنفسه ومظهر لما سواه، وهذا ما يشار إليه ببرهان البراهين، الذي يُزري بجميع الأدلة العقلية والاستدلالات المنطقية، إذ هو بُرهان الصديقين حقّاً، و «دليل العارفين» صدقاً[126].

وإنّ طائر البحث في هذه النظرية لذو جناحين: جناح القلب المتقلّب في المعرفة والوجود، المتّسع باستمرار حتّى يُصبح عرش الربّ، كما شاء الله تعالى وأراد، حتّى يُصبح المريُد هو المراد: ﴿إنَّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُنْ﴾ فيكون»[١٢٧] وكم لقولة «كُنْ» هذه من معانٍ ومبانٍ، وكم «لنونها» من أسرار ورموز تدلّ على التوحيد في ارادة الوجود، ووحدة المراد والمريد، وكم «لكافها» من دلالات ودلائل تدلّ على مفاتيح العلوم والمقاليد وعلى أدوات الاستفهام والسؤال الوحيد، وهذا ما توحيه مفردات اللغات واللهجات: ***Key*** كليد إقليد ***to be or not to be that is the question*** وبهذا يكون الوجود الممكن و «عالم الإمكان» كلّه بما فيه من جميع الأشياء، وجميع المخلوقات عالماً واحداً، وهو «مراد الله» وفي الوقت نفسه يكون الله ـ سبحانه وتعالى ـ مراد جميع المخلوقات؛ إذ هو كمال الوجود، والكمال المطلق الذي تسير نحوه الموجودات سيراً وجودياً «جوهرياً» وكمالاً تكاملياً، وهو المقصد والمراد، والمبدأ والمعاد، والأوّل والآخر، والظاهر والباطن، وما إلى هنالك من أسماء حُسنى وأمثال عُليا، يكون الوجود الممكن مَظهراً لها، وسِمةً تشير إلى خالقها، وآيةً تدلّ على أنّه الواحد الأحدُ، ولو أردنا أن نستشهد بالآيات والروايات، والأمثال والأشعار، لطال بنا المسير والمسار، غير أنّا ألمعنا إلى ذلك بإيجاز واختصار.

وهذا السير في عالم الإمكان هو سير تكاملي جوهري، إضافةً إلى السير السطحي العرضي، الذي تدلّ عليه «المقولات التسع» وليس السير الزماني الذي يُحسُّ به كلُّ انسان إلّا نوعاً من علاقة متحرك بمتحرك، أو قل متغير بمتغير، علىٰ وَفقَ علاقات فيزيائية طبيعية، يمكننا رسم بعضها بشكل «معادلات نونيّة» نسبيّة في ضوء علاقة المتغيّر بالثابت في مختلف أبعاد «النظرية التوحيدية».

unitheism والتي يمكن إجمالها في معادلة واحدة هي:

$$\infty \Leftrightarrow \infty$$

حيث يحاول المخلوق الممكن أن ينفلت من إطار «المربّع» المحدود، بما أودع الله تعالى فيه من فطرة طلب الكمال المطلق إلى فضاء «اللانهاية» ∞ الموسّع اللامحدود، وعندما يستوفي الإنسان كماله في هذه الحياة الدنيا و «يتوفّاه» الله تعالى بتمام أجَـلِهِ

ينطلق إلى تلك العوالم المعرفية، ويتنعّم بعد هذه «القيود» الدنيوية «بالحريّة» الأُخرويّة.

ويمكن طرح هذه المعادلة بشكل أكثر تفصيلاً في اطار «معادلات نونية» خمس مستنبطة من المعادلة «الأُمّ» كالآتي ـ حيث العلامة ⇔ هذه تدلّ على «العلاقة» وهذه ⇐ تدل على «النتيجة» ـ:

١ـ □ ⇔ □ علاقة متغيرة بمتغير ⇐ زمان.

٢ـ □ ⇔ ∞ علاقة متغيرٍ بثابت ⇐ سرمد.

٣ـ ∞ ⇔ ∞ غلاقة ثابت بثابت ⇐ واجب الوجود.

٤ـ ∞ ⇔ □ علاقة الواجب بالممكن ⇐ جلوتها المُثلى الإنسان.

٥ـ [∞] ⇔ ∞ علاقة الممكن بالواجب ⇐ جلوتها جنّة اللقاء.

وبما أنَّ عالم الإمكان في تغيّر دائم وتوسّع مستمر ﴿والسماءَ بنيناها بأَيدٍ وإنّا لموسِعون﴾[١٢٨] فكل ما فيه حادث بإرادة المحدث الأوّل، وكلّ ما فيه متحرّك بإرادة المحرِّك الأوّل، وكلّ ما فيه معلول للعلّة الأولى، أو «علّة العِلل» الإلّ: الله.

وعالم الإمكان مجموعة من المعلولات والمسبَّبات قائمة بمجموعة علل وأسباب، وهذه الأسباب تنتهي إلى السبب الأوّل؛ أو قل مجموعة من المتحركات والمتغيّرات تسير وفقَ قوانين وسنن ثابتة، وتحكمها جميعاً سنّة إلهيّة واحدة لا تتبدّل ولا تتحوّل: ﴿ولن تجد لِسُنَّةِ الله تبديلاً﴾[١٢٩] و﴿ولن تجد لسنّة الله تحويلاً﴾[١٣٠]. ولا فرق في ذلك بين القوانين الطبيعية وما يُسمى بقوانين ما وراء الطبيعة ***metaphysics*** إذ كلّها تخضع لكون واحد وقانون ***canon*** إلهيّ ماجد، وناموس **namos** ربوبيّ خالد، مهما اختلفت الأسماء والتسميات، وتعدّدت المسمّيات. فالجوهر الفرد الحاكم فيها هو «أمر الله» والمشيئة «مشيئة الله» والخلق خلق الله: ﴿هذا خلقُ الله فأروني ماذا خَلَقَ الَّذينَ من دونه﴾[١٣١] وهو الخلق المشار إليه بالآية المتصدرة عنوان البحث في النون الثانية بكلمة «هذا» الإشارة إلى الواحد: ﴿ربَّنا ما خلقتَ (هذا) باطلاً سُبحانكَ فَقِنا عَذابَ النار﴾[١٣٢].

ويمكن الإفادة اللغوية من دلالة كلمة «هيولى» ـ في ضوء منهجنا التوحيدي

هذا ـ على معنى «الأولى». لأنّ «ها» في العبرية تظهر لأداة التعريف في مثل قولك «هاشمايم»: السموات، و «هامايم»: المياه، و«هاأرص»: الأرض، و «هامعاريف»: المعارف وما إلى ذلك، وتكون الهيولى: المادة الأولى، أو حاشية الوجود الأولية التي خلقها الله تعالى، وكوّنها ذات استعداد أوّلي وقابلية: ***ability*** للتشكلّ والتصوّر والتمظهر، فالشيء ما لم يتشخّص لم يوجد، وشيئية الشيء بتصوّره، وشكله ***structure*** والشيء ما لم يتشكلّ لم يُعرف، ولا يمكن أن يوجد شيء في عالم المادة من دون صورة وشكل، سواء كان ذلك بأشكال هندسية أو غير هندسية، لغوية أو غير لغوية، «وتجدر الإشارة هنا إلى الملاّ صدرا الفيلسوف العظيم الذي سبق زمانه بمئات السنين، حيث لا أدوات ولا مختبرات، فإنّه قال فيما قال عند تفسير هذه الآية: ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً﴾[١٣٣] ما نصّه بالحرف الواحد: «إنَّ مادة العناصر قابلة لأن تكون منها صور غير متناهية على التعاقب، فيجوز أن يستحيل بعض أجزاء الحجر ماء». ومحل الشاهد الذي يجب الوقوف عنده هو قوله جازماً: «يجوز أن يستحيل بعض أجزاء الحجر ماء» يشير بهذا إلى التأكيد على «نظرية التطوّر» التي اكتشفها هو واهتدى إليها قبل (دارون) بثلاثة قرون، على أن دارون خصَّص النظرية بالأعضاء العضوية فقط، أما صدر المتألهين فقد عمَّمها لجميع الكائنات[١٣٤].

ولما كان البحث كلّه مقدمة معرفية لعلم اللغة العام، وفلسفة اللغة وحقيقتها، والمنطق بكلا مَعْنَييه، فنقول إنَّ المعاني لا وضوح لها قبل أنْ تتشكل في قوالب الأصوات والألفاظ، أو قوالب الصور والأشكال، أو الرموز والعلامات ***symbols and signs*** وفق نظام الأنظمة ***system of systems*** أو قبل أن تتحدّد في معالم الكلمات والجمل، والبيان والأقوال، ومن هنا أكد علماء البنيوية الشكليّة ***structuralism*** نظريتهم التشكيلية التي تقوم على بنية الصوت اللغوي ***phoneme*** كأصغر وحدة صوتية، وتشكله من ملامح تمييزيّة ***distinctive features*** والمقطع اللغوي ***morpheme*** كأصغر وحدة دلالية، وما نصطلح عليه نحن ***syneme*** كأصغر وحدة نحوية تركيبية، اشتقاقاً من مصطلح ***syntax*** علم النحو والتركيب وما نصطلح عليه نحن أيضاً

sememe كأصغر وحدة معنوية، اشـتقاقاً مـن **semantics** عـلم المـعاني والدلالات لتكتمل الوحدات اللغوية الأربع جرساً ونسقاً [١٣٥]، حيث المعاني في المصادر وهي سيّالة في جميع الاشتقاقات والصيغ وهي غير محدودة بحدّ، حتّى تتلبّس بشكـل، أو شخص، أو صورة من الصور، والكلمات، إنّما تصاغ بصيغ، والجمل بعبارات وفقرات.

وقد قامت نظرية «بالمسلف» بـ **Glossematics** على أسس المـلامح التمـييزية المعنوية، والتي هي أشـبه بـتحديدات الجـنس والنـوع والفـصل، العـامّ والخـاصّ **hyponyme hypronyme** والمفاهيم القريبة من هذه المـعاني والتي لا تـوجد في عـالم الطبيعة والخارج، إلاّ أنّها ممكنة التصوّر في «عالم الأذهان» مثل مفهوم «الإنسـان» الذي ليس له وجود خارجي مطلق، بل إنّه يوجد بوجود مصاديقه، أو «الماصدق» عليه مثل: «زيد» و «عمرو» فقد جاء تعريفه الفلسفي وحدّه المنطقي أنّـه «حـيوان ناطق» **human** فجنسه الحيوانية، وفصله الناطقية، وليس لمفهوم الإنسان المجرد الذي يعرّفه التعريف وجود في خارج الذهن والإدراك، وفي الكلام على الإنسان والإنسانية في عالم الإدراكات والمدركات نتحدث عن حقيقة واحدة سـنفصّل فـيها القـول في «النون الثالثة» نون عالم الإنسان الذي هو مركز نون عالم الإمكان، الموصوف بالتغيّر بالزمان والمكان والذي تحكمه قوانين إلهيّة معينة وأنّه «عالم متغير» في قبالة «العـالم الثابت» والمقولة المنطقية المشهورة بين أيدي الدارسين والمـتعلمين في المـنطق هـي «العالم متغيّر، وكل متغيّر حادث، إذن العـالم حـادث» وعـن طـريق «صـغرى» و «كبرى» و «نتيجة» تكتمل هذه القضيّة المنطقية العامّة، وعلى كثرة وجود العـوالم والعالمين في عالم الإمكان فهو واحد موحد من هذا المنظار؛ والله سبحانه وتعالى هو «ربّ« العالمين.

وبالنسبة للموجودات غير المفاهيم والمجردات تكون محفوفة بالأبعاد الهندسية الثلاثة المشهورة: هي الطول والعرض والارتفاع، وأمّا الزمان فيشكل البُعد الرابع في «النظرية النسبية» (**Relativity**) التي ألمح إليها الملا صدرا الشيرازي قبل (انشتاين) وإذا ما أردنا تصوّر عالم الإمكان هذا في شكله الخارجي، فـهو عـبارة عـن دوائـر ومدارات، وذرّات وكُرات ومجرّات متّحدة المركز، وينتظمها كـون واحـد **Universe**

نفترضه على شكل أشبه بالكرة الكبيرة الواحدة تدور بسرعة فائقة منجذبة نحو المركز الذي هو خارج عنها وفي ما وراء الطبيعة من أجل سير تكامل دائم، يتحكم في جوهر الأشياء وفي ضوء «حركة جوهرية» دائمة[١٣٦] متعاقبة الصُّور، وهناك أبعاد أخرى يمكن الإشارة إليها فقط في «عوالم العرفان» إذ ليس هنا محلّ التفصيل والبيان فهي أشبه بما جاء في وصف «عوالم الجمال» تُدرك ولا توصف.

ولابُدَّ هنا من الإشارة إلى وجود الإدراك العقلي بأقسامه الأربعة في عالم الإمكان، قبل الكلام على اللغة «وقوّة النطق» ***competence*** في الإنسان، التي هي نوع من الإدراك العقليّ المجرّد، التي أعطيت له وميّزته عن سائر أقسام الحيوان، والتي عبّر عنها القرآن الكريم في سورة الرحمٰن بـ«البيان»[١٣٧].

وفيما يأتي نعرض إلى هذه الأقسام الأربعة باختصار[١٣٨].

القسم الأوّل: الإدراك «الحسي»: وهو الإدراك الذي يأتي عن طريق الحواسّ الخمس، ويتعلق عموماً بعالم المحسوسات والحسيّات. والمعرفة الحاصلة بواسطتها تعرف بالمعرفة الحسيّة، وإن كان لابُدّ من وجود العقل المستخدم لها.

القسم الثاني: الإدراك «العقلي»: وهو الإدراك الذي يعتمد بالدرجة الأولى على المجرّدات، وهو مغاير لعالم المحسوسات والحسيّات. والمعرفة الحاصلة بواسطته تعرف بالمعرفة العقليّة وتقوم على الكليّات لا الجزئيات عموماً. وهذا العلم الحاصل هو العلم الحقيق، ويستوي فيه ـ في ضوء النظر العرفاني ـ الحصولي والحضوري، وواقعه: إدراك مجرد أمام إدراك مجرد، أو قل وجود مجرد أمام وجود مجرد[١٣٩] وهو منتهى معنى الشهود الذي يتحد فيه العالم والمعلوم والعلم، والعاقل والمعقول والعقل.

القسم الثالث: الإدراك «الوهمي»: وهو أن تتوهم إدراك الـ«الكليّ» في «الجزئي» وتحدّد، مثلاً، الشجاعة، المعنى المجرّد، في شخص زيد أو عمرو، وتتوهم شجاعته، وتقول بأنّه شجاع، وليس هو في الواقع كذلك، والأمر نفسه في صفة العلم والكرم والرحمة وما إليها إذا توهمتها في غير صاحبها.

القسم الرابع: الإدراك «الخيالي»: وهو أن تتخيل إدراك الجزئيّ في «الكليّ» أي عكس الإدراك الوهمي تماماً، وتتصوَّر أنَّ شخصاً كان قد رحل أو مات، وليس له

وجود ماثل أمامك، لكنك عن طريق قوّة الخيال تستطيع أن تتصوَّره وتدرك ملامحه وقسماته وسماته.

وعلى أيّة حال، فالإدراك في جميع أقسامه الأربعة هذه بحاجة ماسّة إلى قُدرة العقل والتفكّر وقوة النطق واللغة المنطقية **logic** التي يمكن بوساطتها إدراك كثير من المدركات والأبعاد المعرفية الأخرى، حتّى أنَّك تستطيع أن تدرك «عالم البرزخ» و «عالم الآخرة» اللّذين لم تذهب إليهما بعد، وأن تؤمن وتحس بهما وكأنّهما ماثلان أمامك، وتشاهدهما بعين الشهود، وتحياها تماماً عن طريق الوصف القرآني الكريم، والإيمان العرفاني القويم، كما جاء في «وصف المتّقين» على لسان علي ـ عليه السلام ـ **﴿فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيهامنعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون﴾**[١٤٠].

ومن هذه المعاني والأبعاد المدركة بقوة العقل والتعقّل ـ التي هي مدار البحث الفلسفي في اللغة والفكر، ورابطة كل منها: الرموز والإشارات العقلية ـ يتوصّل العقل والفكر إلى كثير من النظرات والنظريات، ومنها «نظريتنا» المتواضعة هذه «النظرية النونية» التي أفدناها من إلماعات «سورة القلم» بعد القَسم بالنون الحرف الذي يرمز فيما يرمز إلى التوحيد وإلى اسم من أسماء الله تعالى، أو اسم مظهر من مظاهره التوحيدية: وهو اسم الحميد «النبي محمد» (ص): **﴿وإنّه لقَسَمٌ لو تعلمون عظيم﴾**[١٤١] وقد توصلنا بلطفه تعالى إلى أنَّ النون كصوت وحرف يدلّ أيضاً على الوحدة والتوحيد في شتّى اللغات واللهجات ويتضح ذلك أكثر ـ إضافة إلى ما ألمعنا إليه من أمثلة وشواهد لغوية سابقة ـ لمن كان له إلمام بالدراسات الصوتية الحديثة أو كان له علم بأسرار الحروف وتناغم أسجاعها وقوافيها الواحدة الموحدة والإشارات العرفانية التي هي من مجالي «الحروف المقطّعة» في أوائل السور، أو ما يبحث من صفاتها وأعدادها وأوفاقها وظواهرها وبواطنها، وما إلى ذلك من رموز و أسرار، ودلائل وآمار توجد في المظان وتضاعيف بعض كتب الدعاء والعرفان[١٤٢] دَعْ عنك صفاتها الصوتية في كتب اللغة والتجويد وتبادل مواقعها في مثل ما جاء في «تاج العروس»: «باب النون من كتاب القاموس وهو من الحروف المجهورة من حروف

الذُّلق، وهو والراء واللام في حيّز واحد وقد تبدل من اللام والميم والهمزة»*.

ومن أعظم الأبعاد التي نُريد أن نُشير إليها في عالم الإمكان، غير تلكم الأبعاد الأربعة هو بُعد «القلب» الإنساني، هذا القلب العرفاني ـ ليس الصنوبري ـ الذي هو أوسع من السمٰوات والأرض، ومحطّ عرش الربّ، حيث جاء في الآثر: ﴿لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن﴾[١٤٣] وهو محطّ العناية الإلهية، والعرش واللامحدود، كما انّه دائم الاتّساع والتقلّب بالمعرفة و «سُمِّي القلب قلباً من تقلّبه» وهو في حركة جوهرية تكاملية دائمة، وهو أكثر توسّعاً من السماء المستمرّة الحركة والتوسّع[١٤٤]. فهو في توسّع دائم في أبعاد «لازمكانية» في رحاب المعرفة التي لا يعرفها إلّا من أوتي حظاً عظيماً من الإيمان والعرفان ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١٤٥]. وهذه المعرفة الخاصّة هي من لطف[١٤٦] الله بالعباد، وهي ناتجة عن تقوى علمية مصداقاً للآية ﴿واتّقوا الله ويعلمكم اللهُ واللهُ بكلِّ شيءٍ عليم﴾[١٤٧] وليس هذا العلم بكثرة التعلّم والتعليم، وإنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء، بعد تحصيل الإعداد والاستعداد، حيثُ كلّ شيء يضيق بما فيه إلاّ وعاء العلم الذي وعاؤه القلب: وهو مضمون كلام أئمّة أهل البيت (ع).

وعند ذلك يكون الوجود الإمكاني صفة واحدة تنعكس عليها كلّ هذه الأبعاد؛ لأهل الحقّ والرشاد؛ فليس لمعرفته هذه بُعد في الحاضر أو الماضي أو المستقبل؛ و «الكلمات» عندهم خارجة عن معانيها الفعلية والحرفية، بل هي ملازمة لدلالاتها الاسمية الثابتة، التي تنعكس فيها معاني الأسماء الحُسنى، والأمثال العُليا، فهم ينظرون إلى الحوادث والأحداث والأحاديث من نظر إشراقي إشرافي واحد، تتحد فيه كلّ تلكم الأبعاد في بعد واحد، يُطلّ على الوجود «بعين الله» و يسمع «بسمع الله» ويتصرّف في الوجود «بيد الله» مصداقاً للحديث القُدسي «عبدي أطعني تكن مِثلي ـ أو مَثَلي ـ تقل للشيء كن فيكون»، وعند ذلك تكون «نونه» هذه في قوله «كن» كنون الله، ـ بإذنه تعالى ـ ويكون كلامه نابعاً من كلام الله، ويكون نوره مرآةً لنور الله الذي تجلّى في السموات والأرض وما بينهما وفي كل شيء، وعند ذلك يكون محيطاً بكل شيء، وعالماً بكل شيء، وهو شأن الأنبياء والأولياء، والأئمة والعرفاء، فما قيمة اللغة

وعلمها ـ موضوع البحث ـ ؟!

فالعارف هو الذي يسير سيراً سلوكياً في هذه الأبعاد العرفانية، التي وردت في سورة الرحمن ـ موضوعة البحث ـ وآية النور، وآية الكرسي، وغيرها من الآيات الكريمة التي يزخر بها القرآن الكريم، ومن الأبعاد المعرفية الأخرى: بل من أهمها معرفةً وعاقبةً «البعد الأُخروي» حيث لا عين رأت ولا أذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ كما هو لحن الحديث القُدسيّ.

وهذا البعد الأخرويّ هو بُعد «مولوي» و «بعد معادي» و «بعد مبدأي» أيضاً: إذ لا معاد دون مبدأ، ولا نهاية دون بداية: إلّا أنَّ الأمور بعواقبها، والأشياء بنتائجها، والمبدأ هنا هو المعاد نفسه، والأوّل هو الآخر نفسه، وهكذا قل في الباطن والظاهر، وسائر الأسماء الحُسنى المتمثلة في «المعادلات النونية» المتقدمة، وفي مختلف العلاقات «الإمكانية» و «الوجوبية». ولما كان الأوّل ـ واجب الوجود ـ غير متناه، فليس هنالك وجود للآخر، إلاّ أن يكون هو الأوّل، كما أشار الإمام علي (ع) في كثير من خُطب «نهج البلاغة». وكما ألمح إلى ذلك حفيده الإمام السجاد (ع) في كثير من أدعية «الصحيفة السجادية»، وكما ورد في سائر مجاميع الحديث والدعاء المروية عن مدرسة أهل البيت (ع)؛ أعلام التقى، والعُروة الوثقى، والحُجج على أهل الدنيا، وقد نظم ذلك الحكيم السبزواري في «منظومته الحكمية»:

«يا من هو اختفىٰ لفرط نوره　　　الظاهر الباطن في ظهوره»

وإنّ هذه الأبعاد ـ مجازاً ـ أوسع من أبعاد الوجود الأربعة المعروفة، حيث قسّم الفلاسفة والمتكلمون الوجود الإمكاني إلى: لفظي، وكتبي، وخارجي، وذهني، حيث يمكن تلخيصها إلى اثنين فقط: عيني، وذهني. كما يمكن اختصارهما في وجود واحد هو الأساس في كل إدراك وعلم وهو «الشهوديّ» أو قل «العقلي» بالمعنى الفلسفي العرفاني الذي يساوي الحقيقة، حقيقة الإنسان ووجوده، وهو بشكل معادليّ يكون كذلك ـ كما نراه ـ:

الإنسان ⇐ الفلسفة ⇐ المنطق ⇐ اللغة.

وهذه «اللغة» هي مرآة العلوم والمعارف المنعكسة فيها المعرفة (المنطقية

الفلسفية) التي تنعكس فيها الأفكار والآراء، والعقائد والأسماء، وهي التي سنعرض لها في النون الخامسة «نون البيان».

الوحدة والانسان

البحث في النون الثالثة «نون الإنسان» يُقرّبنا شيئاً فشيئاً من الموضوع الذي انعقدت له هذه الدراسة المتواضعة «اللغة وعلم اللغة» في ضوء النظرية المستنبطة من القُرآن الكريم والعرفان الإسلامي، والتي أسميناها: ـ كما مرّ تعليل ذلك في المدخل ـ ***Unitheism*** اسم الذات الواحدة، أو أسماء الذات المقدّسة التي ظهرت في عالم الوجود: ـ الواجب والممكن ـ وكان الإنسان «مظهراً» أكمَلَ لجمالها وجلالها «الظاهر»: ونريد به أصلاً «الانسان الكامل» المتمثّل بالنبي محمد (ص) «يس» ـ ياسين ـ الذي «أنس» بالربّ الجليل، وكان هو وأهل بيته الطاهرون أنوراً بالعرش محدقين. وأنوارهم جميعاً نور واحد، وهم «الصادر الأوّل» و «العقل الأمثل» و «القلم الأعدل» وإن جاءوا متأخرين زمناً فهم متقدّمون رُتباً في عالم الذر والأمر والشُّهود.

فني النبي محمَّد (ص) يقول شاعره حسان بن ثابت:

«وَشَقَّ لَهُ مِنْ إسْمِهِ لِيُجلَّهُ ... فذو العَرْشِ محمودٌ وهذا مُحَمَّدُ» [١٤٨]

وفي أخيه ووزيره ووصيِّه عليّ(ع) يقول آبن أبي الحديد المعتزليّ:

«هذا هُو (النُّورُ) آلذي عذَبَاتُهُ ... كانَتْ بجبهةِ آدَمٍ تَتَطَلَّعُ» [١٤٩]

وفي حقِّ أهلِ البيت (ع) جميعاً يقول خالقُ الخلق ومطهِّرهم:

﴿إنَّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرّجسَ أهْلَ البيتِ ويُطهِّركُمْ تطهيرا﴾ [١٥٠].

والكلام في هذا الشأن طويل وعريض، غير أنَّا صدَّرنا المقالة بهذه الإلماعات كمقدّمة للبحث عن «الإنسان» الكامل في توحيده، والمصداق الأمثل له:

﴿ن. والقلمِ وما يسطرونَ. ما (أنتَ) بنعمةِ ربِّكَ بمجنونٍ﴾ [١٥١].

ولابَدَّ باديء ذي بدء أن نعرض لدلالات الإنسان اللغوية، ومن ثَمَّ نَنفَلِت إلى سائر الدلالات المعنويَّة والأبعاد الفلسفية، كما هي العادة في منهجنا التوحيدي ***Unithetical approach*** الذي تبلور في مختلف الدراسات والتحقيقات.

فبمراجعة مادة «أنس» في شتّى القواميس والمعجمات اللغوية، نجدها متسالمة على بُعدين رئيسين، ومَلْحَظَين بارزَين: وهُما تسمية الإنسان بالإنسان «لأُنسِهِ» واستيناسِهِ وما إلى ذلك من الصداقة والمعرفة، والأمن والإيمان، أو تسميته بالإنسان «لِنسيَانِهِ» وغفلته وجهله، وعدم وفائه أو التزامه «العهد» الذي عاهده أوّلاً مع الله، ولحمله «الأمانة» دون سائر المخلوقات ثمَّ تفريطه بها، وهذا ما عليه القِسم الأعظم والجمع الغفير منه ﴿إنَّه كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [١٥٢] ـ مع الأسف ـ!

وفي الصحاح: «الإنسُ: البَشر، الواحدُ إنسيٌّ وأَنَسِي أيضاً ـ بالتحريك ـ والجمعُ أَنَاسِي، وإن شئتَ جعلته إنساناً ثُمَّ جمعته أناسي؛ فتكون الياء عوضاً من النون» [١٥٣].

وفي التاج: «قال إنَّما سُمِّيَ الإنسان إنساناً لأنَّه عُهد إليه فَنَسِي وقيل أصل الناس «الناسيُّ» قال تعالى: ﴿ثُمَّ أفيضوا مِنْ حَيثُ أَفَاضَ النَّاس﴾ [١٥٤] ـ بالرفع والجرّ ـ الجرّإشارة إلى عهد آدم حيثُ قال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ!﴾ [١٥٥] وقال الشاعر: وسُمِّيْتَ إنْساناً لأنَّكَ ناسِيٌّ» [١٥٦].

وما يدلّ من دلالات أخرى كالإنسان «للمثال» في سواد العين، أو قوله تعالى: ﴿إنّي آنستُ ناراً﴾ [١٥٧] أو من أمثالهم: ﴿بَعْد اطِّلاعِ إيْنَاس﴾ [١٥٨] لأنَّ الاطّلاع: النَظَر، والإيناس: اليقين، فكلُّ ذلك يمكن إرجاعه إلى الاستيناس بالشيء ومعرفته معرفة كاملة.

ولعلَّ تسمية «النِّساء» بالنساء جاء من أنس الرِّجال بهنَّ وسكنهم إليهنَّ، وأنس بعضهنَّ ببعض. وكلا الجنسين قد خُلِقَ من نفس واحدة، وقد جاء الخطاب المجيد في القرآن الكريم لجميع «الناس» بأنَّهم خُلقوا من نفس واحدة رِجالاً ونساء: ﴿يا أَيُّها الناسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ مِنها زَوْجها وبثَّ مِنْهُما رِجالاً كثيراً ونساءً﴾ [١٥٩]، كما ورد عن «الزَّوج» تعبير يدلُّ على الأنس والأنيس، والسكن والمساكن: ﴿هو الَّذي خَلَقكم من نفسٍ واحدةٍ وجَعَل منها زَوْجها ليسكنَ إليها﴾ [١٦٠] كما يُقال للمرأة ولا سيَّما للفتاة الظريفة «آنسة» وهي التي تأنس بالحديث، وتُونس به، ولاشك أنَّ كلمة النَّاس ترتبط بالإنسان كما أنَّ لها اشتقاقاً آخر وهو «أُناس» أقرب جرساً، وألصق أصواتاً، ونحن نجد كلمة ***nation*** ومشتقَّاتها في

مختلف اللغات الأوربية، ولاسيّما الفرنسية، قريبة من هذا المعنى.

والله سبحانه وتعالى إنّما خاطبهم بالنّاس، لأنّهم بالأصل النوع الوحيد الذي يأنس بعضهم ببعض؛ بعكس الوحوش، وذلك عندما يكونون على الفِطرة الإلهية، وقد أنِسُوا بخالقهم أوّلاً، وبما أنَّ الإنسان ولاسيّما الكامل منه مَظهَرٌ أسمى من مظاهر الحقِّ ـ جَلَّ وعلا ـ فقد أنِس وآستؤنس به؛وكُلَّما كانت هذه المظاهر أقرب إلى التخلُّق بأخلاق الله،كان الأنس بها أكثر،كمن يقرب من مركزالدائرة يُحس بأشعةالنور التي تمر منها بشكل أظهر؛حتى جاءت الخطابات في القُرآن الكريم بلحن جعلت فيه طاعةالرَّسول محمَّد (ص) ـ الإنسان الكامل ـ طاعة لله [161]: ﴿مَنْ يُطعِ الرَّسولَ فقد أطاعَ اللهَ﴾ [162] وقد قال الله تعالى على لسانه الشريف: ﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحبُّونَ اللهَ فَاتَّبعوني يُحبِبْكُم اللهُ﴾ [163] وما إلى ذلك؛ كما جاءت الأحاديث معبِّرة عن موضوع الألفة والاستيناس بين الناس بأنَّ خيرهم الذي «يَألف ويُؤلف» وخيرهم «الاحاسن أخلاقاً» وخيرهم من «نفع الناس».

وحتى أننا في ضوء نظريتنا هذه نُرجع بعض الكلمات والاصطلاحات القريبة منها لفظاً ومعنى في سائر اللغات، ولاسيّما الفرنسية، إلى: العلاقة ***Connection*** نفسها مثل كلمة ***association*** الرابطة والاستيناس، ***sociology*** علم الاجتماع والارتباط بين الناس، وكذلك ***societies*** الجوامع البشرية والمجتمعات الإنسانية، هذا في جذور اللغات المتفرِّعة عن اللاتينية، أو المرتبطة بها أساساً كاللغات الاوربية المعاصرة، أو كالفارسية التي تستعمل كلمات مثل: شناس، وشناخت، وآشنا، وآشنائي، ونظيرتها من اللغات الآرية المرتبطة بها، كالكردية والأردية، والهندية وما إليها، حتّى انّنا نذهب إلى ربط كلمة ***science*** العلم أيضاً بشناس و شناخت صوتاً ودلالة وبكلمة صناع و صناعة: العِلم التطبيقي، وكذلك ***signs*** العلامات بالعَلَم و العُلُوم وارتباط هذه جميعاً بواسطة الحواس ***senses*** الطرق المادية الأولية للتعليم والتعلُّم بفضل العقل والتعقُّل ***common sense*** جامع الحواس وموحّدها في منطق واحد؛ امتاز به الإنسان عمّا سواه من المخلوقات ولاسيما عن (جنسه) القريب من الحيوانات، وأصبح يُدعى بين أفراد نوعه: «الحيوان الناطق» بمنطقه وصار (فصله) عنها بنطقه.

وعندما يتمظهر منطقهُ هذا بنطقه يكون أصواتاً منظَّمة، تنسجم في نظام أصواتي خاصّ **sound system** يلعب اللسان: «زبان» (**lingua**) فيها دوراً أساساً في تنظيمها مع سائر أعضاء التصويت والذَّوق في فمه **vocal tract** وعندما يتمظهر منطقه هذا «بسمعه» فيكون سميعاً بمعنَيَيْه العَامِّ والخاصِّ وهو سمعان، وشمعون، وإسماعيل، ونلمح فيها «السميع» أصلاً للّه «السميع». وعندما يتمظهر البصر (**observation**) ـ «شام البرق» إذا رآه من بعيد «ونظر إلى سحابته أين تمطر»[١٦٤] فيكون سميعاً بصيراً، ويتقدَّم سمعه على بصره في طرق المعرفة والعلم لأهمية وظيفة السمع فيه، فقد جاء في القُرآن الكريم عادة مقدَّماً: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[١٦٥]؛ ويكون ذلك مظهراً للسميع البصير، قياساً مع الفارق.

وعندما تتمظهر معرفته وإدراكاته: «بالشَّمِّ» والشميم ويكون عنده «شمُّ الفقاهة» و «الشمُّ العرفانيّ» المرتبط أساساً بمعرفة الطِيب التي تأتي عن طريق الأنف: «والشَّمَمُ ارتفاع في قَصَبَة الأنف مع استواء أعلاه وإشمامُ الحرف مُسْتَقْصَى في الأصل»[١٦٦] وهكذا ترتبط الحواس فيما بينها وتتبادل وتتفاعل في المذهب الرمزي **symbolic** الذي يقوم على تساقيها في الإدراك والتعبير. ونعرف عندها الارتباط الاصواتي والدَّلالي في **He knows by his nose** وعندما تتمظهر معرفته بحاسَّة «اللمسِّ» وتحصل له المعارف بالأمور والأشياء عن طريق «مسِّها» وتماسِّها حتَّى يصل إلى عالم «التطهير الإلهي» ويكون من المطهَّرين الذين يستطيعون أن يَمَسُّوا القُرآن الكريم ـ جامع العلوم والمعارف الإلهية ـ كأهل البيت عليهم السلام: ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكم الرِجس أهلَ البيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تطهيراً﴾ وعندها نعرف معنى: ﴿إنَّه لقُرآن كريم * في كتابٍ مكنون * لا يَمَسُّهُ إلّا المُطَهَّرونَ﴾[١٦٧]. وبهذا التطهير يصل الإنسان إلى الكمال ويُصبح القراءة الكاملة في «عالم الإمكان»؛ بل «القُرآن الناطق» أو «الكتاب المبين» أو «الإمام المبين» في عالم التشريع الذي يقابل عالم التكوين؛ فهذان الكتابان ـ كما ألمعنا كِراراً ومِراراً ـ وجهان لعملة واحدة، كما هو التعبير الشائع اليوم المتشابه في مختلف اللغات **Two faces for the same coin**.

وعند التوسُّع في البحث اللغوي نجد كلمة «العقل» وما يرتبط منها بالدلالة

على هذا المعنىٰ من قوَّة الدَّرك و «الحِسّ الجامع» والتعبير عنه ترتبط بكلمة (***logy*** و ***logic*** و ***logos***) العلم والمنطق والكلام، وهذه ترتبط أصواتياً ودلالياً ببعض لغات «العقل» ولهجاته في العربية مثل «عَكْل» و «عَجْل» من حيث جذور الأصوات. لا ترتيبها؛ بالإبدال المكاني، أو التصدير، أو التذييل، أو النحت، وما إليها من الظواهر اللغوية الحاصلة في مختلف اللغات، كما هو معروف عند الباحثين والدارسين، وإنَّ كلمة (***logy***) تأتي كاسعة وتذييلاً في مثل ***sociology*** لغة الاجتماع والمجتمع، أو علم الجوامع البشرية، و (***psychology***) لغة النفس والمشاعر الداخلية، أو علم النفس الإنساني، وغيره، فقد يكون للحيوان من قبيل هذه المشاعر والأحاسيس ترتبط بالنفس الحيوانية، كما قد يحصل ذلك بنوع آخر منه في النفس النباتية، وليس هنا موضع التفصيل في ذلك، إلاّ أنّنا أردنا أن نُلمع إلى سبق الدراسات الفلسفية واللغوية في هذا المضمار عند علماء الإسلام.

ولما كان البحث عن نون الإنسان وعالمه الخاصّ في هذه الحلقة الخاصَّة به فلابُدَّ من الإشارة إلى «العلم» الذي يبحث عن «أصل الإنسان» وتقاليده وعاداته ورسومه، وأديانه وحضاراته، وباختصار: تاريخه، وثقافته، وأجناسه وهو ما يُسمَّى بعلم الانثروبولوجي ***Anthropology*** وارتباط هذا العلم أصلاً وفرعاً، وسبباً ومسبَّباً بكلمة (***Anthology***) وهي التي تدلّ على جمع المعارف والآداب، واختيار المنتخبات والمقتطفات مما تمثِّل الإنسان النوع أو الفرد في آثاره العقلية والروحانية.

ونحن نلمح رابطة ***Antho*** بالإنسان صوتاً ودلالة حتى أنّ كلمة ***Annas*** وهي كلمة «كتابية» تعني ***humble*** المتواضع الذي يأنَس ويؤنس به، وتدلّ على التزامه الحُرمات والمحارم، وفي الأصل «الحريم» و «الحَرَم» الإلهي المقدَّس، وإنسه به (***Annas: humble ... Same as Harim***)[١٦٨].

ولو أردنا التفصيل أكثر لدخلنا في سائر حقول المعرفة من هذه الزاوية بنظر توحيديّ شامل، ولأطللنا على عوالم عرفانية ترتبط بالماضي والحاضر والمستقبل إلى ما شاء الله من سير تكاملي عرفاني يشمل النشأتين الأولى والأخرى، وعالم البرزخ الذي هو بينهما ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيان﴾[١٦٩]؛ ولاسيّما ما يخصّ الإنسان خِلقة ونشأة

ومبدأ ومعاداً، وعلى الأخص «الإنسان الكامل» النبيّ محمداً (ص) وأهل بيته الطيبين الطاهرين، إذ يقول هو (ص): «أوّل ما خلق الله نوري» [١٧٠] و «كُنْتُ نبيّاً وآدمُ بَيْنَ الماء والطين» [١٧١] و «أوّل ما خَلَقَ الله المشيئة» [١٧٢] و «أوّل ما خلق الله العقل النوري» [١٧٣] و «كنت أوّل من آمن بربيّ» [١٧٤] وما إلى هنالك كلّه؛ إشارة إلى عوالم الذرّ والأمر والشهود، أو قل عوالم النور والصادر الأوّل، المتمثّلة بآية «النور» وآية «الكرسي» وسائر الآيات من القرآن الكريم.

والبحث لحول خِلقة الإنسان بشكل عامّ في ضوء التفسير القرآني قد مرّ بمراحل أربع:

المرحلة الأولى:

وهي تبدأ من التُراب أو الطين أو الصّلصال وما شابه وما شاكل ذلك ـ هذا إذا استثنينا عوالم الذرّ والأمر والشهود ـ وهي «المرحلة الترابية» والإنسان في هذه المرحلة يشبه سائر الجمادات ولم يفرق عنها إلاّ فيما أودع الله تعالى فيه من قابليات واستعدادات، وقوى وطاقات ستتحوّل بالفعل إلى هذا المخلوق العجيب الغريب الذي لم يعرف حقيقة نفسه، بكل معنى الكلمة، بَعْدُ: ﴿إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدمَ خلقه مِنْ تُراب ثُمَّ قال لَهُ كُنْ فيكون﴾ [١٧٥] وكم مِنْ بَعْد «ثُمّ» من مراحل الكون والتكوين الإلهي، الله سُبحانه وتعالى أعلم بها!!

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة الماء أو النُّطْفة، أو العَلَقة، أو المُضْغة، أو العِظام واللحم، وما إليها. وهي «المرحلة المائية» أو «الحياة النباتيّة» المتطوّرة التي تشبه سائر النبات في النُّمو والحركة والإحساس اللاشعوري بمعنى من المعاني: ﴿فإنَّا خَلقناكُمْ مِنْ تُراب ثُمَّ من نُطْفَة ثُمَّ من عَلَقةٍ ثُمَّ من مُضْغَة مُخلَّقةٍ وغير مخلَّقة﴾ [١٧٦] وهذا التخليق والتطوير يستدعي التأمُّل الكثير: ﴿وقد خَلَقكم أطواراً﴾ [١٧٧] أو ﴿لتَرْكَبُنَّ طَبقاً عَنْ طَبَق﴾ [١٧٨] تلخصه المرحلة الثالثة التي تأتي بعد مرحلة «ثُمَّ» في الآيات المشابهة لما ذكرنا لتتحدّث عن مرحلة أخرى متميزة عن مراحل النموّ والتطور والتدرّج الطبيعي الذي

هو سنَّة الحياة الطبيعية، ويمكن أن يكون في هذه المرحلة مصداقاً للآية الكريمة «ونُخرج الحيَّ من الميت» [179] على بعض التفاسير وهي المرحلة التي أصبح فيها حيَّاً بعد أن كان مَيتاً [180]، وقد تحوَّل من الطين إلى الماء الذي هو مصدر الحياة ﴿وجَعَلنا من الماء كُلَّ شيءٍ حيّ﴾ [181].

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة تملُّك السمع والبصر وسائر الحواسّ التي يتمتَّع بها الحيوان، وهو يشبه الحيوانات من هذه الناحية، حيث يمكن أن نطلق عليه «المرحلة الحيوانية» ولكنَّه ما يزال يتبدل ويتطوّر حسب الاستعدادات الكامنة، والقوى المُودَعة فيه خَلقاً بعد خَلق؛ كما أشار إلى هذا الإمام زين العابدين (ع): «اَللَّهُمَ وأنتَ حَدَرْتَني مَاءً مِنْ صُلْبٍ متضائِقِ العِظام حَرِجِ المسالكِ إلى رَحِمٍ ضيِّقةٍ سَتَرتَها بالحُجُب تُصرِّفني حَالاً عَنْ حَال حَتَّى اَنْتَهيتَ بي إلى تمامِ الصُّورةِ وأَثبتَّ فيَّ الجَوارحَ، كما نعتَّ في كتابِكَ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظاماً ثُمَّ كَسَوْتَ العِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأتَني خَلْقاً آخَرَ كَما شِئْتَ» [182] كُلُّ ذلك ليصل به المولى ـ جلَّ وعلا ـ إلى المرحلة التالية التي أعدَّه لها ليكون أشرف المخلوقات ـ اختياراً ـ ويحمل الأمانة ـ لا كُرهاً ولا إجباراً ـ بعد أن عجز عن حملها السماوات والأرض والجبال: ﴿إنَّا عَرَضنا الأمانةَ على السَّماواتِ والأرضِ والجِبالِ فَأَبَينَ أنْ يَحمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنهَا وحَمَلَها الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [183] وهي المسؤولية التي حَمَلها الجميع وفرَّط بها الكثير، إلاّ من صار «خليفةً» حَقّاً و «إماماً» صِدقاً؛ وكان مصداقاً للآية الكريمة: ﴿وإذ قالَ رَبُّكَ للملائكةِ إنِّي جاعلٌ في الأرضِ خليفة﴾ [184] وللآية الكريمة: ﴿وإذْ ابْتَلىٰ إبراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً﴾ [185].

وتلاحظ هنا رابطة الخليفة بالخَلْف، والإمام بالأمام في شتىّ الأبعاد.

المرحلة الرابعة:

وهي المرحلة التي ألمعنا إليها في نهاية المرحلة الثالثة وهي «مرحلة الهداية» Heading التشريعية، بعد مراحل الهداية التكوينية، ليكون هادياً ومهديَّاً، وراشداً

ومُرشداً، و «خليفةً» و «إماماً». وكلّ ذلك باختياره وخَياره؛ حتّى يمكن أن نُسمِّي هذه المرحلة أيضاً بمرحلة (الخيار) والاختيار والاختبار أيضاً: **﴿إنَّا هَدَيْناه السَّبيل إمَّا شاكِراً وإمَّا كَفُوراً﴾**[186] وباختياره يكون «خاصاً» ومختصّاً بنفسه ولنفسه ***His chioce*** ويمكن القول عن الإنسان بكلمة واحدة أو معادلة واحدة:

الإنسان = الاختيار. وفيه إلماع إلى «المشيئة» في عالم الإمكان:

أَمَامَكَ فـانْظُرْ أيَّ نَهْـجَيْكَ تَـنْهَجُ ... طَرِيقانِ شَتَّى مُستقيم وأعْـوَجُ[187]

فإن اخترتَ «السلامَ» و «الإسلامَ» فأنت سعيدٌ في الدارين، كما اختاره بِأخَرَةٍ كثير من العلماء والباحثين من غير المسلمين بالولادة، وأسْمَوا كتابهم هذا الذي يبيِّن سبب اعتناقهم للإسلام: «***Islam is our choice***» وبهذا الاختيار يكون الإنسان مظهراً «للسلام» الذي هو من أسماء الله تعالى، ويكون أيضاً متخلقاً بسائر أسمائه الحُسنى وأمثاله العُليا، فقد ورد: «تخلّقوا بأخلاق الله»[188] فيكون إلهيّاً ورحمانيّاً وربّيّاً ومَالكيّاً وهَادِياً وإلى سائر الأسماء الواردة أو التي يمكن استنباطها من سورة الحمد ـ كما أشرنا إلى بعضها ـ أو سائر سُور القُرآن الكريم الذي هو جماع لهذه الأسماء العظيمة، وكلُّها «اسم الله الأعظم» لو أدركت حالة الدُّعاء التي أنت فيها وناديته بها كما فعل أئمة أهل البيت (ع) في أدعيتهم وصلواتهم ومناجاتهم، التي هي صدى لهذا الكتاب الذي يحوي أفضل علم بأفضل معلوم، ولأدركتَ معنى: **﴿ولله الأسماء الحُسنى فادْعُوه بها﴾**[189] و **﴿قل ادْعوا الله أوْ ادْعُوا الرَّحمن أيّاً ما تَدْعوا فَلَهُ الأسماء الحُسنى﴾**[190]. حيث تقوم نظريتنا هذه على هذه «الأسماء» التي تتفرَّع جميعاً من اسم واحد للذات المقدَّسة الواحدة، ومنها تتفرَّع سائر الكلمات في شتّى اللغات، وَفْقَ نظام إلهي رحمانيٍّ رحيميٍّ، متمثِّلاً بآية التوحيد: «ٱلبسمَلة»: الوحدة الإيقاعية والنغمية التي تتصدّر في جميع السُّورالّا البراءة ، ويقوم عليها إيقاع القرآن الكريم ولحنه وتجويده، كما سنفصِّل القول عن ذلك في «النون الخامسة» ـ نون التبيان ـ لندرك عظمة الإعجاز في القرآن، ونحن قد ألمعنا إلى علاقة ***rhyme*** و ***rhyming*** برحمان، و(***rhythm***) برحيم، وكلاهما دعامتان يقوم عليهما كلُّ نظام أصواتي في كل لغة، بل يقوم عليهما كلّ نظام الوجود، ومصداقه ومثاله الذي نورده هنا كشاهد: **﴿والشَّمسُ تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم**

والقمر قدَّرناه منازل حتىٰ عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القَمرَ ولا الليلُ سابقُ النَّهارِ وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [١٩١]. وفي ضوء هذه النظرية يمكن أن نصل إلى هذه «المعادلة الأصواتية والدلالية» في ترجمة آية «بسم الله الرحمٰن الرحيم» [١٩٢] مثلاً إلى الانجليزية وسائر اللغات المرتبطة بها، مع تبادلات فونميكية ***phonemic*** وسيانتيكية ***semantic***:

by sign of All ÷ rhyming and rhythm

من باب الإلماع إلى أصول الكلمات والأسماء وجُذور المفردات والمقاطع النغمية المنحدرة عن أصل واحد في ضوء النظرية التوحيديّة ***Unitheism***.

ولو رجعنا إلى الفواصل التي تشبه «السجع» في القرآن الكريم، وإلى الحروف والأصوات الأساس التي قام عليها إيقاع القرآن الكريم لرأينا أنَّ الحروف الخمسة المعروفة المتوسطة: «عن رمل» [١٩٣] التي تقف «بَرْزَخَاً» بين الحروف الشَّديدة الثمانية: «أجدت طبقك» والحروف الرخوة «السبعة عشر» البقية، هي التي عُني بها القرآن الكريم من جهة النغم والتغنين، وهي أيضاً بدورها على مراحل فأولها «النون» التي نسبنا إليها نظريتنا المستنبطة من هذا «الكنز العظيم»، وهي مدار الفواصل في أغلب السور، وتسيطر سيطرة تامَّة في سورة «الرحمٰن» وتأتي بعدها «الميم» بقليل، و «الراء» بأقلَّ، وهذه الثلاثة من «حروف الذَّلاقة» أو من «الحروف الذُّلق» التي تعطي الكلام ولاسيّما في العربية الطلاقة واللباقة، ولاتقلّ اللام عن هذه الحروف «ملاحة» وهي من الحروف الذُّلق أيضاً، وعليها وعلى الراء والميم تقوم كثير من فواصل القرآن في مختلف السُّور، غير أنَّ الترتُّب الأساس يكون للنون والميم اللذين هما يتبدلان وجوداً صوتياً في كثير من الكلمات وكثير من اللغات، وعليهما يقوم خصوصاً مدار إيقاع القرآن الكريم من بين هذه «الحروف المتوسِّطة» وأنّ العين لها مكان رفيع ليس في «الفواصل» بَل في جذور الكلمات والمفردات القرآنية، والنون أو الميم يوجدان في تسمية «الحواس الخمس» الآتية: الاذُن، والعين، والأنف، واللامسة، واللسان.

ولابُدَّ أن نشير هنا ونحن نبحث في «نون الإنسان» إلى فكرة عظيمة جدّاً ذكرها القرآن الكريم عن «الإنسان الكامل» وعن «الدِّين الكامل» وعن «الوجود

الكامل» مطلقاً وهي فكرة هذه «الحروف المتوسطة» التي تقف بين الشدَّة والرخاوة في وجودها الأصواتي. وهذه الفكرة هي «الوسطيَّة» في كل شيء.

وانَّ خير الأمور أوسطها، كما وردت أيضاً في مضامين كثير من الأحـاديث وكثير من الأقوال الحكمية نثراً وشعراً:

حُبُّ ٱلتَّـنَاهِي شَـطَطُ   خَيْرُ ٱلأُمُوْرِ ٱلوَسَطُ [194]

وانَّ هذه «الوسطيَّة» هي المعيار الذي دُعي الإنسان إليه وأمر بالتزامه في كل شيء: «لا إفراط ولا تفريط» [195] سواء كان فرداً أو جماعة، أو في أمور الدنيا والآخرة:

فمن الآيات التي أشارت إلى هذه الوسطية وركزت عليها نذكر ما يأتي:

﴿وكذلك جعلناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لتكونُوا شُهدَاءَ على الناسِ ويكونَ الرسولُ عليكُمْ شهيداً﴾ [196].

﴿فَكفَّارتُهُ إطعامُ عَشرة مساكينِ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمونَ﴾ [197].

﴿حافِظوا على الصَّلواتِ والصَّلاةِ ٱلوسْطى﴾ [198].

كما وردت آيات أُخرى تشير إلى معنى الوسطيَّة دون لفظها، ومعناها الأساس هو «العَدل» ***ideal*** والصراط ***straight*** والقسطاس ***justice*** «والوَسَط مـن كـلِّ شيء أعدَلُهُ ومنه قوله تعالى ﴿وكذلك جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [199] أي عَدلاً و «واسِـطة» القِلادة الجَوهَر الذي وَسَطُها وهو أجْوَدُهَا» [200].

وقد أقام الشيخ النراقي المتكلِّم العارف هذه الفِكْرَة مُقام «القاعدة الكبرى» التي بنىٰ عليها كتابه الأخلاقي: «جامع السعادات» وجعلها المحور الأساس الذي تقوم عليه سعادة الدنيا والآخرة، وسعادة الفرد، والمجتمع، وسعادة الروح والجسد، وقـد ناقش المذاهب المتعدِّدة بالعدالة وانتهى إلى التحقيق بأنَّها التوازن والتوافق، والميزان بين القوى سواء في عالم النَّفس أو البدن، وعالم الماديات أو المعنويات:

«الحقّ أنَّ حقيقة «العدالة» هو التـفسير الأوّل المـذكور في الطـريق الأوّل، أعني انقياد العقل العملي للقوّة العاقلة، وسائر التفاسير المذكورة في الطريقين لازمة له، إذ الانقياد المذكور يلزمه «اتّفاق» القوى وعلى هذه التفاسير اللازمة للأوّل يلزم أن تكون العدالة جامعة «لجميع الفضائل» ويتحقَّق معناها في كلّ فضيلة حتّى تكون فرداً

لها»[٢٠١]

ولذلك نجد أنَّ الإنسان الكامل هو «مجمع الفضائل» وبذلك يكون صاحب خُلق عظيم، ومصداقه الأمثل النبيّ (ص) حيث قال عنه العظيم ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عظيمٍ﴾[٢٠٢] كما جعله الله تعالى أُسْوَةً حَسنة للناس، ورحمة للعالمين: ﴿لقد كانَ لكم في رسولِ اللهِ أُسوةٌ حَسنة لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخرِ﴾[٢٠٣]. وهو المحمّد الأحمد في جميع الأوصاف، والمظهر الأكمل الجامع لصفات الجمال والجلال الإلهي، والمرآة الصافية التي تنعكس فيها جميع حقائق المُلك والملكوت، وهو «البرزخ» الذي يجمع بين الدنيا والآخرة في تعاليمه التي بعثها الله تعالى بها بلاغاً: ﴿وابتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخِرة ولا تَنسَ نَصيبَكَ من الدُّنيا﴾[٢٠٤].

وهو الناموس **Namos** الأكبر، والاسم الأعظم، وأهل بيته الطاهرون هم مصاديق: ﴿مَرَجَ البحرينِ يلتقيانِ * بينهما بَرزَخٌ لا يبغيانِ﴾[٢٠٥] وهم الرجال الواقفون على الأعراف: ﴿وعلى الأعرافِ رجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيماهُمْ﴾[٢٠٦] وهم الذين يقرأون العلامات، بل هم «العلامات» نفسها ﴿وَعَلاماتٍ وبالنجمِ هُمْ يَهتدون﴾[٢٠٧] وعنهم يُروى «دُعاء السِّمات» ـ بل هم «السِّمات» نفسها ـ التي أشير فيه إلى عظيم الآيات، وهم «الآيات» الكبرى، وقد جمعت فيهم مظاهر الأسماء الحُسنى والأمثال العُليا. وهم «الصراط المستقيم» الذي يهدي إلى الحقّ، وإلى دار السلام، و «السلام» هو الوئام و «الانسجام»، وفيه «الانس» والنظام، ومن معانيه «الإسلام»: وهو «التسليم» والرضا المطلق بما قسمه «المؤمن السلام»، واتباع أوامره ونواهيه التي تتمثّل في «الحلال والحرام» وهذا ما جاءت به الشرائع و «الأديان»، وقامت عليه دعائم «الإيمان».

الوحدة وعالم الأديان

إنَّ قصّة «الأديان» ـ وهي في جوهرها حقيقة واحدة ـ ترتبط بقصة الإنسان الخليفة، وقصته ـ هو ـ طويلة وعريضة ترتبط بكونها بهذا الكون الرحيب العجيب، وترتبط بالخالق المنّان، الرحمن «الديّان»، الذي «دانت» له السموات والأرض، ومن

فيهنَّ وما بينهنَّ بالتسبيح والتحميد: ﴿وإن مِن شَيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بحمدِهِ ولكنْ لاتَفْقَهُونَ تَسبِيحَهُمْ﴾ [٢١٠].

غير أنَّ الإنسان الذي أُرسلت له الشرائع والأديان وجاءت له الرسل والرسالات تترى، عبرالعصور والدهور، يمتاز عن سائر المخلوقات والممكنات بكونه الخليفة المصطفى: ﴿إنَّ اللهَ اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ على العالمين * ذُرِّيةً بعضُها من بَعضٍ﴾ [٢١١] وكونه قابلاً للتحلّي بأسماء الله الرحمن الرحيم: ﴿إنَّهُ من سُليمانَ وإنَّهُ بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ [٢١٢]، وكونه قابلاً للتخلي عن كلِ شيءٍما سوى الله تعالى، لتتجلّى له «القدرة المطلقة» في كلِ شيءٍ، ويرى التوحيد الحق ***high unitheism*** منعكساً في كل شيء:

وفي كــلِ شيءٍ لهُ آيــةٌ تدلُ على أنهُ واحدُ [٢١٣]

كما ينظر الإنسان الى الله تعالى أنّه العلة المحدثة المبقية: الخالق الرب أو العلّة الأولى ***prima causa*** أو علّة العِلل التي تستحق «وحدها» الأُلوهيّة، وأن يكون ـ وحده مألُوهاً معبوداً ومستعاناً مقصوداً: ﴿إيّاكَ نعبُدُ وإيّاكَ نستعينُ﴾ [٢١٤] بلسان المخلوقات كافة ولا سيّما أشرفها الإنسان الكامل وأنَّ العبودية لله وحده وهيَ منتهى الحرية «حيث العبودية جوهرة كنهها الربوبية» [٢١٥]، وقد خلق الله تعالى عالم الإمكان وجعل مركزه الإنسان، من أجل المعرفة والعرفان: ﴿كنت كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أُعرف، فخلقت الخلقَ لكي أُعرف﴾ [٢١٦]. وشاءت الإرادة المقدسة أن يُميَّز الإنسان بالنطق والبيان، وهو الحيوان الناطق ***speaking animal***، والدين والقرآن، ومنه الرسول الصادق ***right messenger***، كما شاءت الإرادة القدسية نفسها أن يكون الصادر الأول تكويناً، والعقل الأكمل علماً، والنور الأجمل إشراقاً، والقلم الأعدل حكماً، والإنسان الأكمل مظهراً، المتمظهر بالنبي محمد(ص) وآله الأئمة المعصومين (ع) حيث انهم الإمام المبين، و «الكتاب المبين» المطابق لنسختي التشريع والتكوين، وهم القرآن الفرقان، والشريعة والميزان، وبهم ختمت الأديان، كما بدئ بهم في عوالم الإيمان، وكانوا أنواراً بالعرش محدقين، يسبحون بحمد ربهم وله عابدون، ومعهم تسبح سائر المخلوقات في الأرض والسماوات، كما تتجاوب الجبال والطير مع داود (ع): ﴿وكُلاً آتينا حُكماً وعِلماً

وسخَّرنا معَ داوُدَ الجِبالَ يُسَبِّحنَ والطَّيرَ وكُنَّا فاعلين﴾ [٢١٧]، وفي آيةٍ أُخرى: ﴿والطَّيرُ صافاتٍ كُلٌّ قد عَلِمَ صَلاتهُ وتَسبيحهُ واللهُ عليمٌ بما يفعلون﴾ [٢١٨]. والريح مع سليمان (ع): ﴿ولسُليمانَ الرِّيحَ عاصفةً تجري بأمرهِ الى الأرضِ التي باركنا فيها وكنَّا بكلِ شيءٍ عالمين﴾ [٢١٩] كل ذلك بلسان الحال والاستعداد، والتكوين والتقنين **technique** غير أنَّ الإنسان قد امتاز عن الجميع بعقله واختياره وضميره وأسراره:

دواؤكَ فيكَ وما تشعرُ وداؤكَ منكَ وما تبصرُ
وتحسبُ أنكَ جرمٌ صغير وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ
وأنتَ «الكتابُ المبينُ» الذي بأحرفه يظهر المضمرُ [٢٢٠]

وبحمله الأمانة: ﴿إنّا عَرضنا الأمانة على السماواتِ والأرضِ والجبالِ فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان﴾ [٢٢١]، وابتلائه بالامامة: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلِماتٍ فأتمَهُنَ قالَ إنّي جاعلكَ للناسِ إماماً قالَ ومن ذُريتي قالَ لا يَنالُ عهدي الظالمين﴾ [٢٢٢] وقد امتاز في حياته العقائدية **ideology** ومسيرته الدينية **deontology** حيث هُدي الى سواء السبيل وأُعطي البرهان والدليل، ولم يكره على اتباع الدين الأصيل **essential divinity** ﴿لاإكراهَ في الدينِ قد تبينَ الرشدُ من الغي﴾ [٢٢٣].

والملاحظة في المقام أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل كلمة «الدين» جمعاً، بل وردت مفردةً بكل اشتقاقاتها وصيغها، للدلالة على أنه «دين واحد» وهو دين الفطرة السليمة، والعقل السليم، والرسول الباطني الذي يعضد الرسول الظاهري: ﴿فطرةَ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها﴾ [٢٢٤] وقد بعث الله تعالىالأنبياء والمرسلين والكتب والرسالات السماوية به لكي لا تكون للناس على الله حجة، بل تكون ﴿فللّهِ الحجةُ البالغة﴾ [٢٢٥] ﴿ويكونَ الدينُ كلهُ للهِ﴾ [٢٢٦]، كما جاءت الإشارة الى ذلك في دعاء الندبة: ﴿وكلٌ شَرعتَ لهُ شَريعةً، ونهجت لهُ منهاجاً، وتخيَّرت لهُ أوصياء، مستحفظاً بعد مستحفظ من مدةٍ الى مدةٍ، إقامةً لدينك، وحُجةً على عبادك﴾ [٢٢٧] وهم جميعاً متسالمون على الإسلام، ويدعون الى الإيمان بإلهٍ واحد لا شريك له.

«فللّهِ حجتان: العقل والشرع، وهما رضيعا لبان، وكفتا ميزان، والعقل شرع من باطن له أحكام مستقلة كقبح الظلم وحسن العدل ولزوم شكر المنعم وسماع دعوة

الرسول ووجوب الفحص عنه لتقبل حجته، وإطاعة شرعه بهذا الملاك، (فإذا تعارض العقل والنقل وجب تأويل النقل، وطرحه بما يوافق العقل، والمنقول إنّما يقبل بعد مطابقته للمعقول) والمشرع الأعظم (ص) الرسول الظاهري مثله الى الدعوة الى الخير، والدلالة عليه، والاجتناب عن الشر والتباعد عنه، فدفعه نحو الواجبات لهداية المكلف وايقاعه على الخير في الأول، وردعه ومنعه عن الشر في الثاني، فهو عصاه يدله عليها ويشير اليها، فامتثال التكاليف وطاعة المولى متقومة بأمرين: بدافع من الشرع وإلزام من العقل»[٢٢٨] و «الواجبات الشرعية هي ألطاف إلهية بالنسبة الى الواجبات العقلية، خالية عن التكلف والحرج، والشرائع السابقة حسب طبعها مقدمة لها، ومعلوم أنّ الغاية أشرف، فهو (ص) خاتم لها وخاتمها، كما أنه في التكوين فتح باب الوجود: «الفاتح لما سبق»[٢٢٩]، وفي التشريع ختمه بأحكامه وشرعه، وكذلك أولياؤه وأوصياؤه (ع) ختمت الإمامة والخلافة الإلهية بهم[٢٣٠]

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان الكامل كل شيء، وعلّمه كلّ شيء بتعليمه الأسماء كلّها وجعله «خليفة» له:

﴿وإذْ قالَ رَبُّكَ للملائكةِ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً قالوا أتجعلُ فيها من يُفسد فيها ويَسفِكُ الدماءَ ونحنُ نُسبِّحُ بحمدكَ ونُقدِّسُ لك قال إنّي أعلمُ ما لا تعلمون * وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها﴾[٢٣١] وأصبح مسجوداً للملائكة بأمر الله ببركة هذه «الأسماء الحسنى» والأمثال العُليا، والكلمات التامّات، وصار عليماً حكيماً، ومتخلّقاً بأخلاق الله، باتباعه لدين الله طوعاً واختياراً، وإسلاماً وإقراراً، وصار مؤمناً مهيمناً، بعد علمه وعمله، وذكره واطمئنانه، وجهاده وكدحه: ﴿يا أيُّها الإنسانُ إنكَ كادحٌ إلى ربِّكَ كدحاً فَمُلاقيه﴾[٢٣٢].

فعن طريق الكفاح والجهاد بلغ الهداية والرشاد: ﴿والَّذينَ جاهدوا فينا لَنهدينَّهُم سُبُلَنا﴾[٢٣٣]، وعن طريق مناهج العبادة والدُّعاء، والتدين والعناء، والخوف والرجاء، قد عرف مجالي الكمال، وعشق الجمال والجلال. وكَمُل له الدين بالنبوّة «المحمدية»، وتمت عليه النعمة بالولاية «العلوية». وصار راضياً مرضيّاً بدين الإسلام،

وكتابه المبين القُرآن: ﴿اليومَ أكملتُ لَكُم دِينَكُمْ وأتممتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ ديناً﴾ [٢٣٤].

وإن هذا الدين القويم، ليقوم على أُسس التفكّر والتذكّر، والتعقل والتدبّر، وعلى مبادئ العرفان والشهادة، والهداية والعبادة: ﴿إنَّ هذا القرآنَ يَهدي للتي هي أقوم﴾ [٢٣٥].

ولم تمر على البشرية فترةٌ من الفترات لم يكن «للدين» فيها أثر، أو «للعبادة» فيها نصيب، بل كان الدين وما يزال ذا أثر فعّال في توجيه الإنسان وهدايته ***heading*** نحو الخير والحق والجمال المطلق، غير أنّ الإنسان قد يُصاب بالجهل والوهم، ***err*** والغرر والغرور ***error*** فينأى عن السبيل ***civil*** ويُخطئ الطريق ***direction*** وينشغل بالمجاز دون الحقيقة، وينشدّ إلى الأثر دون المُؤثّر، ويقف منذهلاً أمام هذا الكون الفسيح منبهراً بالمظاهر والظواهر، وتخلد حواسه إلى العلامات والعلوم الماديّة، فيضيق أُفقه، وتُحدّد نظرته بحجة التخصُّص والواقعية، ولا يستطيع الانفلات إلى «ما وراء الطبيعة» أو التحرر من أنانيّته وإنيّته، ولا يحاول العبور من «تحت الفيزياء» ÷ ***meta*** ***physics*** أو من فوقها، أو سائر أطرافها إلى ما «وراء هذه» الدنيا ÷ ***para*** = ***this*** ÷ ***para*** ***dise*** حيث «فردوس» العرفان، والنعيم المقيم، بل يبقى في دوّامة هذه الحواس ***senses*** المحدودة القاصرة، ويتوهّم ـ كما عرضنا لذلك سابقاً [٢٣٦] بأنّ هذه العلوم ***sciences*** هي التي تنتهي عندها المعرفة. ويظّن بأنَّ الحقائق المنبثّة في هذا الوجود منحصرة بهذه العلامات والنياشين والشؤون ***signs*** التي ينحصر دركها بالحواس كما تشير إلى ذلك العلاقات الصوتية والدلالية المتشابهة في مختلف الاصطلاحات واللغات، وبالتي يفرق في «عوالم العلامات» ولا يتعدّاها إلى ما هو المقصود من ورائها: وهي «الهداية» والمعرفة المطلقة. «وعلاماتٍ وبالنَّجمِ هُمْ يَهتدُون» [٢٣٧].

ولا يصل الإنسان إلى هذه الهداية المطلقة إلّا بالمعرفة المطلقة، كما لا يصل إلى المعرفة المطلقة إلّا «بالعبادة» ***obedience*** والتديّن ***divinity*** بمفهومها القرآني: ﴿وما خَلقتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا ليعبُدُون﴾ [٢٣٨] أي ليعرفون [٢٣٩] وبهذه المعرفة يحصل الانتقال العقلي والمنطقي من الدالّ ***significant*** إلى المدلول ***signified*** أو قل من العلم إلى المعلوم.

الذي يتجلّى في «آيات الآفاق» و «آيات الأنفس»: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتنا في الآفاقِ وفي أنفسهم حتّى يتبيّنَ لهم أنّه الحق﴾ [٢٤٠] وبذلك تكون الهداية الحقة، والمعرفة الصادقة: «أفضل العلم بأفضل معلوم» وكتابها القرآن الكريم: ﴿الم * ذلكَ الكِتابُ لا رَيبَ فيه هُدىً للمُتَّقين﴾ [٢٤٢] ويكون المتّقون ـ كما يشير إلى ذلك بعض العرفاء ـ هم «العقلاء من الناس» الذين سلمت فطرتهم، بل هم «الناس» حقاً بتفسير القرآن نفسه ونصّه في آيتي الصّيام وشهر رمضان المتساوقتين: ﴿شهرُ رمضانَ الذي أُنزلَ فيهِ القرآنُ هُدىً للناس﴾ [٢٤٣] و ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَليكُمُ الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلّكم تتقُون﴾ [٢٤٤] وتكون الرابطة بين التقوى والإيمان والعبادة واليقين والفلاح متلازمة كما في سياق مطالع سورة البقرة: ﴿الذينَ يُؤمنونَ بالغيبِ ويُقيمونَ الصلاةَ ومما رزقناهُم يُنفقون * والذين يُؤمنونَ بما أُنزلَ إليكَ وما أُنزلَ من قَبلِكَ وبالآخرَةِ هُمْ يُوقنون * أُولئكَ على هُدىً من ربِّهم وأُولئِكَ هُمُ المُفلحون﴾ [٢٤٥].

وبهذا الكتاب الذي جمعت فيه جذور الأديان والعقائد، وأُسس العلوم والمعارف الإلهية، ورسوم الفنون والآداب الحقّة، وباختصار «أُصول الدين» الإسلامي و فروعه يستطيع المسلم أن يكون من «المفلحين» حقّاً في الدنيا والآخرة، وبه يصل إلى هدف الخلقة، وعلّة الإيجاد حيث يقف متفكّراً متدبّراً، وعابداً قانتاً: ﴿رَّبنا ما خلقتَ هذا باطِلاً سُبحانكَ فَقِنا عَذابَ ٱلنار﴾ [٢٤٦] ويهتدي من اسم الإشارة «هذا» إلى الكون الواحد ***universe*** ومن الكون الواحد إلى «الواحد الأحد»» الفرد الصمد الذي: ﴿لَمْ يَلِدْ ولم يُولد * ولم يكُن لَهُ كُفُواً أحد﴾ [٢٤٧]، ويوحّد الله تعالى في «ذاته» و «أفعاله» وعندها يعرف لماذا حين تكرّر سورة «التوحيد» ثلاثاً تعدل قراءة القرآن الكريم كلّه: القراءة التوحيدية الكاملة في الذات، والصفات، والأفعال، وعندها يقف على «حقيقة الدين» الذي يقوم على هكذا توحيد، وهو من أوليات الدين وأساسيّاته الذي أشار إليه أمير المؤمنين، وإمام المتقين عليّ (ع) في أوّل خطبة من نهج البلاغة: «أولُ الدِّينِ معرفتُهُ، وكمالُ معرفتِهِ التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُهُ، وكمالُ توحيدِهِ الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاصِ له نفيُ الصّفاتِ عنه، لشهادةِ

كُلِّ صفةٍ أنّها غيرُ الموصوفِ، وشهادةِ كُلِّ موصوفٍ أنّه غيرُ الصِّفة»[٢٤٨] وعندها يكون عارفاً بحقيقة الدين، ويُسلم عقله وروحه «تشريعاً» كما أسلم بدنه وجسده «تكويناً» ويتناغم مع سائر الكائنات والخلائق في مسيرة عرفانية هادية هادفة، وإلى هكـذا توحيد وعبادة دعا القُرآن الكريم «أهل الكتاب» إلى «الكلمة السواء»: **﴿قُل يا أهلَ الكتابِ تَعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكُم الاَّ نَعبُدَ إلّا اللهَ ولا نُشرِكَ به شـيئاً ولا يتَّخِذَ بعضُنا بَعضاً أرباباً من دونِ الله﴾**[٢٤٩].

ويكون الإنسان على وعي من هـذا السـير الاخـتياري، والطـاعة الحـرة، فينتخب سبيل الهدى والاعـتدال، ويـترك سـبيل الشِرك والضـلال، بـقوّة النـقد والتمحيص وقدرة البحث والتفكّر، وبما أودع الله في نـفسه مـن الإلهـام والإحكـام «فألهمَها فُجُورَها وتقواها»[٢٥٠].

وبهذا الإسلام الفطري والإحكام العقلي يسير على الصراط المستقيم، ويختار شكر المنعم الذي أنعم الله عليه «بالهداية الأوّليّة» كـما أعـطاها لسـائر الكـائنات: **﴿أعطى كُلَّ شيءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدى﴾**[٢٥١] ويواصل السـير بطواعية على طريق «الهداية الثانوية» التي توصله إلى «المقصود» والهدف الأسمى من الوجود.

أمّا ما هو هذا الصراط؟ وما هي بدايته؟ وما هي نهايته؟ وما هي الطـريقة التي يجب أن يتبعها السالك؟

فالجواب عن هذه الأسئلة المنطقية الأربعة: البداية ***the beginning*** النهاية ***the ending*** الطريق ***the direction*** الطريقة ***directly*** وما يتفرّع عنها من أسئلة كثيرة كبيرة، هذا ما تكفّلت به هذه المقالة المتواضعة التي تبحث عن «وحدة الأديان» وفلسفتها، وجذورها وتاريخها ***Philosophy of Deontology: the roots and history*** وتنبع من منبع واحد، وتعود جميعاً في حقيقتها الىٰ دين واحد، إلى «الرحمان الديّان» الذي تلطّف على «الإنسان» وعلّمه «البيان» وجعل الغاية منه «عـلم القُـرآن» المـلخّص في «فـاتحة الكتاب»[٢٥٢] التي تشير إلى البداية من «ربِّ العالمين» والنهاية إلى «مالك يوم الدين» والطريق يكون الصراط المستقيم، والطريقة طريقة المتقين الذين يـتحلّون بأخـلاق

الربّ العليا القابلة لهم، ويصطبغون بصبغة الله المُثلى المنزلة عليهم ﴿ومَن أحسنُ مِنَ اللهِ صِبغةً﴾ [٢٥٣] وإن الصراط المستقيم هو صراط الإسلام، والدين الحنيف، وهو أقرب الطرق إلى الخالق، وإن كانت الطُرق إليه بعدد أنفاس الخلائق ونفوسهم، حيث يحاول «الإنسان» أن يكون ديدنُه دينَه وان يكون دينُه ديدنَه، وهو اتّباع «الأوامر والنواهي» الإلهيّة التي جاء بها المرسلون، وسار على هديها الأئمة الصالحون، وبها تطابقت النسختان «التكوينيّة» و «التشريعية» التي تقوم على المصالح الواقعية الملائمة للفطرة الإنسانية **human virtue**. وقد بلغ الدين مرحلة الكمال بالقرآن الكريم والرسول العظيم محمد (ص) الذي ختمت به الرسالات السماوية والأديان الإلهيّة، وفتحت على يديه أبواب الإمامة الخاتمة، والولاية القائمة من بعده، للأئمّة الطاهرين من أهل بيته (ع)، حيث كان: «الخاتم لما سَبق، والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كُلّه ورحمة الله وبركاته» [٢٥٤].

ومن أجل أن نتعرّف على معاني الدين في مختلف الأديان والحضارات والأمم واللغات لابُدَّ أن نرجع قليلاً إلى دلالات كلمة «دين» وما إليها من مصطلحات في بعض القواميس والمعجمات، لنتصيّد تلكم الروابط والعلاقات التي تختفي وراء الأصوات والكلمات بِشِبَاك منهجنا التوحيدي المتَّبعَ **unithetical approach** فإن حرف الدال والنون وما يثلّثهما من حروف العلّة تُشكّل الدلالات الآتية، وترتبط جميعاً بمفهوم عامّ شامل عقدنا هذه المقالة المتواضعة من أجله: وهو «الالتزام والملازمة» نظراً وتطبيقاً، والالتزام بالشيء ـ كما يُقال ـ التزام بلوازمه، واللزوم: هو الثبوت.

فقولهم: «دان فلان يدين ديناً: استقرض وصار عليه دَيْن، فهو دائن، وأنشد الأحمر:

ندينُ ويقضي الله عنّا وقد نَرَى ... مصارع قوم لا يدينونَ ضُيَّعا

ورَجُل مديون: كَثُرَ ما عليه من الدَّين ... وأدان فلان إدانةً إذا باع القوم إلى أجَل ... وبعتُه بدينَة: أي بتأخير» [٢٥٥].

وتشبه بذلك كلمة **debt** و **indebted** في الانجليزية صوتاً ودلالةً، وكذلك سائر اللغات المتفرعة عن اللاتينية والهند وأوروبية من الجذر نفسه. ونستخلص منه معنى

القرض والاستقراض والبيع والشراء إلى أَجَل وتأخير، فكان الذي يتديّن ويلتزم بأوامر الدِّين ونواهيه هو الذي: ﴿**يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ له أضعافاً كثيرة**﴾ [٢٥٦] في الآخرة، ويقضي له بما أحسن لنفسه وللآخرين، ويكون جزاؤه الحسنى، ويجازى بالخير، كما هو مفهوم «الدين الجزاء والمكافاة، يقال: دانه دِيناً، أي جازاه، يُقال: كما تَدِينُ تُدان، أي كما تُجازي تُجازى بفعلك وبِحسَب ما عملت» [٢٥٧].

وإضافةً إلى ما تقدّم تأتي كلمة الدين: بمعنى التعبّد والعبودية لله الدّيان ويكون «المَدِين: العبد، والمَدِينَة: الأمَة، كأنّها أذلّها العمل» [٢٥٨]، والتذلّل الحقيقي، والخضوع والخشوع يكون لله الواحد القهّار حَسْبُ، وبذلك يتحرّر عمّن وعمّا سواه، وتكون «العبودية» لله وحده كُنه جوهرها «الحرية» التي تفتقدها البشرية ـ مع الأسف ـ في كثير من الأعصار والأمصار وتُبتلى بالمذلّة الآثِمة، والذّلّة القاتمة.

ومن دلالات كلمة الدين أيضاً المُلك والمِلك ـ ضماً وكسراً ـ كما ورد عن الفَرّاء: «يُقال دَيَّنْتُهُ: مَلَّكْتُه ... وناسٌ يقولون: ومنه سُمّي المصر مدينة» [٢٥٩] فالمدينة مملكة والمُدُن ممالك، ومنها انتُقِل إلى المدنيات: الممالك المتحضّرة، والأقوام المتمصّرة.

ومن معانيها: «الطاعة، ودان له: أي أطاعه. ومنه الدِّين، والجمع الأديان، يُقال دان بكذا دِيانةً، وتديّن به فهو ديّن ومتديِّن» [٢٦٠]. ولا أحدَ يستحقّ الطاعة والإطاعة حقيقةً إلّا الله تعالى. وإذا ما أُمِر الإنسان باطاعة الرسول وأولي الأمر، ومن ينوب عنهم من المراجع والفقهاء، فذلك من باب الطاعة الثانوية المتفرّعة عن الطاعة الأولية، وبذلك جاء النصُّ القرآني مكرراً «أطيعوا» في الآية الكريمة: ﴿**أطِيعُوا اللهَ وأطِيعوا الرسولَ وأُولي الأمر**﴾ [٢٦١] لِيدُلَّ على أنَّ الطاعة الأولى تجب لله سبحانه وتعالى وعنها تتفرع طاعة من أمر الله بطاعتهم من البشر: أنبياء وأئمّة وفقهاء ومن يمتُّ إليهم (ع) [٢٦٢].

وخُلاصة القول في هذه الدلالات والمعاني الواردة في العربية: أنَّ الدين بمختلف الصيغ والاشتقاقات ذو دلالة جامعة شاملة وهي الالتزام والملازمة، والعبادة والجزاء قولاً وعملاً.

ونظير هذه المعاني والمباني وردت في مختلف اللغات واللهجات، فكلمة ***dan***

من المفردات «الكتابية» تعني «قاضي» وفي الانجليزية **judge** وفي الفارسية داد. وكلمة **Daniel** تعني:قضاءالله وجزاءه **Judgement of God** وكـتاب دانـيال **Book of Daniel** معروف **six chapters ... contain the earliest** وكلمة **model of apocalyptic literature** ... تدلُ على القضاء والجزاء **dannah** كما صرّح بها «المعجم الكتابي» لوبستر.**

وقد سُمّي الديوان ديواناً لأنّه محل التسجيل والتدوين والحساب، وقيل إنّـه معرّب عن الفارسية، وانَّ الشخص العاقل الذي يحسب للأمور حسابها يُسمّى: دانا، وهو الذي يفكّر بعواقب الأمور والجزاء.

وكلمة **devout** الانجليزية تدل على الشخص المتديّن أصلاً وهو الذي يـقف نفسه للقضيّة الأسـاس، و **devotion** تدل على التقدّس الصوفي والتدين المطلق، كما إنَّ كلمة **deon** اليونانية التي منها **deontology** ترتبط صـوتاً ودلالةً بكـلمة **due** و **duty** الواجب والالتزام.

ولعلّ كلمة **theology** الدالة على الدراسات الإلهية الدينية ذات علاقة صوتية ودلالة بكلمة **deontology** ولا سيّما عندما نعلم طبيعة التغيير الأصـواتي بـين الدال والذال في بعض اللغات [٢٦٣] وانَّ الجذر **theo** يعني الذات المقدَّسة: الله في اليـونانية، وإليها ترجع في نظرنا كلمة **thesis** و **theme** الدالّة على الوحدة والتوحيد نظراً وعملاً، وما إليها من معانٍ ومبانٍ.

وكلمة **religion** الدِّين التي عالجناها في مقالة «ولاية الفقيه» لها جذر **re÷ligion**: بادئة تعني في الانجليزية الاعادة، مثل **re÷join** أي: إعادة الارتباط والولاء، وهـي ذات علاقة بكلمة **legiance** و **allegiance** الدالة على الولاء المطلق لله، أو الوطـن أو الحكم وما إلى ذلك، وهي ترتبط جذراً بكلمة **loyal:legal** والشيء القانوني الشرعي، وكذلك بكلمة **alligare** اللاتينية التي تعني أيضاً الارتباط والولاء **l.to ligare: to bind** **alligare** وكذلك كلمة **aligne align, allign** جميعاً تدلّ على التـعهّد والالتزام والولاء بشكل من الأشكال، حتّى أنّنا اقترحنا سابقاً تـرجمـة مـصطلح «ولايـة» بـالتعبير المتساوق صوتاً ودلالة **loyalty** ويكون اصطلاح ولاية الفقيه، **loyalty to jurisprudent** وأنّ ولاية الفقيه هذه امتداد لولاية الإمام، وولاية الإمام امتداد لولايـة الرسـول،

وولاية الرسول متفرعة عن ولاية الله [٢٦٤]، ومن هنا وجب الالتزام بدين الله القيّم القويم: ﴿دِيناً قِيَماً﴾ [٢٦٥] الذي بشَّرَت به الأنبياء تِباعاً من لدن آدم (ع) وحتّى خاتمهم وأشرفهم محمد (ص) الذي أُرسل ﴿رَحمَةً للعالَمين﴾ [٢٦٦] و ﴿كافَّةً للنَّاس﴾ [٢٦٧] وعن طريق الدين الواحد تتوحّد الأيادي المؤمنة ***human aids*** وتتعاضد الأفكار والعقائد الحقّة ***high ideas*** وفقاً للفطرة السليمة ***slim virtue*** وتكون العقيدة الموحدة الايديولوجية ***ideology*** واحدة. حيث الدين الحق واحد: وهو الإسلام «والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه» وتكون الأديان المرسلة، والكتب المنزلة، حسب تكامل الأعصار والأمصار، ذات جذور دينيّة جامعة ***common divine roots*** وقد بلغت «الكمال» و «تمت» النعمة بالإسلام والولاية، حيث الطريق اللائحة ***logical direction*** والمحجة الواضحة، وحيث الشريعة المستقيمة ***straight street*** والسُنَّة القويمة والمنهاج الأكمل، والنهج الأعدل: ﴿لِكلٍّ جعلنا منكُم شِرعةً ومِنْهاجاً﴾ [٢٦٨] وحيث المنهجيَّة الرائدة ***right methodology*** التي تمثّلت بمعاني نهج البلاغة، وصاحبه الإمام علي (ع) ربيب محمّد (ص) وتلميذ القرآن، وباب «مدينة العلم» [٢٦٩] الفاضلة ذات الأصول والفروع الكاملة:

«آل الرسول ونِعمَ أكفاء العُلا آلُ الرسولِ» *

«خير الفروع فروعُهُمْ وأُصولُهم خير الأصولِ»

وهكذا تكون الأمثلة السامية ***semiotic models*** والأسوة الحسنة على مرّ القرون ***chronology*** ويكون كلّ منهم المثال الحق ***high model*** والمسلم العَدْل ***ideal Muslim***.

وعندما يتحوّل الإسلام ليكوّن المسلمين: ﴿الذينَ يمشونَ على الأرضِ هوناً وإذا خاطَبهُمُ الجاهِلُونَ قالوا سلاماً﴾ وعندما يتحوّل المسلمون ليكوّنوا الإسلام الذي يسير على قدميه في جميع الأمكنة والأزمنة علماً وعملاً، تكون الجنّة على الأرض، بل ويستعيد الإنسان كرامته الضائعة التي هي جنّته الضائعة ***the lost paradise*** ويعرف قيمته الحقيقية باتباع فطرته السليمة التي سلمت من جميع الشرور والآثام، والظلم والحرام، ويعرف بأنَّهُ في حقيقته «روح لا جسد» ويعرف بأنَّ روحه هذه من «روح الله» ﴿ونفختُ فيهِ مِن رُّوحي﴾ [٢٧٠] وهي من عالم الأمر والشهود.

وأنَّها مجردة **abstract** عن كل المفارقات النوعيّة والجنسيّة **genetical** وما إلى هنالك من فروع وفروق **variables** لا تمت إلى روحه المجردة هذه بسبب من الأسباب، إذ: ﴿قل الروح من أمرِ ربِّي وما أُوتيتُم مِنَ العِلمِ إلَّا قليلاً﴾ [٢٧١] وإنَّ خالق الإنسان وصانعه يُقرّر معيار التفاضل بالتقوى والتعارف الحق: ﴿يا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكم من ذَكرٍ وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لِتَعارَفوا إنَّ أكرمَكُمْ عند اللهِ أتقاكُم﴾ [٢٧٢] وفي ضوء منهجية التقوى ـ التي سنفرد لها بحثاً مستقلاً بعونه تعالى ـ يزداد الإنسان علماً وتجرّداً حتّى يُصبح جسده روحاً ويصير بدنُه نَفساً عن طريق معاني اللُّطف **love** ويكون مسجوداً للملائكة بعد اكتسابه «علم الأسماء» وتعليمه حقائق المسمّيات ليعيش في عالم الرحمٰن الرحيم **rhyming and rhythm** منسجماً مع سائر الأسماء الجمالية والجلالية، حيث لكل جمال جلال، ولكلّ جلال جمال [٢٧٣] ويسير في مسيرته العرفانية التكاملية **integrational method** التي نرسمها بشكل معادلة هندسيّة معرفية ذات أبعاد لا نهائية هكذا: **by sign of All- rhyming and rhythm.**

مُتّسماً بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم، على الصراط المستقيم ـ إلى مالك يومَ الدين. أو هي هكذا:

ويكون الهادي والهدى (خُدا) **God** قائده **his guide** وهو الإله الواحد الأحَد (خود) **code** الجواد **Good** الجود المطلق الذي يتّصف بكلّ الأسماء الحسنى والأمثال العُليا، وجماعها: الله وبالله عرفنا الله: «بِكَ عرفتكَ وأنتَ دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنتَ لم أدرِ ما أنتَ» [٢٧٤].

وتكون جميع الجهات جهة واحدة، وكلّ الوجود وجهاً واحداً **one face** ﴿فأينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجهُ الله﴾ [٢٧٥]. وتكون الصلاة ـ الحلّ **solution** لكلّ مشاكل الإنسان، كما تكون حياته ومحياه لله: ﴿قُلْ إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للهِ رَبِّ العالمين * وبذلِكَ أُمرتُ وأنا أوّل المُسلمين﴾ [٢٧٦]. وتكون الأسماء والجهات كلّها اسماً واحداً ووجهاً واحداً: «بل الأسماء كلها في الكلّ. فكل اسم بالوجهة الغيبيّة له أحديّة الجمع، بل كلّ الأسماء هو الإسم الأعظم كما أشار إليه باقر العلوم (ع) في قوله: اللّهم اني أسألك من أسمائك بأكبرها وكلّ أسمائك كبيرة. وإليه الإشارة في قول الصادق (ع): ما رأيت

شيئاً إلاّ ورأيتُ الله فيه[277]. فالجمال ظهور الجلال، والجلال باطن فيه، وبالعكس فالنار صورة الغَضَب الإلهي وباطنها الرحمة، لأنّها خُلِقت لأجل تخليص العباد عن لوازم أعمالهم وبالطاعة الخالصة، والعبادة المُخلصة تحول «القِبلة» إلى قُبْلة عرفانية، وقابليّة دينيّة ***divine capability*** وتكون الكعبة المكعبة ***cubic*** ذات الأركان الأربعة قائمة على التسبيحات الأربع «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله والله أكبر»[278] ويكون الحجّ إلى البلد الحرام ***pilgrimage*** وسائر العبادات والتعبُّدات، والمواقف والحالات العرفانية ذات معانٍ ومغازٍ، منغمة منعمّة، وتتناغم في نشيد أبدي أزلي أطلق عليه القرآن: «البيان» الذي لولاه لما تمت النعمة، ولا كَمُلَ الدين، ولا سيمّا عن طرق التبليغ والبلاغ ***propagation*** ﴿وما على الرَّسول إلّا البلاغُ المُبين﴾[279] ولا يكون البلاغ بمعناه القُرآني إلّا بالبيان، ولا عقاب ولا ثواب ـ كما يقول الفقهاء والمتكلّمون ـ من دون بيان، والإنسان يستطيع أن يبلغ ما يبلغ من المراحل المعرفية بواسطة البيان: الذي هو في حقيقته الوضوح والإيضاح، والشرح والإبانة، وليس التفسير ولا سيمّا تفسير القرآن الكريم، إلّا الكشف عن الحقائق والمعارف القرآنية بتشريح الأذهان، وكشف الحجاب عنها لا عن القرآن، لأنّه هو المبين والبيان ولا يحتاج في واقعه إلى تبيان بل هو التبيان والبُرهان: ﴿ونزَّلنا عليكَ الكِتابَ تِبياناً لِكُلِّ شَيء﴾[280] وبالبيان تستبين الأديان والايديولوجيات، وبالبيان تَتمُّ الكلمات والبيِّنات التي هي في حقيقتها «كلمة واحدة» بنص القرآن الكريم: ﴿وَلَقد سَبَقَت كَلِمتُنا لِعبادِنا المُرسلين﴾[281] و ﴿وتمَّت كلمةُ ربِّكَ صِدقاً وعَدلاً﴾[282] وهي كلمة التوحيد وعلم التوحيد.

الوحدة وعالم البيان

﴿هذا بيانٌ للناسِ وهدىً وموعظةٌ للمتقينَ﴾[283]

في ضوء المباحث المعرفية والفلسفية يمكن للمرء أن يشبه الوجود بالنور، والعدم بالظلام، أو يقيسهما كذلك، وإن كان قياساً مع الفارق، لأنّ الظلام في حقيقته موجود أيضاً، ومخلوق من قبل الله تعالى، ومجعول له : «يا من جعل الظلمات

والأنوار»[٢٨٤] فإذا حصل الوجود، أو قل وجد الوجود فقد انتقض العدم.

والوجود والعدم نقيضان وضدّان لا يجتمعان ولا يرتفعان. والوجود ظهور ذاتيّ أوليّ، وبيان بديهيّ ثبوتيّ ***axiomatic*** لا يحتاج إلى برهان وإثبات، أو دليل واستدلال:

«وليس يَصِحُّ في الأفهام شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ»[٢٨٥]

وقد قال العلاّمة الطباطبائي عن مفهوم الوجود بأنّه: «معقول بنفس ذاته لا يحتاج فيه إلى توسيط شيء آخر، فلا معرّف له من حدّ أو رسم»[٢٨٦] لكنّ الموجود يحصل في مراتب، وهو مقولة «تشكيكيَّة» كما يرى بعض الفلاسفة، وكذلك «البيان» لغةً معناه: الظهور والوضوح، وهو نور وتنوير للمطالب، وعلى مراتب.

وجاء في حقيقة النور أنَّه: «ظاهر بذاته مُظهر لغيره»[٢٨٧] والبيان ما يتبيَّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بياناً اتّضح فهو بيّن. وكذلك أبان فهو «مُبين»[٢٨٨]. وبالنسبة لدلالة معاني «اللغة» ومترادفاتها جاءت مساوقة ومطابقة له في كثير من الاستعمالات. والبيان: الفصاحة واللَّسَن، وفي الحديث: «إنَّ من البيان لسحرا» وفلان أبين من فلان أي أفصح منه، وأوضح كلاماً[٢٨٩].

وقد وردت اشتقاقات مادة «بيَّن» في العربية في كثير من المعجمات وكتب اللغة بهذه المعاني، أو بمعانٍ مشابهة، وكذلك ورودها في القرآن الكريم في هذا الإطار العامّ مع دلالات ودلائل قرآنية خاصّة عرضت لها كتب التفسير، ومعاجم القرآن وقواميسه، ومفرداته المشروحة والمترجمة في مختلف اللغات، كما سنعرض لها باختصار وإجمال.

ومن الاشتقاقات هذه «التبيين: وهو الإيضاح والتَّبيين أيضاً: الوضوح. وفي المثل: «قد بَيَّنَ الصُّبح لذي عينين» أي تبيَّن.. والتِّبيان: مصدر، وهو شاذّ، لأنَّ المصادر إنَّما تجيء على التَّفعال ـ بفتح التَّاء ـ مثل التَّذكار والتكرار والتَّوكاف، ولم يجيء بالكسر إلاّ حرفان، وهما التِّبيان والتِّلقاء»[٢٩٠]، وقد وردا في القرآن الكريم: ﴿ونزَّلنا عليكَ الكِتابَ تِبياناً لكلِّ شيءٍ﴾[٢٩١] و﴿تِلقاءَ مَدْيَن﴾[٢٩٢].

ولتبيان رابطة «النور» و «البيان» علّةً وصدوراً، وغايةً ووسيلةً، وأنّهما من الله

وإليه، «كسائر» الأشياء في عالم الوجود الإمكاني نسوق بعض معاني النور الواردة في القرآن الكريم الذي هو «بيان» و «نور» كما يصف نفسه بنفسه هكذا.

الأوّل ـ النور بمعناه الأوّلي «المنوّر» و «المبيِّن» والمُظْهِر لِكُلِّ شيء [٢٩٣] وهو «الله» تعالى: ﴿اللهُ نورُ السماوات والأرض﴾ [٢٩٤] ويعني هنا أنّه مُنوِّر السماوات والأرض على بعض التفاسير.

الثاني ـ النور بمعنى : «الرسول» بدليل : ﴿قد جاءكم مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مبين﴾ [٢٩٥] فالنور المُبين: «الرسول» والكتابُ المبين: «القرآن الكريم» وهو رسالة نبيِّ الإسلام والسَّلام محمَّد (ص).

الثالث ـ النور بمعنى «بيان» الحلال والحرام. والأمر والنهي، الذي ورد في «التوراة» خاصَّة، وهي رسالة موسى (ع) غير المحرَّفة أصلاً: ﴿إنَّا أنزلنا التوراة فيها هُدىً ونورٌ﴾ [٢٩٦]. وهذا البيان للأحكام الإلهيَّة بمنزلة الضوء من الظلمة. وكذلك في الآية: ﴿قُل مَنْ أنزلَ الكتابَ الذي جاءَ به موسى نوراً وهُدىً للنّاس﴾ [٢٩٧].

الرابع ـ النور بمعنى «بيان» الحلال والحرام والأمر والنَّهي الذي ورد في القرآن خاصَّة: ﴿فالذينَ آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزلَ معه﴾ [٢٩٨]. وما فيه من البيان العامّ، وكذلك في الآية: ﴿ولكن جعلناهُ نوراً نَهدي به﴾ [٢٩٩]. وفي الآية: ﴿فآمنوا باللهِ ورسوله والنور الذي أنزلناه﴾ [٣٠٠]، أي القرآن الكريم وما فيه من البيّنات.

الخامس ـ النور بمعنى الإيمان: ﴿اللهُ وليُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظُلمات إلى النور﴾ [٣٠١] أي من الكفر إلى الايمان، وكذلك في الآية: ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به بين النّاس﴾ [٣٠٢]. أي: إيماناً يهتدي به. وكذلك: ﴿هو الذي يُصليّ عليكم وملائكتُهُ ليخرجكم من الظُّلمات إلى النور﴾ [٣٠٣] أى من الكفر إلى الإيمان، والآية ﴿ويجعل لكم نُوراً تمشون به﴾ [٣٠٤] أي إيماناً تهتدون به.

السادس ـ النور بمعنى الإسلام: ﴿يريدون أن يُطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم ويأبى اللهُ إلّا أن يُتمَّ نورَهُ﴾ [٣٠٥] أي يُظهر دين الإسلام، وكذلك الآية: ﴿يُريدون لِيُطفئوا نورَ الله بأفواههم﴾ [٣٠٦].

السابع ـ النور بمعنى المعرفة: ﴿مثلُ نُورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباح﴾ [307] أي مثل معرفته في قلب العبد المؤمن، وتَتِمَّتُها: ﴿يَهْدِي اللهُ لنورِهِ مَنْ يشاء﴾ [308] أي لمعرفته من يشاء.

الثامن ـ النور بمعنى إنارة الأرض بضوء الربّ: ﴿وأشرقت الأرضُ بنور ربّها﴾ [309] أي بضوء ربّها.

التاسع ـ النور بمعنى إنارة الصّراط يوم القيامة: ﴿يومَ ترى المؤمنينَ والمؤمناتِ يسعى نُورُهُم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [310] أي يسعى ضوؤهم الذي يُعطيهم الله، على الصّراط بين أيديهم وبأيمانهم، وكذلك الآية: ﴿يوم لا يُخزي اللهُ النَّبيَّ والذين آمنوا معه نُورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [311] أي الضوء الذي يُعطي اللهُ المؤمنين على الصراط.

العاشر ـ النور بمعنى نور القمر: ﴿وجعل القَمَرَ فيهنَّ نوراً﴾ [312] أي جعل القمر في السماوات ضياءً يستضيء به أهل الأرض.

الحادي عشر ـ النور بمعنى نور النهار: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلماتِ والنورَ﴾ [313] أي جعل ظلمة الليل ونور النهار من آياته البيِّنات والعلامات الهاديات: ﴿وعلاماتٍ وبالنجمِ هم يهتدون﴾ [314] وإلى ما هنالك من معان للنور والبيان متساوقة متناسقة، ومتّسقة مستوسقة، تحتاج إلى مجال أوسع، ومحل أرفع، وحال من حالات العرفان أصنع، لا يساعد على ذلك الآن الخاطر الكليل، وهي لا تحتاج في ظهورها إلى دليل.

والبحث المسوق له الكلام في هذه الدراسة المتواضعة، هو «البيان». ومن أجله وضعنا النظرية التوحيدية ***Unitheism*** كي يتسنَّى لنا بلطفه تعالى دراسة اللغة ***language*** وعلم اللغة العامّ ***general linguistics*** في ضوء النظر القرآني القائم على وحدة المعرفة، «وأصل التوحيد» الذي نادت به الأديان، ودعا إليه العقل والبرهان، وهو الحقيقة الساطعة للعيان.

ولمّا كان علم اللغة المعاصر ***modern linguistics*** يبحث في اللغة ***linguistics domain is the study of language itself*** وبتعبير آخر: من أجل اللغة نفسه لا من أجل

شيء آخر: ***language for the sake of language*** في ضوء نظريات شتّى ما تزال تتطوّر وتتبلور على أيدي علماء الغرب والشرق، وجماعها يقوم على تخطيط الفكر الإنساني وتحقيقه، المبنيّ على النظرة التجريبية التحليلية للأشياء ***practical analytical*** وبشكل وصفي ***descriptive*** وقد اصطلحوا عليه وحده بالنظر العلمي ***scientific*** في مقابل النظر المعياري القديم ***prescriptive*** وقد عرّفوه بالتعريف الآتي:

linguistics: the scientific study of language[٣١٥]. أي علم اللغة: هو البحث العلمي في اللغة. وقد عرف باللسنيّات واللسانيات أيضاً في بعض الأقطار العربية، كما ترجم إلى الفارسية هكذا: «مطالعه علمي زبان»[٣١٦] فنحن نحاول أن نُدلي بدلونا في ضوء النظر القُرآني ***Quranic view*** الذي يعالج «البيان» كقوّة نطق خلاّقة ***linguistic competence*** أعطاها الله سبحانه وتعالى للإنسان فطرةً، وعلّمه بواسطتها الإبانة عن مقاصده بعد خلقه، متميّزاً عن سائر أنواع الحيوان بِفَضل نُطْقِهِ ***Speaking animal*** وبِفَضلِ جامعيّته واجتماعه ***Social animal***[٣١٧].

وأنَّ الهدف الأسمى من كلّ ذلك تعليمه القرآن، القراءة الجامعة للوجود والبيان العام الذي جمع الله فيه معارف الدنيا والدين، وعلوم الأوّلين والآخرين، وخير ما كان وما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة. وباختصار كما نصَّ خالقُ الكون جميعاً، وخالقُ الإنسانَ ومُعلِّمُهُ: ﴿نزّلنا عليكَ الكتابَ تِبياناً لكلِّ شيءٍ﴾[٣١٨].

البيان في القرآن

وبما أنّ اللغة موضوعة علم اللغة شيء من هذه الأشياء التي بيّنها القرآن الكريم بآيات بيّنات في مناسبات متعدِّدة وعبارات شتّى وفقاً لمقتضى الحال والمناسبة التي تتطرَّق لها، أفردنا لهذه الدراسة عُنواناً مستقلاً هو «البيان»[٣١٩] حيث جاءَت الدلالة الكلية والغاية العُليا منه في مطالع سورة الرحمٰن: ﴿الرَّحمٰن * علَّم القُرآن * خَلَقَ الإنسانَ * علَّمهُ البيانَ﴾[٣٢٠] ولابُدَّ من التوجّه إلى رابطة اسم «الرحمن» من الأسماء الحُسنى لله «بالبيان» ودلالات الجذر اللغوي «رحم» في مختلف اللغات والاشتقاقات على ***rhyme*** و ***rhythm*** وارتباط دلالة «الرحيم» في العربية وسائر

اللغات الساميّة ـ بإبدال الهاء والحاء ـ و «رهيم» و «مرهم» ـ بابدال الهاء والحاء ـ بين اللغات الشرقية والغربية [٣٢١]. ودلالة الجميع على النظم والنظام، والنَغَم والانسجام صوتاً ومعنى: كما سنفصل ذلك في مقامه من البحث.

وكذلك الدلالات المرتبطة باللسان والبيان، وعلاقة «الجـزء» «بـالكل» أو المصداق: «اللسان» بالمفهوم: «البيان»: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بـلسان قـومه ليُبيّن لهم﴾ [٣٢٢] ﴿ومن آياتهِ خلقُ السمواتِ والأرض واختلافُ ألسنتكم وألوانِكم إنَّ في ذلك لآياتٍ للعالِمين﴾ [٣٢٣] وفي كلّ ذلك آيات ودلالات، وبـراهـين وبـيِّنات للعالمين ـ بكسر اللام ـ الذين هم العلماء المتتبّعون للعلامات المبثوثة في الوجود جميعاً: ﴿وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون﴾ [٣٢٤] أي من أجل الهداية ***heading*** والاهتداء إلى المقاصد والأهداف العالية. وأنَّ مقصد المقاصد هو علم التوحيد المُتجلّي بعلم الأسماء الحسنى والأمثال العليا، كما توحيه هذه المقولة ***There is an aim for a name*** وأنّ علم واجب الوجود بمـعنى «الأحـديّة» ***Monotheism*** الذات المـقدَّسة ليـتجلّى في عـلم، الواحدية ***Unitheism*** الذي ينظر إلى كلّ شيء على أنّه آية تدلّ على أنّه «واحد» وأنّه مجلى من مجاليه، ومجرى من مجاري فيضه، كما يقول الإمام علي (ع): «ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُ الله قبله ومعه وبعده» [٣٢٥]

وفي كـــل شيءٍ له آيـــةٌ تـدلُّ عـلى أنّـه واحـد

وكل ذلك يُدرك بالنظر التوحيدي ***Unithetical view*** وبشرط الخروج مـن دائرة الحواس الضيّقة ***limited senses*** إلى فضاء عالم الشهود والعيان ، والنظر بعين القلب والعقل الرحماني، كما ورد: «العقل ما عبد به الرحمٰن واكتسب به الجنان».

وفي ضوء النظر القُرآني هذا، وفَهمِنا لأمثال هذه الآيات البيِّنات من خـلال التفاسير المتعددة، وعلم الكلام والفلسفة الاسلامية وبالخصوص مـا ورد في كـتب المعاني ولحن العرفاء المستند إلى مدرسة أهل البيت (ع) من تفسير «الأسماء الحسنى» توصّلنا إلى نظم هذه النظرية اللغوية بشكل ينسجم والعرفان النظري والعملي الذي ينظر إلى الوجود على أنّه أسماء الله وسماته، وآياته وكلماته المتجلّية في عالم الإمكان: ﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعده سبعة أبحرٍ ما نَفدت

كلماتُ الله﴾[٣٢٦] غير أنَّ هذه الكلمات تتلخص في كلمة واحدة، وهي كلمة «كُن»: ﴿إنَّما أمرهُ إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون﴾[٣٢٧]. وهذا الأمر هو «واحدة»: ﴿وما أمرُنا إلّا واحدة﴾[٣٢٨] و ﴿قل إنّما أَعِظكُم بواحدة﴾[٣٢٩] وهي «القيام لله» عملاً وهي خلاصة الرسالات السماوية:«الكلمة العُليا» كلمة الرب: ﴿وتَمَّت كلمةُ ربّك صدقاً وعدلاً﴾[٣٣٠] و ﴿ولقد سبقت كلمتُنا لِعبادنا المرسلين﴾[٣٣١] و﴿قُل يا أهلَ الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نَعْبُدَ إلّا الله﴾[٣٣٢] وفي مجيء الكلمة هذه بصيغة «المُفرَد» دلالة على ما نذهب إليه من وجود الحقيقة الواحدة، والمعنى الواحد المؤثِّر في الوجود، بل وحتّى ـ إن شئت ـ الحرف الواحد، فيمكن إرجاع دلالة «الألف» شكلاً ومعنىً إلى هذا المعنى الواحد: «الف» وفيه ما فيه من دلالات التوحيد لبساطته، ودلالته على «بسيط الحقيقة». و هو الأوّل في الأرقام والأعداد، والألفبيّات والأبجديات أصلاً، كما يمكن اعتباره هو الآخر أيضاً لتبادله مع الياء في «اللغات الشرقية» وتبادلها مع الجيم والزاي في «اللغات الغربية» بل إنَّ التعبير نفسه مذكور في المثل السائر: من الإلف إلى الياء ***From A to Z***[٣٣٣]. بل يمكن إبدال الإلف مع الهمزة شكلاً عند تكسُّره إلى ثلاث نقاط في رسم الخط العربي والفارسي كما هو المتعارف هكذا (***Z=1***) ويُلاحظ تشابه الهمزة في العربية مع الهمزة في الإنجليزية أصلاً: (٦=٦) وهي جيم موضوعة أمام المرآة: لتكون متعاكسة هكذا: (***Z=Z***) وهي تشابه آخر الحروف الإنجليزية والألفبيات اللاتينية هكذا (***Z=Z***) مع زيادة نقطة في وسطها،

«لَيْسَ في الدارِ غَيْرُهُ ديَّارُ»[٣٣٤].

أي لا متصرّف في الوجود إلّا الله، وما سواه وعداه قائم به، ووجوده وتصرّفه غير مستقل أساساً؛ بل يقوم على عِللٍ كثيرة تنتهي إلى علّةِ العِلَلِ، وهي العِلَّة الأولى ***Prima Causa***.

وإنَّ هذه الكثرات والتعيّنات في الوجود هي أسماء وتجليّات للذات المقدّسة الواحدة، كما قالوا: «الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة»[٣٣٥].

كثرة في عالم «الواحدية» الذي تتجلّى فيه الذات بمظاهر الأسماء الحسنى، والأمثال العُليا، ووحدة في «عالم الأحدية» الذي هو عالم الذات والكُنه المقدَّس: ﴿قُلْ

هو الله أحد﴾[٣٣٦] ولا تخفى دلالة أحد، على الواحد الذي لا ثاني له، وترجمته Monotheism للأحدية وأمّا Uni و un و une و one الذي له ثانٍ يأتي بعده، أو يرتبط به ليشكّل الشيء الواحد، أو العالم المتوحّد Union جهان أو الوحدة unit فهي الوحدة التي تجمع الكثرات من الأشياء والأعضاء وتوحّدها.

وإنَّ هذه الكثرات من المخلوقات، والأشخاص، واللغات، وغيرها غير مستقلة بوجودها ذاتاً، بل قائمة بالله الواحد الأحد، الحيّ القيوم: ﴿اللهُ لا إله إلّا هو الحيُّ القيوم﴾[٣٣٧] وهي في الأصل تنتهي إلى صادر واحد، قيل عنه: النور الأوّل، والعقل الأوّل، والبيان الأوّل، والقلم الأوّل، الذي خَطَّ تجلّيات الحقيقة الأولى في الوجود: ﴿ن والقلم وما يَسْطُرُونَ﴾[٣٣٨] وقد عبّر عنها الفلاسفة المسلمون ببسيط الحقيقة[٣٣٩] وقالوا: «بسيط الحقيقة كل الأشياء، وليس بشيء منها» كما أنّهم نظموا العالم الخارجي نظماً عقلياً حسب تصوّراتهم الفلسفية في ضوء هذا التعريف الذي يقود إلى التشبّه بصفات البارئ[٣٤٠]، والمتخلّق بأخلاق الله ـ جلّ وعلا ـ بمقدار ما يمكن للإنسان المؤمن، والسالك العارف، وبقدر ما يتخلّق الانسان الذي هو خليفته به، يستطيع أن يكون متصرّفاً في الوجود الإمكاني الذي خُلق هو من أجل الله، كما ورد في الحديث القُدسي: «خلقتُ الأشياءَ لأجلكَ، وخلقتُكَ لأجلي»[٣٤١].

فالله تعالى هو المتكلّم الوحيد بالمعنى الوجوبي، وكلامه الكلام المطلق.

والإنسان هو المتكلم الخليفة بالمعنى الإمكاني، وكلامهُ مقيّد ينزع به نحو المطلق.

والله تعالى: هو السميع البصير، الحيّ القدير، المدرك العليم ... بهذه المعاني المطلقة وكذلك هي دلالات الأسماء «الألف» الواردة في دُعاء «الجوشن الكبير» المرويّ عن الإمام زين العابدين (ع) الذي يرويه عن أبيه عن جدّه رسول الله (ص) بعبارات مختلفة عن هذه الحقيقة الواحدة[٣٤٢]، وعن هذا الجمال المطلق:

«عباراتنا شتّى وحسنُك واحدٌ   وكلٌّ إلى ذاكَ الجمالِ يشيرُ»

فتارةً يدعو بالاسم المفرد من مثل باسمك: «يا الله، يا رحمٰن، يا رحيم، يا كريم، يا مقيم، يا عظيم» وتارةً بالإضافة الخاصّة التي تبدأ بكلمة خير: «يا خير الفاتحين، يا

خير الناصرين، يا خير الحاكمين » وتارةً بأسلوب الجملة الدعائية: «يا مَنْ له العزّة والجمال، يا مَنْ له القدرة والكمال، يا مَنْ له الملك والجلال » . وما إلى هنالك من تعابير منظّمة منغّمة وبمضامين عالية راقية مروية عن النبيّ (ص) وأهل بيته الطاهرين (ع) الذين هم تراجمة القُرآن العظيم؛ حيث: ﴿لا يعرف القُرآن إلاَّ من خُوطِبَ به﴾ كما لا يستطيع مسَّ معانيه ومبانيه إلاَّ المُطهَرون لقوله تعالى: ﴿في كتابٍ مكنون لا يمسُّهُ إلّا المُطهَّرون﴾ [٣٤٣] وأنَّهم هم المطهّرون بنصّ أهل الكتاب: ﴿إنَّما يُريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ [٣٤٤].

ونحن نرى هنا، خلافاً لبعض نظريات علم اللغة الحديث التي تقرّر أنَّ الأصوات بدأت قبل الحروف، عن طريق محاكاة الطبيعة أوتقليد الحيوانات وما إليها من نظريات تعرف [٣٤٥] ***poohpooh theory, bowwow theory, ding dong theory*** حتى انتهت إلى الكلام: النطق الاصطلاحي ***Speech*** وتمثيله بعدئذٍ بالحروف والكتابة ***writing*** ونقول إنَّ القلم وما صدر ويصدر عنه هو الصادر الأوّل، وعنه صدرت الحروف النورانية التي هي ذات دلالات توحيدية، ونقوش إلهيّة، وجَلَوات رحمانية، قد خطّت على الشفاه واللسان والفؤاد؛ بل كلّ شيء خُطّ ببركة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبالقلم الإلهي القديم ***column*** وهو الذي علّم بالقلم العلم جميعاً، لتقرأ باسم الربّ: ﴿أقرأ باسم ربّك الذي خلق * خلق الإنسانَ من علق * أقرأ وربُّكَ الأكرم * الذي علَّم بالقلم * علَّمَ الإنسانَ ما لَم يعلم﴾ [٣٤٦] واللسان يقرأ ما هو مرقوم من آيات بيّنات، بشرط التفكّر في الدلالات: ﴿أم حسبتَ أنَّ أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانوا من آياتنا عجبا﴾ [٣٤٧] ليفيد من الراقم والمِرقم والرقيم وليكتب آثار الرحمن الرحيم ***rhyming and rhythm*** على لوح الدهور والعصور، والقلوب والصدور ﴿بسم الله النور بسم الله نور النور الحمد لله الذي خلق النور من النور وأنزل النور على الطور في كتاب مسطور في رِقٍ منشور﴾.

وهذه الألف التي لها شكل القلم والواحد قد تنعكس في المرآة، فتكون اثنين ١+١=٢ وهكذا سائر الأعداد والكثرات، أو تكون الباء كواحدين متصلين «ب=٢» وكذلك دلالتها من حساب الجُمل، والجيم ثلاث وحدات شكلاً ودلالة (***N=Z***) وهكذا

سائر الحروف، في علم الحروف[٣٤٨].

المعطيات التوحيدية في اللغة

وفي ضوء هذا المنهج التوحيدي ***Unithetical method*** كُنّا منذ سنين خلت وما نزال نجمع المصطلحات التوحيدية ***unithetical data*** وقد أسميناها اختصاراً ***unitheticals*** ودرسناها في حقول مختلفة أثناء التعلّم والتعليم، ولاسيّما في درس وتدريس اللغات على مختلف السطوح والمستويات، وبمختلف المدارس والجامعات، وكانت النتائج بحمد الله مثمرةً. وقد أثبتت صحّة النظرية وصحة المنهجيّة التي آمنّا بها ونحن ندعو إليها جادّين، مهتدين بهدي القرآن الكريم ومسترشدين بنور محمد وآله الطيّبين الطاهرين الذين هم: موضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدِن العلم. وقد طبقّنا هذه النظرية التوحيدية خاصّة في حقول اللغة ***linguistic fields*** حسب التخصص والاشتغال، وقد اصطلحنا ـ تمشياً مع مصطلحات هذه الدراسات المعاصرة ـ على ما يأتي:

في حقل الحروف التوحيديّ ***graphemic unitheticals.***

وفي حقل الأصوات التوحيديّ ***phonemic unitheticals.***

وفي حقل الصرف التوحيديّ ***morphemic unitheticals.***

وفي حقل النحو التوحيديّ ***synemic unitheticals.***

وفي حقل المعاني التوحيديّ ***semantic unitheticals.***

وفي حقل الحضارة التوحيديّ ***cultemic unitheticals.***

وفي حقل الآداب التوحيديّ ***litermic unitheticals.***

فنحن نرى أنّ التعريف الحديث لعلم اللغة قابل للخدش والتعديل، ولابُدَّ من تعريفه تعريفاً آخر أو تفسيره بتفسير آخر هو أقرب إلى حقائق العلم التوحيدي، وذلك بابدال ***scientific*** بـ ***unithetical*** فيكون التعريف عند ذاك أدقّ دلالة بنظرنا ***Linguistics: The unithetical study of language*** لأنّهم يعنون بـ ***Scientific*** العلم الذي يحصل عن طريق العلامات المحسوسة ***signs*** ولابُدّ من التوصل إليها عن طريق الحواس ***senses*** ويريدون أن يُدركوا حقيقة اللغة وغيرها من المجردات عن طريق

الحواس والمحسوسات وأنّى لهم ذلك[٣٤٩].

وأنَّ الحواس قاصرة، وكثيراً ما تخدع الإنسان وتقوده إلى الوهم والظنّ: ﴿إنَّ الظنَّ لا يُغني منَ الحقِّ شيئاً﴾[٣٥٠].

في حين أنّنا وإن كُنّا لا نعطِّل الحواس، نقول إنّها تعتمد على النفس الإنسانية وهي جميعاً ترتبط بـ«أمر الربّ»: ﴿يسألونك عن الرّوح قل الرُّوح مِن أمر ربّي وما أُوتيتم من العِلم إلاّ قليلاً﴾[٣٥١] والنفس الإنسانية هي وحدة واحدة. تمثّل هذا الكون الواحد، وهو مظهر للظاهر الواحد: «والنفسُ في وحدتها كلُّ القوى»[٣٥٢].

كما هي نظرية عرفاء الفلاسفة المسلمين، وأنّ العقل هو تلألؤ هـذه النـفس وتعقلها، حيث يعقل الأمور ويقيّدها في الذهن المجـرّد **thinking** لكـنّه عـلى تجـرّده العملاق هذا يبقى محدوداً، وسُمِيّ العقل عقلاً لِعِقاله، ونحن نرى اتّحاد العاقل والعـقل والمعقول، والعالم والعلم والمعلوم بالتفسير الذي فسّره العلاّمة الطباطبائي: بالحضور المجرّد أمام المجرّد[٣٥٣] وعند ذلك يكون «غيباً» بالنسبة للحواس التي لا ترقى إلى «عالم التجريد» وكذلك القلب بالنسبة للعقل يكون «غَيباً» لانّه لا يتسع اتّساعه، ولذلك صار «عَرش الربّ» الذي هو «مجـرّد المجـرّدات» **The abstract of abstracts** والله سبحانه وتعالى لا تسعه السموات والأرض، ولكن يسعه «قلب عبده» المؤمن والسماء هذه في حدّ ذاتها واسعة ومتّسعة باستمرار وإلى ما شاء الله ﴿والسماءَ بنيناها بأَيدٍ وإنّا لمُوسعون﴾[٣٥٤] أي مستمرة الاتساع «بأيد الرّب» بدليل صيغة اسم الفاعل الشاملة للماضي والحاضر والقابل؛ ورغم كلّ هذه السَّعة والاتساع في عالم «المجـرّدات» و «الذرّات» **Galaxes and atoms** يكون القلب أوسع منها، وإلى هذا أشار الإمام عليّ (ع):

أتحسب أنّك جـرمٌ صـغير وفيكَ انطوى العالم الأكبر[٣٥٥]

وسمّي القلب قلباً من «تقلّبه» في معرفة الربّ الواسعة، ومن أسماء الله تعالى الحسنى: «الواسع» و «الموسِع» وعن طريق التخلّق بأخلاق الله، وعن طريق مناهج: «التخلية» و «التحلية» و «التجلية» يتجلّى كل شيء للقلب، ويعرف حقائق الأشياء كما هي: «اللهمَّ أرنا الأشياء كما هي»[٣٥٦] ومن هذه الأشياء اللغة وعلم اللغة **language and ling uistics** وهي القوة الخلاّقة المدركة التي اعطيت للإنسان «خاصّة» وميزّته

عن سائر المخلوقات بكونه «الخليفة» الذي أُعطي قابلية «معرفة الأسماء كلّها»: ﴿وإذ **قال ربُّك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويَسفك الدماء ونحن نسبِّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون * وعلَّم آدمَ الأسماء كلَّها﴾** [٣٥٧] فالإنسان الكامل هو المخلوق الوحيد الذي أُعطي معرفة الأسماء كلّها، ولذا فهو وحده الذي يستطيع «الحَمد» على هذه «النِّعم» في حين بقيّة المخلوقات «تُسبِّح بحمده» وانَّ أشرف الأنبياء «محمداً» هو الذي أُعطي سورة «الحمد» و «معاني الحمد» بأجلى مظاهرها حتىّ سُمّي «مُحمداً»:

وشَقَّ لَهُ من اسمه ليجلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمّد [٣٥٨]

ويكون الانسان الكامل هو الناطق بلطف الله، وهو الحامد بعلم الله، وهذا النطق والعلم ***speaking and knowledge*** أصله في الفؤاد البشري:

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً [٣٥٩]

التمظهر اللغوي

وهذه اللغة هي واحدة تتمظهر بحسب العوالم التي تنعكس فيها، ففي الحواس ***Senses*** نجد طائفة من المفردات وفي مختلف اللغات تشير إليها، بكلمات متشابهة في ضوء التسمية التوحيدية ***unithetical nomination*** وفي ضوء القوانين الصرفية والدلالية الجامعة، ويجمعها العقل ***Common Sense*** لأنّه كلّي، والكلّي مجرّد، ولذلك جاءت تسميته متشابهة في جميع اللغات في ضوء النظر التوحيدي هذا ***logos, logic, logy*** لوح وفي لوح النفس هذه تنعكس جميع العلوم والمعاني واللغات ***languages*** ولذلك جاءت الكاسعة ***logy*** لكل موضوع من موضوعات العلوم المختلفة.

في علم الأحياء العامّ، وعلم الحياة الذي هو الوجود الحيّ في عالم الإمكان الصادر عن الوجود الحيّ في عالم الوجود تأتي دلالة ***being*** بودن ***been*** بيان بالمعنى الواسع ومنه سمّي علم الأحياء الطبيعي ***biology*** وكلمة (***be***) الدالة على الكينونة، و «كن» هي التي هزّت مشاعر شكسبير ليسأل السؤال الكبير بكلّ معانيه وتفسيراته المتعددة: ***to be or not to be that is the question*** «بودن يا نبودن؟» أو الوجود

واللاوجود. أن تكون أو لا تكون هو السؤال؟

وبداية كل وجود تشير إليه «الباء» في «بسم الله الرحمٰن الرحيم» وكذلك دلالتها على الاستعانة، والشروع، والظهور، و «البداء» في العربية (**by**) في الانجليزية وهي هي في مختلف اللغات والاشتقاقات: «في البدء كانت الكلمة، والكلمة كانت عند الله»: «بَرَشِيْتَ بَارَا إِلُوْهِيْم» [٣٦٠] وإليها تشير كلمة «برأ» و «برع» و «بدع» و «أبدع» و «بديد» **Phenomenon** ومن أسمائه تعالى «البارئ» و «البديع» و «البادىء» الخ.

والبيانُ ـ كما مرَّ ـ هو الظهور، والبادية، الظاهرة، وكذلك البيداء «بيابان» في الفارسية، و «البَداء» علم كلامي خاصّ يرتبط أصلاً بهذا المعنى الذي تقول به الشيعة.

وهكذا قُل في سائر العلوم التي هي في الأصل بمجموعة بشكل أنظمة **systems** ورموز **symbols** وإشارات وعلامات **signs** منتقشة في «لوح محفوظ» أصلاً، أو في الألواح الإلهية: «وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة» [٣٦١] وجماعها في اللوح المحفوظ: ﴿بل هو قرآنٌ مجيد في لوحٍ محفوظ﴾ [٣٦٢].

وقد خُط بقلم الأزل الأبد وهو الذي يتجلّى في العلم الحقّ **logy** اللغة الواقعية والأصل الذي حين يتنزل إلى عالم الألسنة يكون: عربياً، وفارسياً، وكردياً، وتركياً، وانجليزياً .. وما إلى هنالك من تمظهرات وبيانات لسانية والبيان المجرّد في الإنسان عموماً هو واحد في عالم التجريد، وعالم الأمر والشهود: ﴿وإذ أخذ ربُّك من بني آدم مِن ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أَلستُ بربكم قالوا بلى﴾ [٣٦٣] وهو «حضور موجود مجرّد لموجود مجرّد» [٣٦٤] وهو تعريف العلم الحقّ عند الفلاسفة المتألهين، والعرفاء الإسلاميين.

وكذلك عالم «ألست» و «نيستي» و «نَي»: وهو عالم الفناء: أي فناء ذات الإنسان ونكرانها، أو قل «فناء الفناء: الذي هو عين البقاء» والحضور الدائم في محضر الربّ، وهو جنّة «اللقاء» و «الإلقاء» الشهودي، ولكن حين يصير هذا اللقاء والإلقاء محدّداً، أو يكون ذلك التعبير المطلق مقيداً في زمان أو مكان، أو أي لون من ألوان التقييد يتحوّل إلى «زبان» في الفارسية، و «زوان» و «زفان» و «زمان» بثلاث لهجات في الكردية، ومن هنا نلاحظ علاقة «زمان»: الزمان و «زمان»: اللسان في العربية،

وهو الكلام المقيّد، أو المصداق المجسّد للغة والبيان العامّ، حيث نجد التشابه الحروفي في «عالم الكتابة» أو «الوجود الكتبي» في الرسوم الدالة على المعنى الواحد، وكذلك التشابه الأصواتي أو «الوجود اللفظيّ» للأصوات التي تخرج من مخارج الفم المتشابهة في الإنسان **phonemic** حيث الأصوات في نظرنا تحكي المعاني الواحدة، حسب مخرج صدورها المشترك: الشفاه، اللثة، اللسان، الحلق .. فهذه المخارج التي تخرج منها الأصوات الفموية أو الانفموية **phonemes** ذات معان متشابهة كالألوان بشكل عام **Colours** وكذلك تكون الكلمات والأوراد المتكوّنة منها **words** ذات لون شفوي، ولثوي، ولساني، ولهوي، وحلقي وما إليها، وكذلك هي دلالات الأرقام والنُمَر **numeremic** ولهذه الحروف والأرقام آثار تكوينية تتجلّى في الدعاء بالأسماء الحسنى. فالبحث في الرقم واحد مثلاً: «١» الذي يشبه الألف شكلاً ودلالة، وبمحاسبة تكراره يُوصل إلى حقيقة رياضيّة معيّنة، وإذا ما بلغ العشرة، تكتمل الدورة «الأحادية» ويعود الرقم واحد «*10*» إلى وضعه الأوّل بشكل الألف مع وضع دائرة صغيرة من جهة اليمين أمامه أُطلق عليها اسم الصفر (*zero*) وهو يمثل مرحلة من مراحل الفناء والكمال في الوقت نفسه. وإذا ما كرّرنا العَشَرات إلى التسعين فالمئة، يعود الأمر كما كان رقماً واحداً «*100*» مع صفرين أمامه، وهكذا دورة المئات إلى بلوغ «الألف» ليعود الألف «أَلِفاً» رقماً واحداً «*1000*» مع ثلاثة أصفار أمامه، وكذلك يُنطق «ألف» عَوداً على بدء، وهكذا بلوغ كل كمال في دائرته عود إلى الأوّل وهو معنى «المعاد» و «الأوّل»:

كمّل حقيقتك التي لم تكمل	والجِسْمَ دَعْهُ في الحضيض الأسْفلِ
من يستطيعُ بلوغ أرقى منزل	ما باله يرضى بأدنى منزل
أُعطيتَ جسمك خادماً فخدمته	أتملّك المفضول رِقَّ الأفضل؟
نَقِّلْ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوىٰ	ما الحبُّ إلّا للحبيب الأوّل
كم منزلٍ في الأرض يألفُهُ الفتى	وحنينه أبَداً لأوَّلِ منزلٍ [٣٦٥]

والمخلوقات جميعاً تسير سيراً تكاملياً، ومن أشرفها الإنسان حَيثُ يطلب الكمال المطلق في جوهر ذاته، والإنسان الكامل هو الذي يمثل «النقطة» **note** أو الصفر

not الذي تحت الباء، وهي الدائرة الصغيرة التي تمثل أكمل الأشكال الهندسيّة، ومنها أنتقل إلى المعنى العرفاني في تخليص القرآن الكريم في الفاتحة، والفاتحة بالبسملة والبسملة بالباء، والباء «بالنقطة» [٣٦٦] «وهُمْ» النقطة التي تحت الياء كما ورد عنهم سلام الله عليهم.

والأمر في رسم الحروف كذلك، فنحن نرى أنّها قائمة على فكرة واحدة، وهي فكرة «العدد الواحد» ومِنْه يكون الانطلاق وإليه يعود التلاقي والالفبيّات والأبجديات أصلاً قائمة على «الألف» وهو الأوّل وهو الآخر، كما ألمعنا سابقاً، وخير تجلّيها في «الألفبيّة» العربية، أوّلها الألف، وآخرها الألف المقصورة وهي الباء رسماً ودلالة، وهما وجهان لحقيقة واحدة (ء = ي).

وفي ضوء النظر التوحيدي هذا **unithetical** نستطيع أن نترجم أيّة عبارة متكوّنة من هذه الحروف أو الأصوات المعبّرة عنها من أيّة لغة إلى أيّة لغة بتعبير مشابه صوتاً ودلالة بشرط معرفة أصول النظرية والتمرّس في تطبيقها على اللغات المختلفة حسب فهم المعاني المجرّدة، ومحاولة أدائها عموماً، فمثلاً نستطيع أن نترجم **I hope** الانجليزية إلى «أُحِبّ» العربية، إذا فهمنا المنطلق الأساس للفكرة، وهما يتشابهان أصواتاً وحروفاً ودلالة، وكذلك عبارة **I Think** الانجليزية إلى «أظنّ» العربية، و **I Would** إلى «أوُدُّ» و **I like** إلى «أليق» وما إلى ذلك ما شاء الله من محاولات مشابهة.

وإنَّ الهمزة في «أنا» التي هي الألف تشابه «**I**» في الإنجليزية والتي تدلّ على «الأنا» اختصاراً في سائر الأفعال، وعلى الرقم واحد أيضاً في مختلف اللغات أصلاً وجذراً واحداً.

وإذا ما نظرنا إلى «الأنا الكبير» **Super Ego** بمعناه الذاتي والنفسيّ **Psychological** ينصرف إلى الكبير الوحيد، والعظيم الحقيقي في الوجود: وهي الذات المقدَّسة الواحدة: ﴿إنِّي أنا ربُّكَ فاخلع نعليك إنَّكَ بالوادي المقدَّسِ طُوى﴾ [٣٦٧]، والله سبحانه وتعالى هو «الأنا» العظيم في الوجود وهو «الأنا» الحقيقي **highly** وهو «الأنا» الحقّ **high** «أنا الحق» وإذا ما اشتبه الأمر على الإنسان، وظنّ توهّماً أنّه الكبير، فهو صدىً وانعكاس لتلك الحقيقة الكبيرة التي يجب أن يكون خليفةً لها عن طريق التمثّل

بها، والتخلّق بأخلاقها؛ ليكون «مثالاً» لها لا «مِثْلها» إذ «ليس كمثله شيء»[٣٦٨].

وهو الأنا une و un و one و only و mono و «مَن» في الفارسية، و «مَنْ» في العربية إنْ تَسأل عن الفاعل الحقيقي في الوجود «قل مَنْ ..» حتى أنَّ «الاسبرانـتو» اللغةالاصطلاحيّةالمصطنعة كانت قداستعملت unu[٣٦٩] مضطرةً للدلالة على الواحد تمشياً مع النَفس اللغوي التوحيدي هذا. وأنَّ النون بكلِّ أشكالها وتمظهراتها، وجلواتها وتجلياتها كما أشرنا سابقاً تدلّ على التوحيد، والواحد، والوحدة، في مختلف اللغات، واللهجات، وأينما جاءت وذُكرت، وبأي شكل من الأشكال، ورسم من الرسوم، حيثُ الأساس واحد، ومنه تسمية نظريتنا هذه أيضاً بالنظرية النونية **Nonation** أي النظرية التوحيدية التي قامت على «خمسة نونات»، مع مدخل عامّ، وهي: نون الرحمٰن، ونون الإمكان، ونون الإنسان، ونون الأديان، ونون البيان، والكل صـدىً واسم لحـقيقة واحدة وهي نون «الأنا» الذات **Unitheism**.

هوامش الفصل الثاني

١ـ انظر مجلة «طريق الحق» و «صوت الوحدة الإسـلامية» و *Echo of Islam* و *Mahjubah* بالانجليزية، وغيرها، بأسماء الدكتور الحسيني، الدكتور النجفي، مغترب، شاعر الإسلام، الدكتور أبو جواد وغيرها

٢ـ سورة القلم، الآية ١.

٣ـ تنظر كلمات الإمام عليّ (ع) في «التوحيد» في نهج البلاغة، ولاسيّما خطبة: «أوّل الدين معرفته » وتفصيل ذلك في مقالتنا «الوعي الإسلامي سبيل التوحيد» مجلة التوحيد العدد ١٩.

٤ـ انظر مقالتنا حول مناهج التحقيق، في مجلة التوحيد، العدد ٢٣، ص ١١٠.

٥ـ سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

٦ـ سورة الاخلاص، الآية: ٣ و ٤.

٧ـ سورة القلم، الآية: ١.

٨ـ تنظر هذه الآراء في أمالي الهادي، ولاسيما المقدمة، ط بيروت ١٩٧٥م.

٩ـ انظر كتابنا دراسات وتحقيقات ط، بيروت ١٩٧٤، ص ٧٥.

١٠ـ المصدر السابق الصفحة نفسها.

١١ـ تنظر مقدمة اطروحتنا للدكتوراه بالانجليزية.

١٢ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.

١٣ـ سورة البقرة، الآية: ١.

١٤ـ سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

١٥ـ سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

١٦ـ سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

١٧ـ سورة الرحمٰن، الآية: ١ ـ ٤.

١٨ـ سورة العلق، الآية: ١ ـ ٥.

١٩ـ سورة البقرة، الآية: ٣١ و ٣٢.

٢٠ـ سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

٢١ـ سورة النمل، الآية: ٣٠.

٢٢ـ تنظر مقالتنا: «فاتحة الكتاب بحث لغوي عرفاني» مجلة التوحيد ٢٤، ص ٥٨.

٢٣ـ سورة الرحمٰن، الآية: ٢٠.

٢٤ـ تلاحظ العلاقة الصوتية والدلالية بين الآدمية والعدمية من الناحية الجسدية والمادية.

٢٥ـ في مختار الصحاح ـ المادة ـ «العَقل: الحِجر والنُّهى».

٢٦ـ انظر تفصيل الموضوع في الفصل الأوّل من هذا الكتاب.

٢٧ـ سورة الروم، الآية: ٢٢.

٢٨ـ ومن دلالاته القديمة معرفة اللغات والتكلم بعدد منها.

٢٩ـ لقد طبع كتاب في الانجليزية بهذا العنوان وهو يُعنى بالموضوع الدلالي وعلم الدلائل عموماً.

٣٠ـ انظر ترجمتنا لمقالة في الانجليزية حول: فلسفة العلم من المنظور القرآني، مجلة التوحيد، العدد ١٤ ص ٩٨.

٣١ـ سورة الشورى، الآية: ١١.

٣٢ـ سورة لقمان، الآية: ٢٧.

٣٣ـ في المختار ـ المادة ـ «النون الحوت وذو النون لقب يونس ابن مَتّي عليه الصلاة والسلام».

٣٤ـ سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

٣٥ـ سورة يس، الآية: ٨٢.

٣٦ـ سورة القمر، الآية: ٥٠.

٣٧ـ سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
٣٨ـ سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
٣٩ـ سورة الرحمٰن، الآية: ٤.
٤٠ـ سورة إبراهيم، الآية: ٤.
٤١ـ سورة يوسف، الآية: ١ ـ ٢.
٤٢ـ سورة الروم، الآية: ٢٢.
٤٣ـ سورة الحجرات، الآية: ١٣.
٤٤ـ سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
٤٥ـ سورة الاسراء، الآية: ١١٠.
٤٦ـ نقصد بالمخففة تأويلها بالمصدر مع الفعل، والمصادر لا تجمع، فهي تدل على وحدة المعنى المطلق، وبالمؤكدة هي المشدّدة التي تؤكد المعنى الواحد نفسه، وكذلك هي بعض الدلالات التنوين في العربية كما شرحنا ذلك سابقاً.
٤٧ـ سورة البقرة، الآية: ١٦٣.
٤٨ـ تنظر الأسفار، ج ٣، ص ٣٦.
٤٩ـ الطوسي، تجريد الاعتقاد، وشرحه كشف المراد للحلي، ط. بيروت ١٣٩٩ هـ، ص ٥٤. وانظر الطباطبائي بداية الحكمة، ط ١٤٠٦ هـ، ص ٥٠.
٥١ـ سورة سبأ ١٠ ـ ١٢.
٥٠ـ هكذا جاء النص، وفسر بتفسيرين الأوّل، عود الضمير على الخالق بالمعنى المجازي، أي امكان التخلق بأخلاق الله الحميدة بقدر عالم الإمكان، والثاني، عود الضمير إلى الانسان، وهو من أكمل صور المخلوقات جمالاً وجلالاً في بعدي المادة والمعنى، والغاية هنا للفعل وليس للفاعل لأنّه غنيّ.
٥٢ـ زيادة يقتضيها السياق المسجع، ونرويها عن استاذنا الوالد (رحمه الله).
٥٣ـ الكليني، الكافي، كتاب التوحيد، ج ٣، ط. *WOFIS* مع الترجمة الانكليزية، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨.
٥٤ـ من مجموعة محفوظة تحت الأرقام الآتية *Collection 1377 - 1385*

1363-1373

india office Library: Delhi, Persian , Arabic Mss.Lo4 937a. (1150).

٥٥ـ يلاحظ ورودها في القرآن الكريم المترجم إلى الانجليزية بالأسلوب القديم، أو ما يصطلح عليه بلغة الكتاب المقدس (*BL*) وقد ورد في تفسير الجواهر للطنطاوي، الجزء الأوّل (ط. مصر ١٣٥٠ هـ)، ص ٥. أنّ «ثيو» : *theo* تعني «الله» في اليونانية التي كانت اللغة الرسمية في مصر القديمة.

٥٦ـ انظر الفصل الثالث من الكتاب.

٥٧ـ ابن سينا، التعليقات، ط. مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم، ص ٢٠ـ٢١.

٥٨ـ القمي، مفاتيح الجنان، ط. طهران ١٣٨٣ هـ ص ١٠٧.

٥٩ـ انظر الفصل الثالث من الكتاب.

٦٠ـ من الأبيات العرفانية السائدة.

٦١ـ سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

٦٢ـ وقد أشار إلى هذا المعنى الشاعر العارف، فريد الدين العطار، إذ انتخب «منطق الطير» عنواناً لديوانه (بالفارسية)، المطبوع بعدّة طبعات.

٦٣ـ سورة الرحمن، الآية: ١ ـ ٤.

٦٤ـ أفدنا هذه العبارات الحكيمة وأمثالها من صاحب الأمالي، أستاذنا الوالد ـ قدس سره ـ.

٦٥ـ سورة النجم، الآية: ٤٢.

٦٦ـ سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

٦٧ـ ينظر تجويد جامع ـ بالفارسية ـ ط. ١٣٦٣ هـش، ص ٦٠.

٦٨ـ لقد جاء وصفها في أوّل دعاء كميل: «اللهم أني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء» القمي، مفاتيح الجنان، ط. طهران ـ ١٣٨٣ هـ ص ١١٢.

٦٩ـ الكليني، الكافي، كتاب التوحيد (٣) ص ٢٨٦ من الطبعة نفسها.

٧٠ـ سورة الفرقان، الآية: ٦٣ ـ ٦٤.

٧١ـ أرويه أنا شخصياً بعدة طرق، ومنها ما جاء في إجازة شيخ المحدّثين

والمحقّقين، الشيخ آغا بزرك الطهراني ـ قدس سره ـ المؤرخة سنة ١٣٨٦ هـ وتنظر منها المجموعات التي نشرناها في قسم النصوص المترجمة في مجلة *Echo of Islam* و *Mahjubah*.

٧٢ـ الصادر الأوّل وامكان الأشرف، مقولتان فلسفيتان تبلورتا عند الفلاسفة المسلمين المتألهين.

٧٣ـ سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

٧٤ـ سورة البقرة، الآية: ٣٠ ـ ٣٣.

٧٥ـ سورة يس، الآية: ١٢.

٧٦ـ سورة المجادلة، الآية: ١١.

٧٧ـ البيتان لأبي العلاء المعري من قصيدته الدالية المعروفة، وقد وردا في كتاب «أمالي الهادي». ط. بيروت ١٩٧٥م، ص ١٢.

٧٨ـ سورة الرحمٰن، الآية: ٤٦.

٧٩ـ انظر حول هذه المقولة، الطباطبائي، بداية الحكمة ص ١٦ـ ٢٠.

٨٠ـ من الأبيات العرفانية الشهيرة، وقد وردت في كتاب «أمالي الهادي»، ط بيروت ـ ١٩٧٥ م ـ ١٣٩٥ هـ ص ١١.

٨١ـ سورة طه، الآية: ١١ـ ١٢.

٨٢ـ سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

٨٣ـ العلاّمة الطباطبائي، «بداية الحكمة» (ط. دار المعرفة الإسلامية ـ قم ـ ١٥٠٦ هـ)، ص ٩١.

٨٤ـ العلاّمة الطباطبائي، «بداية الحكمة» ص ٤٨ ـ ٤٩.

٨٥ـ سورة طه، الآية: ٥٠.

٨٦ـ ينظر «أمالي الهادي» (ط. الأعلمي ـ بيروت ـ ١٣٩٥ هـ)، ص ٩ .

٨٧ـ سورة الرحمٰن، الآيات ١ ـ ١٣.

٨٨ـ سورة النمل، الآية: ٣٠.

٨٩ـ الرازي «غرائب آي التنزيل»: قال الجوهري وغيره إنّهما بمعنى واحد كنديم

٩٠ـ ورد في الكافي للكليني في «باب التوحيد» عن الإمام الكاظم (ع) حينما سُئل عن معنى كلمة «الله أجاب: «الاستيلاء» كما أنّ مطالع «دعاء كميل» وغيره تشير إلى سعة هذه الرحمة.

٩١ـ الرازي، غرائب آي التنزيل، ص ٢.

٩٢ـ إشارة إلى دعاء البهاء الوارد في «مفاتيح الجنان»، للمحقق الثّبت القمي (ط. طهران)، ص ١٨٥.

٩٣ـ سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

٩٤ـ سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

٩٥ـ أنظر «أمالي الهادي» ص ١٠.

٩٦ـ سورة الرحمن، الآية: ٢٠.

٩٧ـ مغنيّة، «التفسير الكاشف» ج٧، (ط. دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨١م)، ص ٢٠٤.

٩٨ـ سورة الرحمن، الآية ٤٦.

٩٩ـ سورة فاطر، الآية ٢٨.

١٠٠ـ سورة الرحمن، الآية ٧٢ ـ ٧٦.

١٠١ـ سورة الرحمن، الآية ٧٨.

١٠٢ـ مغنيّة، «التفسير الكاشف» ج٧، ص ٢٠٩.

١٠٣ـ سورة الفجر، الآية: ٢٩ ـ ٣٠.

١٠٤ـ سورة الفاتحة، الآية: ٥.

١٠٥ـ سورة البقرة، الآية: ٢٥.

١٠٦ـ سورة النبأ، الآية: ٢٦.

١٠٧ـ أنظر النراقي، «جامع السعادات» ج١ (ط. النجف الأشرف ١٣٨٣هـ)،ص ١٥.

١٠٨ـ سورة الواقعة، الآية: ٣٣.

١٠٩ـ سورة إبراهيم، الآية: ٤٥.

١١٠ـ سورة آل عمران، الآية: ٢٧.
١١١ـ سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
١١٢ـ مغنيّة، «التفسير الكاشف» ج٧، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
١١٣ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.
١١٤ـ مغنيّة، «التفسير الكاشف» ج٧، ص ٢٠٤.
* ـ انظر تعبير ابن العربي عن فكرة الخلق والايجاد في «فصوص الحكم» (ط. ايران ١٣٦٦ هـ)، ص ١٣٣.
١١٥ـ «أمالي الهادي» (ط. بيروت ـ ١٣٩٥ هـ)، ص ١٠.
١١٦ـ سورة التكوير، الآية: ٢٧ ـ ٢٨.
١١٧ـ ورد عنهم ـ عليهم السلام ـ بأنَّ القرآن الكريم على هذه الأقسام الأربعة.
١١٨ـ العلاّمة الطباطبائي، الميزان ج١ (ط. دار الكتب الإسلامية ١٣٦٥ هـ) والكاشف ج١، ص ١٥، ص ١٠.
١١٩ـ سورة آل عمران، الآية: ٧.
١٢٠ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.
١٢١ـ سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ ـ ٧٩.
١٢٢ـ سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
١٢٣ـ سورة القدر، الآيات ٤ ـ ٥.
١٢٤ـ من دعاء الصباح، للإمام علي (ع) المذكور في مفاتيح الجنان، للمحدّث الجليل القمي (ط. دفتر فرهنك اسلامي، طهران)، ص ٦٠.
١٢٥ـ سورة النور، الآية: ٣٥.
١٢٦ـ الإمام الحسين (ع) في دعاء عرفة يعرض له بأروع ما يكون، انظر المفاتيح، ص ٢٧٢.
١٢٧ـ سورة يس، الآية: ٨٢.
١٢٨ـ سورة الذاريات، الآية: ٤٧.
١٢٩ـ سورة الأحزاب، الآية: ٦٢ وكذلك سورة فاطر، الآية: ٤٣، وأيضاً سورة الفتح،

الآية: ٢٣.

١٣٠ـ سورة فاطر، الآية: ٤٣.

١٣١ـ سورة لقمان، الآية: ١١.

١٣٢ـ سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

١٣٣ـ سورة البقرة، الآية: ٦٠.

١٣٤ـ مغنيّة، «التفسير الكاشف»، ج١، ص ١١٤.

١٣٥ـ يشبّه «دي سوسير» اللغة بشجرة متينة ذات حقول أربعة في مقطعها العرضي. انظر كتابه: *Course in General Linguistics U K 1976*.

١٣٦ـ انظر العلاّمة الطباطبائي، «بداية الحكمة» (ط. دار المعرفة الإسلامية ١٤٠٦ هـ)، ص ١٣٧، لزيادة الاطلاع.

١٣٧ـ سورة الرحمٰن، الآية: ٤٠.

١٣٨ـ أفدنا هذه الأقسام وأمثلتها من دروس سيدنا الاستاذ الوالد صاحب أمالي الهادي ـ رحمه الله ـ.

١٣٩ـ انظر العلاّمة الطباطبائي، «بداية الحكمة» (ط. قم ١٤٠٦ هـ) لزيادة الاطلاع، ص ١٦٥.

١٤٠ـ يراجع «نهج البلاغة» خطبة ١٨٣ (ط. جاويدان ١٣٥٨ هـ).

١٤١ـ سورة الواقعة، الآية: ٧٦.

١٤٢ـ انظر على سبيل المثال كتاب ملّا هادي السبزواري ـ الأسماء الحسنى.

١٤٣ـ يُروى بعدّة روايات، قد تختلف في الألفاظ، لكنّها متحدة المعاني، وجوهر النصّ واحد.

١٤٤ـ يُنظر مضمون الآية ٤٧ من سورة الذاريات المستشهد به سابقاً.

١٤٥ـ سورة فصلت، الآية: ٣٥.

١٤٦ـ أي من رفع الحجب «بقاعدة اللطف»؛ لأنّ من معاني اللطف في العربية «الحاجب» وما يرتبط به وضعاً أو رفعاً. وانظر حول قاعدة اللطف أمالي الهادي ص ١٠.

١٤٧ـ سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

١٤٨ـ يُنظر ديوانه، القصيدة الدالية، في عدّة طبعات.

١٤٩ـ ابن أبي الحديد، القصائد العلويات السبع، المطبوعة في الروضة المختارة ط. ١٣٩١ هـ، ص ١٣٩.

١٥٠ـ سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

١٥١ـ سورة القلم، الآية: ١ ـ ٢.

١٥٢ـ سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

١٥٣ـ الجوهري، الصحاح، ج٣ (ط. دار العلم للملايين ١٤٠٧ هـ)، ص ٩٠٤.

١٥٤ـ سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

١٥٥ـ سورة طه، الآية: ١١٥.

١٥٦ـ الزبيدي، تاج العروس، ج ٤ (ط. مصر)، ص ١٠٢.

١٥٧ـ سورة طه، الآية: ١٠، وسورة النمل، الآية: ٧، وسورة القصص، الآية: ٢٩.

١٥٨ـ يُنظر الزبيدي، تاج العروس، ج ٤ (ط. مصر)، ص١٠٢.

١٥٩ـ سورة النساء، الآية: ١.

١٦٠ـ سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

١٦١ـ يُنظر الرازي، المختار (ط. دار القلم ـ بيروت)، ص ٦٨٥.

١٦٢ـ سورة النساء، الآية: ٨٠.

١٦٣ـ سورة آل عمران، الآية: ٣١.

١٦٤ـ الرازي، مختار الصحاح (ط. دار القلم ـ بيروت)، ص ٣٥٣.

١٦٥ـ سورة الانسان، الآية: ٢.

١٦٦ـ الرازي، المختار، ص ٣٤٨.

١٦٧ـ سورة الواقعة، الآية: ٧٧ ـ ٧٩.

١٦٨ـ المعجم الكتابي وبستر: *Webster´s Bible Dictionary, p . 499 U.S.A 1980*

١٦٩ـ سورة الرحمن، الآية: ٢٠.

١٧٠ـ ١٧٤ـ أحاديث نبويّة مشهورة، يُنظر عنها في كتب الأحاديث ولاسيّما كتب المناقب والفضائل.

١٧٥ـ سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

١٧٦ـ سورة الحجّ، الآية: ٥.

١٧٧ـ سورة نوح، الآية: ١٤.

١٧٨ـ سورة الانشقاق، الآية: ١٩.

١٧٩ـ سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

١٨٠ـ ويشبّه أهل العرفان هذه المرحلة «بالنباتية»؛ لأنّها تـنمو جـذوراً وتـتأصل بالتراب وإذا ما ارتفعت فهي ترتفع فروعاً، وفي «المرحلة الحيوانية» تنمو افقياً في الحركة، وفي «الانسانية» تنمو عمودياً.

١٨١ـ سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

١٨٢ـ الإمام زين العابدين (ع) ، الصحيفة السجادية الكاملة (ط. *R.E.I.C.*)، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

١٨٣ـ سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

١٨٤ـ سورة البقرة، الآية: ٣٠.

١٨٥ـ سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

١٨٦ـ سورة الإنسان، الآية: ٣.

١٨٧ـ من الآبيات العرفانية والحكمية المشهورة.

١٨٨ـ من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عـليهم السـلام، وهـي كـثيرة بـهذا المضمون.

١٨٩ـ سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

١٩٠ـ سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

١٩١ـ سورة يس، الآية: ٣٨ ـ ٤٠.

١٩٢ـ إذ نعتبر الوجود في عالم الإمكان مظاهر لأسماء الله الحُسنى، الملخصّة في «البسملة» والقائمة على «الرحمٰن الرحيم» في المسيرة وعلى «ربّ العالمين» في

البداية، وعلى «مالك يوم الدين» في الغاية المنعكسة في سورة الفاتحة، والتي هي خُلاصة الخُلاصة.

١٩٣ـ انظر، الدكتور العطار، التجويد وآداب التلاوة (ط. طهران ١٤٠٤ هـ)، ص ٢٢ .

١٩٤ـ من الأبيات المشهورة السائرة كالأمثال، وأرويه عن والدي ـ رحمه الله ـ صاحب أمالي الهادي.

١٩٥ـ من المأثور المشهور.

١٩٦ـ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

١٩٧ـ سورة المائدة، الآية: ٨٩.

١٩٨ـ سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

١٩٩ـ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٢٠٠ـ الرازي، المختار (ط. دار القلم ـ بيروت)، ص ٧٢٠ .

٢٠١ـ النراقي، جامع السعادات، ج ١ (ط. النجف الأشرف ١٣٨٣هـ)، ص ٥٣ .

٢٠٢ـ سورة القلم، الآية: ٤.

٢٠٣ـ سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٢٠٤ـ سورة القصص، الآية: ٧٧.

٢٠٥ـ سورة الرحمٰن، الآية: ١٩ ـ ٢٠.

٢٠٦ـ سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

٢٠٧ـ سورة النحل، الآية: ١٧.

٢١٠ـ سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

٢١١ـ سورة آل عمران، الآية: ٣٣ و ٣٤.

٢١٢ـ سورة النمل، الآية: ٣٠.

٢١٣ـ من الشواهد العرفانية الواردة في كتب الكلام والعرفان، انظر «مجلة التوحيد»، ٢٦ ، ص ٩٧.

٢١٤ـ سورة الفاتحة، الآية: ٥.

٢١٥ـ الحديث مروي عن الإمام الصادق (ع). يُنظر كتاب «الآداب المعنوية» للإمام

الخميني (قدس سره) ص ٣٢.

٢١٦- «حديث قدسي» ورد في كتب الكلام والعرفان، يُنظر «أمالي الهادي»، ص ١٠.

٢١٧- سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

٢١٨- سورة النور، الآية: ٤١.

٢١٩- سورة الأنبياء، الآية: ٨١.

٢٢٠- من الأبيات المنسوبة للإمام علي (ع). وقد ورد البيتان الأولان منها في «أعيان الشيعة» للسيد الأمين العاملي، ج١، ص ٥٢٢.

٢٢١- سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

٢٢٢- سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

٢٢٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٢٢٤- سورة الروم، الآية: ٣٠.

٢٢٥- سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

٢٢٦- سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

٢٢٧- من دُعاء الندبة برواية الشيخ عباس القمي صاحب «مفاتيح الجنان»، ص ٥٣٣.

٢٢٨- «أمالي الهادي» ص ٢٥ ـ ٢٧.

٢٢٩- من الزيارة الواردة في آداب «الباب الأوّل»» في حضرة أمير المؤمنين علي (ع).

٢٣٠- «أمالي الهادي» ص ٢٥ ـ ٢٧.

٢٣١- سورة البقرة، الآية: ٣٠ و ٣١.

٢٣٢- سورة الانشقاق، الآية: ٦.

٢٣٣- سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

٢٣٤- سورة المائدة، الآية: ٣.

٢٣٥- سورة الإسراء، الآية: ٩.

٢٣٦ـ انظر: الوحدة والإنسان من الفصل.
٢٣٧ـ سورة النحل، الآية: ١٦.
٢٣٨ـ سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
٢٣٩ـ ينظر «أمالي الهادي» ص ١٠.
٢٤٠ـ سورة فُصلت، الآية: ٥٣.
٢٤٢ـ سورة البقرة، الآية: ١ ـ ٢.
٢٤٣ـ سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
٢٤٤ـ سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
٢٤٥ـ سورة البقرة، الآية: ٣ ـ ٥.
٢٤٦ـ سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
٢٤٧ـ سورة الإخلاص، الآية: ٣ ـ ٤.
٢٤٨ـ «نهج البلاغة»، ص ١٣.
٢٤٩ـ سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
٢٥٠ـ سورة الشمس، الآية: ٨.
٢٥١ـ سورة طه، الآية: ٥٠.
٢٥٢ـ انظر: مقالتنا «فاتحة الكتاب: بحث لغوي عرفاني» المنشورة في «مجلة التوحيد» العدد ٢٤، ص ٥٨.
٢٥٣ـ سورة البقرة، الآية: ١٣٨.
٢٥٤ـ من الزيارة الواردة في الباب الأوّل لحضرة أمير المؤمنين (ع) في «مفاتيح الجنان» للقمي، ص ٦٢.
٢٥٥ـ الجوهري «الصحاح»، ج ٥، ص ٢١٧ ـ ٢١٩.
٢٥٦ـ سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.
٢٥٧ـ الجوهري، المصدر السابق، الصفحات نفسها.
٢٥٨ـ المصدر نفسه، الصفحات نفسها.
٢٥٩ـ المصدر السابق، الصفحات نفسها.

٢٦٠- المصدر السابق، الصفحات نفسها .

٢٦١- سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢٦٢- انظر مصطلح ولاية الفقيه في الفصل الثالث من الكتاب.

❀❀ - «معجم وبستر» ص ٥١٣ (*Webster's Bible Dictionaryp. 513*).

٢٦٣- ينظر لادو ص ١٥: (*Linguistics Across Cultures / p. 15 Michigan Press. Lado: 1966*) ص ١٤.

٢٦٤- لزيادة الاطلاع والتفصيل انظر مصطلح ولاية الفقيه في الفصل الثالث من الكتاب.

٢٦٥- سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

٢٦٦- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٢٦٧- سورة سبأ، الآية: ٢٨.

٢٦٨- سورة المائدة، الآية: ٤٨.

٢٦٩- يراجع الحديث في فضائل علي (ع) «أعيان الشيعة» ج ١، ص ٣٤١.

❀ - السيد العاملي: «أعيان الشيعة»، ج ١، ص ٦٢٥- ٦٢٦.

٢٧٠- سورة الحجر، الآية: ٢٩. وكذلك سورة ص، الآية: ٧٢.

٢٧١- سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

٢٧٢- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٢٧٣- ينظر تعليقات على «شرح فصوص الحكم» للإمام الخميني (قدس سره)، ص ١٩.

٢٧٤- من دعاء أبي حمزة الثمالي، المروي عن السجاد (ع) في «مفاتيح الجنان» للقمي، ص ٣٣٤.

٢٧٥- سورة البقرة، الآية: ١١٥.

٢٧٦- سورة الأنعام، الآية: ١٦٢ و ١٦٣.

٢٧٧- من تعليقات على «شرح فصوص الحكم» للإمام الخميني - قدس سره - ص ١٩- ٢٠.

٢٧٨ـ تعدل في الصلاة سورة الفاتحة، التي هي جماع القرآن وعلم التوحيد، وتقرأ في الركعات الثلاث والأربع.

٢٧٩ـ سورة العنكبوت، الآية: ١٨.

٢٨٠ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.

٢٨١ـ سورة الصافات، الآية: ١٧١.

٢٨٢ـ سورة الأنعام، الآية: ١١٥. انظر: مقدمة الميزان للعلاّمة الطباطبائي (قدس سره).

٢٨٣ـ سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

٢٨٤ـ النصّ من دعاء النبيّ (ص) المعروف بدعاء «الجوشن الكبير».

٢٨٥ـ من أبيات المتنبيّ الحكمية، ينظر الديوان، بيروت، حق عزّام ١٩٧٨، ص ٢٨٧.

٢٨٦ـ العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي، بداية الحكمة، دار المعرفة، قم، ١٤٠٦ هـ، ص ١١.

٢٨٧ـ المصدر السابق، ص ١٦، ص ١٧.

٢٨٨ـ الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ٢٠٨٣.

٢٨٩ـ المصدر السابق، ص ٢٠٨٢.

٢٩٠ـ المصدر السابق، ص ٢٠٨٣.

٢٩١ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.

٢٩٢ـ سورة القصص، الآية: ٢٢.

٢٩٣ـ التفليسي، وجوه قرآن (بالفارسية)، تحقيق، دكتر محقّق، دار بنياد قرآن، وقد أفدنا منه كثيراً، ص ٢٩١.

٢٩٤ـ سورة النور، الآية: ٣٥.

٢٩٥ـ سورة المائدة، الآية: ١٥.

٢٩٦ـ سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٢٩٧ـ سورة الأنعام، الآية: ٩١.

٢٩٨ـ سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

٢٩٩ـ سورة الشورى، الآية: ٥٢.

٣٠٠ـ سورة التغابن، الآية: ٨.

٣٠١ـ سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

٣٠٢ـ سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

٣٠٣ـ سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

٣٠٤ـ سورة الحديد، الآية: ٢٨.

٣٠٥ـ سورة التوبة، الآية: ٣٢.

٣٠٦ـ سورة الصف، الآية: ٨.

٣٠٧ـ سورة النور، الآية: ٣٥.

٣٠٨ـ سورة النور، الآية: ٣٥.

٣٠٩ـ سورة الزمر، الآية: ٦٩.

٣١٠ـ سورة الحديد، الآية: ١٢.

٣١١ـ سورة التحريم، الآية: ٨.

٣١٢ـ سورة نوح، الآية: ١٦.

٣١٣ـ سورة الأنعام، الآية: ١.

٣١٤ـ سورة النحل، الآية: ١٦.

٣١٥ـ جوليا فلك، علم اللغة واللغة. *J.Fallk Linguistics and Language, p.15* ص ٤.

٣١٦ـ صفوي، در آمدي بر زبان شناسي (بالفارسية)، طهران ، ص ٩.

٣١٧ـ *Abercrombie, Problems and Principles in Language Study p.2 (Longman 1970).*

٣١٨ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.

٣١٩ـ عرضنا لها مجملاً في: القرآن وعلم اللغة الحديث، الفصل الاول من الكتاب.

٣٢٠ـ سورة الرحمٰن، الآية: ١ ـ ٤.

٣٢١ـ انظر تساوق الكلمات والأمثلة الآتية *religion region, regime, rhythm*
نظم، رزم، قلم، رهم، رقم، رسم، رحم، رخم، نغم.

٣٢٢ـ سورة ابراهيم، الآية: ٤.

٣٢٣ـ سورة الروم، الآية: ٢٢.

٣٢٤ـ سورة النحل، الآية: ١٦.

٣٢٥ـ أحمد أمين، التكامل في الإسلام.

٣٢٦ـ سورة لقمان، الآية: ٢٧.

٣٢٧ـ سورة يس، الآية: ٨٢.

٣٢٨ـ سورة القمر، الآية: ٥٠.

٣٢٩ـ سورة سبأ، الآية: ٤٦.

٣٣٠ـ سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

٣٣١ـ سورة الصافات، الآية: ١٧١.

٣٣٢ـ سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٣٣٣ـ ذكرنا العربية كمثال للغات الشرقية، والانجليزية كمثال للغات الغربية.

٣٣٤ـ من الأبيات السائرة في العرفان الإسلامي.

٣٣٥ـ الملاّ هادي السبزواري، الأسماء الحسنى ، دار بصيرتي، قم، ص ٢٥.

٣٣٦ـ سورة التوحيد، الآية: ١.

٣٣٧ـ سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

٣٣٨ـ سورة القلم، الآية: ١.

٣٣٩ـ انظر مقالتنا: مناهج التحقيق، مجلة التوحيد، العدد ٢٣، ص ١١٠.

٣٤٠ـ المصدر السابق، ص ١٠٨.

٣٤١ـ انظر الحديث القدسي.

٣٤٢ـ المحدّث القمي، مفاتيح الجنان، (خوشنويس)، ص ٨٦.

٣٤٣ـ سورة الواقعة، الآية: ٧٨ ـ ٧٩.

٣٤٤ـ سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

الفصل الثالث

المصطلحات الإسلامية
ومعادلاتها في مختلف اللغات

تمهيد

يخطو علم اللغة الحديث خطوات علميّة رائدة في بناء النظريات اللغوية الشاملة التي تُعنىٰ بدراسة جوانب مختلفة من البُنية اللغوية العامّة ***Structuralism*** مفردات وتراكيب، في ضوء المنهج المقارن لدراسة الأصوات اللغويّة ***Phonology*** والجذور الصرفية ***Morphology*** والتراكيب النحويّة ***Syntax*** والمعاني والدلالات ***Semantics*** في اللغات البشرية كافة، ومن أشهر تلكم النظريات: النظريّة العالميّة أو ما تسمّى بالكونية أيضاً ***Universality*** وتكاد تجمع النظريات اللغوية المعاصرة ـ على اختلاف مدارسها وأُسسها ـ على ضرورة وضوح الرؤية، وتبنِّي المنهج المقارن في البحث، وانسجام خطواته وعدم تناقضها؛ كي يصل الباحث إلى نتائج علمية إيجابية، يستنبط منها قواعد للغات المختلفة، ويقف على مدى تطور علاقاته ودلالات مفرداتها وتراكيبها؛ للإفادة منها في كيفية التفاهم البشري، وتوصيل الرسالات والأفكار ـ هدف الإنسان من الكلام واللغة[1] ـ بين الأشخاص واللغات والمجتمعات.

ونحن هنا ـ في هذا الفصل ـ نهدف إلى دراسة مفردات وتراكيب لغوية ذات دلالات ومعانٍ وضعية أو تواضعية معينة تعرف بـ(المصطلحات) ***Terms*** من أجل الوقوف على أبعادها الدقيقة، وما ينسحب تحتها من مفاهيم ومضامين قد تبدو متباينة بالنسبة للأفراد والمجتمعات واللغات المختلفة، بحسب تباينها الحضاريّ والثقافي.

ولخطورة هذه المصطلحات وأهميتها في كشف كثير من الحقائق، ورفع اللبس والابهام الذي يحصل بين الأفراد والمجتمعات واللغات، آثرنا أن نبحث في بنيتها اللغوية، ودلالاتها الحضارية ما أسعفتنا المصادر المتيسرة، وما ساعدنا على ذلك الخاطر الكليل.

ولكون هذه المصطلحات كثيرة ومتنوعة؛ إذ يقف وراءها تاريخ طويل وثري بالمفاهيم والدلالات، قصرنا ساحة البحث على (المصطلحات الإسلاميّة) التي بلورتها الثورة الإسلامية المباركة في إيران، أو التي أولدتها، أو أكسبتها دلالات جديدة، أو صححت ما أخطأ الكثير في فهم دلالاتها الأولية زيادة أو نقصاناً سعةً أو ضيقاً، حسب طريقة الاستعمال والملمح الدلالي الذي ينضوي خلفها، وما إلى ذلك من تغيّرات

وتطوّرات.

وقبل الدخول في دراسة هذه المصطلحات المشار إليها نرى أن نستخدم نفس المنهج ونبحث في دلالات كلمة (المصطلح) نفسها بحثاً تقابلياً **Contrastive Method** في بعض اللغات العالمية الحية، مشيرين إلى جذورها واشتقاقاتها وعلاقات معانيها ودلالاتها المتنوّعة مفترضين بالقارئ الكريم الإلمام ـ ولو نسبيّاً ـ بالقواعد اللغوية الصوتية والدلاليّة والبنيوية، أو الاطلاع العام على بعض النظريات المعاصرة في علم اللغة الحديث **Linguistics**.

تعريف (المصطلح) وتقابلاته.

إنّ نظرة سريعة في كتب اللغة العربية ومعجماتها ومصادرها، تكفي لأن تبلور معنى هذه الكلمة، وتعيّن جذر اشتقاقاتها، فهي أصلاً متكّونة من جذر صرفيّ مادته (صلح)، وقد صيغت على وزن (مفتعل) وبوساطة الإقلاب المقتضي للتناغم الصوتي والتشاكل النظمي **Semi - Assimilation** مصطلح انجليزي بين الصاد والطاء في العربية، انقلبت تاء (افتعل) إلى طاء حسب القواعد الصوتية والصرفية التي يقتضيها نظام كلّ لغة، وقد جمعت في دلالات كلمة (المصطلح) معاني مادة (صلح) اللغوية **Lexical** إضافة إلى معاني الصيغة الصرفية **Morphemic** لتدلّ مجتمعة على الاتّفاق والاتّحاد بين أهل اللغة وتواضعهم وتصالحهم على (حدود معيّنة) للمفاهيم و المعاني الخاصّة، وعدم الخلط واللبس بينها.

وهذا ما توحي إليه كلمة المصطلح أو الاصطلاح في اللغة العربية، وكذلك الأمر في مختلف اللغات ملمحاً ومقصداً، فالانجليزية مثلاً تضع مقابلها كلمة **Term** ومن معانيها الدلالة على (الحدّ) والتحديد بجميع اشتقاقاتها، مثل: «**Terminate**، **Termination**، **Terminal**، **Terminable**، **Terminology**» الخ. وبها تعرف حدود المعاني الخاصّة، ومن هنا أطلق على لفظة التعريف في العربية كلمة (الحدّ) أيضاً، وهو الاصطلاح الشائع عند المناطقة والفلاسفة والمتكلمين.

إنّ اشتقاق كلمة **Term** في الانجليزية من كلمة **Terminus** اللاتينية، والتي

استعملت أوّلاً عند الفيلسوف الرومي بويثيوس ***Boethius*** في القرن الخامس الميلادي بمعنى (الحدّ)، ومنها تولّدت سائر الاشتقاقات في اللغات الأوربية المختلفة، ومن هنا أُطلق على الدراسة التي تُعنى بالاصطلاحات وحدودها بعلم الترمينولوجي ***Terminology***، وهي دراسة خاصة من الدراسات اللغوية المتشعبة، والتي تبحث غالباً في قسم السيمانتكس ***Semantics*** ـ علم الدلالات و المعاني ـ ذلك العلم الذي بدأت تتوجه إليه أغلب النظريات اللغوية الحديثة في السبعينات ومطالع الثمانينات، وعلى سبيل المثال نشير إلى النظرية الوظيفية لعلم اللغة والمعاني المتكاملة على يدي هارفي ***Hervey*** ومولدر ***Mulder*** والتي تُدعى ***AF*** اختصاراً لـ: ***Axiomatic Functionalism***.

وفي الفارسية تستعمل كلمة (الاصطلاح) العربية بنفس المعنى والدلالة، والتي يمكن تحديد معادلها بكلمة «آشتي» أو «سازش» والتي تقود إلى نفس النتيجة المعبّرة عن اتفاق الناس وتوافقهم واصطلاحهم على معاني الأشياء أو الأشخاص أو المفاهيم المحددة، ليُستغنى بهذه المفردات أو التراكيب المختصرة عن شرح (المفاهيم) التي قد تقتضي سطوراً بل صفحات، أو دقائق بل ساعات، حتّى تتضح المطالب لدى القارئ، أو السامع.

أوّلاً: مصطلح اللغة

□ لُغَةٌ، لَغْوَةٌ، لُغْوٌ، لُغَيً، لُغَتْ(***Logos, Logue, Logic, Logy, Languet***).

□ لِسَانٌ، ألسِنَةٌ، لَسِنٌ، لَسَنيَّاتٌ، لِسانيَّاتٌ (***Lingua, Langue, League, Language, Linguistics***).

﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰواتِ والأرضِ وٱختلافُ ألسِنَتِكُمْ وَألوانِكُمْ إنَّ﴾ [٢].

لقد تجلّى الله سبحانه وتعالى في كل شيء. وكلّ هذا الوجود العجيب الرحيب مرايا عاكسة لعظمته وقدرته، وآيات ساطعة في عوالم ملكه وملكوته، ودلالات ناطقة بوحدانيته وربوبيته. ومنها: ﴿خلق السمٰواتِ والأرض﴾ وهي آياته في (الآفاق) ومنها ﴿اختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ وهي آياته في (الأنفس).

وموضوع البحث في هذه العجالة (آيات الأنفس) التي تتجلى في (مظهريّة)

الانسان خليفته المختار من بين سائر مخلوقاته، و(إنسانيته) تتجلّى في (لسانيّته) و (منطقه)، وقديماً قيل: «الانسان حيوان ناطق» والمراد هنا بنطقه هو منطقه، و «اختلاف الألسنة» يحكي عن قوة نطقه التي منحها الله تعالى له من بين كائناته، وهي ما يعبّر عنها «باللغة» في أصدق تعريفاتها وأدق دلالاتها. وليس تعريف اللغة الشائع تسامحاً بأنّها: «أصوات يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم»[٣] إلّا مظهر من مظاهرها ومجلى من مجاليها، إذ تكون بهيئة رسوم وكتابة، أو أصوات وحكاية، أو أي نظام آخر من نظام العلاقات والسمات: ***Semiotic System***.

ولا نريد هنا أن يكون البحث في أصل اللغة وفلسفتها، ولا أن نسبغ عليه دلالات الفلاسفة واصطلاحاتهم، غير أنّا نشير الى أنَّ «اللغة» مرحلة عالية من مراحل «الخلق والإبداع» الإلهي، سواء كانت في قوس «الصعود أم النزول»، أو في طريق البرهان «الإنّي» أو «اللمّي» فإنّها على أي حال من أروع ما خلق الله في هذا الكون الرحيب، بل أروع ما خلق الله سبحانه وتعالى إذا ما انتهينا الى أنَّ اللغة ـ كما سنرى ـ هي قوة المنطق، والمنطق هو آلة العقل أو هو العقل نفسه، وأنّه أول ما صدر ونزل عن الذات الأزلية في «قوس النزول» وإن كانت التعبيرات عنه متعددة؛ كالقلم، والرسول، والنور، والعلم، وغيره.

و «اختلاف الألسنة» يحكي عن قوة واحدة، وهي قوة النطق المتمظهرة في هذا الاختلاف، وإنَّ المتتبع لآيات القرآن الكريم في التعبير عن قوة النطق سيجدها «البيان» غالباً، وانَّ الاختلاف يكون في «الألسنة» وهي مظاهر متعددة لقوة البيان الواحدة التي منحها الله سبحانه وتعالى للنفس الواحدة، وهي النفس الإنسانية، على ما فيها من اختلاف الشعوب والقبائل، والذكر والأنثى، والألوان والأشكال: ﴿يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى وَجَعَلناكُمْ شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكرَمَكُمْ عِندَ الله أتْقاكُمْ﴾[٤] وهذه التقوى هي غاية ما يصل اليه العقل الرحماني والمنطق القرآني ﴿وَخَلَقَ مِنها زَوْجَهَا وبَثَّ مِنهُما رجالاً كثيراً ونِساءً﴾[٥] وهذه الكثرة تحكي عن وحدة واحدة ويمكن هنا استعارة دليل الفلاسفة والمتكلمين وأهل العرفان حول الذات المقدسة في كثرة الأسماء و «وحدة الذات»، فالنفس الإنسانية واحدة، لكن

المصاديق ـ لحكمةٍ إلهية ـ مختلفة، وكذلك هو الأمر في اللسان والإنسان حسب تعبير القرآن: ﴿ٱلرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ ٱلقُرانَ * خَلَقَ ٱلإنسانَ * عَلَّمَهُ ٱلبيانَ﴾ [6] فهذه القدرة على التفكير والمنطق، والقدرة على الكلام والبيان، من خصائص الإنسان، وإنما قدم الله سبحانه وتعالى في سياق الآيات المتقدمة العلم ـ علم القرآن ـ على خلق الإنسان، وعلم البيان، لأنه الهدف الأسمى من الخلق والوجود، وإنَّ علم القرآن هو الوسيلة المثلى لمعرفة الرحمن [7] وبهذا العلم وبهذه القدرة استحق أن يكون مخاطباً ـ بالكسر والفتح ـ للربِّ الجليل وأن تبعث اليه الخطابات والرسالات من لدن العليم القدير. وهي التي ميزته عن الحيوان، وهي: «فصله» الذي يميزه عن سائر الفصول الحيوانية في تعريفه المتقدم: «الإنسان حيوان ناطق»، فالنطق و «المنطق» والبرهان العقلي أو قوة النطق فيه «لغته»: الانجليزية متشابهة صوتاً ودلالة، أو بعبارة أُخرى قدرته على «الكلام» بمعنييه ـ اللغوي والفلسفي ـ ***The Linguistic Competence*** هي واحدة في جميع أفراد البشر، وهي قوة وقدرة إلٰهية معطاة للإنسان وهبة خلاّقة موهوبة له دون سواه على الوجه الأخص: ﴿وَمَا كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمهُ الله إلَّا وحياً أو مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ أو يُرسِلَ رَسولاً فَيُوحِيَ بِإِذنِهِ ما يَشاءُ إنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [8] فاستحق بذلك «الكلام» و «التكليم»، وأن يكون «كلياً» حسب أفراده وقابلياته، إما «وحياً» بشكل إلقائي مباشر أو «من وراء حجاب» و وسيلة و واسطة: ***Medium*** أو «يرسل رسولاً» من نوعه «فيوحي بإذنه ما يشاء» إليه، وإنَّ قدرة «الكلام» و «التكليم» و «النطق» و «الإنطاق»: ﴿أَنْطَقَنَا الله ٱلذي أنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [9] تتنوع وتتشكل بحسب الأفراد والدرجات والظروف والمكان والزمان، وسائر الملابسات الحضارية والتاريخية والجغرافية والتجارب الإنسانية المختلفة، وكذلك هي تتنوع فيما بينهم حسب ترابط الأشخاص والقبائل والشعوب، وحسب نوعية الارتباط والاتصال وأنظمتها: ***Systems of Communications*** فعند ذلك تتعدد الألسن واللُغى ـ بمعنى تنوعات في اللسان واللغة ـ وتتشكل في أشكال وقوالب وألوان، تختلف في الظواهر والمظاهر، وفي السطح الاشكالي: ***Surface Structure*** وتتحد في الجواهر والبواطن، وفي العمق الإشكالي: ***Deep Structure*** وهي بمثابة: ***Allophones*** للـ: ***Phonemes*** كما هو مقرر، في

علم الأصوات اللغوي، وهذه التنوعات في المظاهر والظواهر هي من آيات الله البيّنات وعلاماته الهاديات ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدونَ﴾ [10] وما أكثر العلامات وأبلغ الهداة ﴿وَمَا أَرسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [11] فيكون «البيان» هو الوسيلة الى بلوغ الهدف، ويكون «البلاغ المبين» هو الواجب الملق على الرسول ﴿وَمَا عَلى ٱلرَّسولِ إلاّ البَلاغُ ٱلمُبِينُ﴾ [12] ولابد أن يكون «بلسان قومه» و «منطق مخاطبيه» وعقلية سامعيه «كَلِّمُوا النَّاسَ على قدرِ عُقُولِهِمْ» [13].

وقد يطلق اللسان ويراد به الرمز، والعلامة، والآلة التي بواسطتها يحصل «البيان» لأنَّ اللسان من أدوات النطق ومن وسائله المهمة، بل له الدور الأساسي في «الكلام» بمعني «المصداق» الذي يقابل كلمة: ***Speech*** في الإنجليزية و ***Parole*** في الفرنسية، وليس اللسان الذي هو «اللغة»، والقدرة على التفكير والتكلم المجرد، التي تقابل : ***Language*** في الإنجليزية و ***La Langue*** في الفرنسية، أذ هما مختلفان في حقيقة الأمر، غير أنهما قد يستعملان كلٌّ في محل الآخر، غير أن اللسان أو اللغة إذا أُريد [14] بها «القوة المجردة» أو القواعدية الذهنية ***Grammaticality*** أو المنطقية ***Logicality*** فهي واحدة في الإنسان وفي كل اللغات، فكما أنَّ الإنسان واحد «فاللسان» ـ بهذا المعنى المجرد ـ واحد، وأما إذا أُريد به التنوعات و «المصداقية»، فهي متنوعة بتنوع القبائل والشعوب والمجاميع البشرية حسب وسائل التعبير والارتباط والاتصال التي تتشكل ظاهراً بأشكال اللغات والألسن المختلفة؛ ومن هنا وجدت النظرية العالمية أو الكونية ***Universality*** في علم «الألسنيَّة» أو علم اللغة الحديث، والتي طالما أشرنا اليها في سلسلة أبحاثنا هذه. وقلنا انها المحور الأساسي في كتابة هذه البحوث، ودراسة المصطلحات الإسلامية بشكل مقارن، غير أنَّ الأمر اليوم يختلف عن السابق بأنَّ الكلمة المبحوثة هي «اللغة» وصعوبة الأمر تأتي من هنا: إننا نريد أن نبحث عن «اللغة» باللغة نفسها، ونريد أن نبحث عن «البيان» بالبيان نفسه، بل نريد أن نتكلم عن «اللسان» باللسان وعن الإنسان بالإنسان، وما أروع ذلك!

وقد وردت كلمة «اللسان» بالمعنى «المصداقي» في القرآن الكريم في آياتٍ عدة، ولم ترد بالمعنى «المجرد» والقدرة على النطق الآلي بلفظة: «البيان» وما اليه، كما

وردت في سورة الرحمن في الآيات المتقدمة. وقد جاءت لفظة «لسان» المصداقية هذه بدلالات متعددة واشتقاقات مختلفة، لكنها جميعاً تحكي عن حقيقة مصداقية واحدة، وإن تنوعت حقيقةً أو مجازاً، وصراحةً أو كنايةً، مفرداً أو جمعاً، مادةً أو معنىً، سلباً أو ايجاباً: في مثل الآيات الآتية: ﴿لِسَانُ ٱلَّذي يُلحدونَ إليهِ أعجمِيٌ وهذا لِسانٌ عَربيٌ مُبينٌ﴾ [١٥] ﴿وَٱجعَلْ لي لِسانَ صِدقٍ في الآخرينَ﴾ [١٦] ﴿هُو أفصحُ مِني لِساناً فأرسِلهُ معي رِدءاً يُصَدِّقُني﴾ [١٧] و ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ له عَينَينِ * وَلساناً وشَفَتَينِ﴾ [١٨] و﴿وَٱحلُلْ عُقْدَةً من لِساني * يَفْقَهُوا قَوْلي﴾ [١٩] و ﴿فَإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِألسِنةٍ حِداد﴾ [٢٠] و﴿إنَّ مِنْهُم لَفَرِيقاً يَلْوونَ ألسِنَتَهُمْ بِالكتابِ﴾ [٢١] و ﴿يَقُولونَ بِألسنتِهم ما ليسَ في قُلوبِهِمْ﴾ [٢٢] والى ما هنالك من آيات كثيرة [٢٣]، كلها تتحدث عن مصداقية «اللسَان» [٢٤] أو اللسان بمعنى مصداقي، لا كقوة للنطق أو المنطق أو اللغة، والتي عبر عنها «بالبيان » قدرةً على التعبير أو قوة في التفكير البياني كما يعبر عنها في اللسنيات الحديثة: ***The Faculty Articulation*** أما ما جاء في القرآن الكريم من اشتقاقات مادة «لغو» في الغالب جاءت باسلوب الدلالة المنفية والسلبية، وقد أُريد منها بجميع استعمالاتها معنى «اللغو» والكلام الباطل «اللاغي» بمعنى «الملغي» في مثل : ﴿وَقالَ ٱلَّذينَ كَفروا لا تَسمعوا لِهذا القُرآنِ و ٱلغُوا فيه﴾ [٢٥] و ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ ٱللهُ بِاللَّغوِ في أيمانِكُمْ﴾ [٢٦] و ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعرِضُونَ﴾ [٢٧] و ﴿لا يَسْمَعونَ فيها لَغْواً ولا تَأثيماً * إلاّ قيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ [٢٨] و ﴿في جنَّةٍ عَالِيَةٍ * لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً﴾ [٢٩].

في هذه الاشتقاقات والاستعمالات إشارة الى مادة الكلام و وسيلته التي تحمل معنى «السلب» لا «الإيجاب» وهي اللغة الفارغة من المحتوى الحق، والدلالة المنطقية أو أنَّ محتواها الأساس باطل عاطل، أو قل أنّها «اللغة اللاغية».

غير أنَّ مادة اللغو تتشابه صوتاً ودلالةً بمادة ***logo*** وكذلك ***logos*** اليونانية التي تعني اللغة بشكليها السلبي والايجابي، وكذلك ***Lingua*** اللاتينية وهي أُمٌّ للغات الأوربية المتفرعة ومنها الفرنسية: ***La langue*** التي أشرنا إلى أنها قوة النطق في الإنسان ومقدرته عليه، وكذلك هي في الإنجليزية ***Language*** أما في اللغات السامية، أو اللغات الشرقية فهي هي غالباً إلاّ أنها تختلف فيما بينها بطريقة النطق والأداء والتي يمكن

اعتبارها بمثابة لهجات لأصل واحد وتنوعات بالنطق لكلمة «لغة» نفسها، في مثل نطق التركية والفارسية والكردية والأوردية المتشابهة في «لغت» و «لقت» و «لغت نامة» وما شاكل وشابه.

وقد وردت كلمة ***language*** في المعجم الكتابي ***Bible Dictionary*** دالة على أنها من أصل واحد وتنوعت حسب ظروف وأسباب تاريخية وغيرها كما ورد في «الاسطورة البابلية» من تبلبل الألسنة واختلافها، بعد أن كانت واحدة:[٣٠] ***language (tongue, Originally - one Gen xi. 1.Diversified at Babel Gen. xi 7 - 9)*** وإنَّ كلمة ***Language*** كما ذكرنا من أصل يوناني ولاتيني وقد دخلت الفرنسية تحت لفظ ***Langage*** مشتقة من كلمة ***langue*** التي هي بدورها مشتقة من ***Langue*** اللاتينية بمعنى ***tongue:*** اللسان ومنها اصطلح على علم اللسانيات الحديث بـ ***Linguistics*** وقد جاء تعريفها في معجم كاسل مختصراً ما يأتي:[٣١] ***language lang'gwaj {F. langage from langue, L. lingua tongue} n. Human speech, the communication of ideas by articulate sounds or words, the vocabulary peculiar to a nation, tribe, or people..."***

كما أننا نلاحظ أنَّ كلمة ***languet*** مشتقة من كلمة ***langue*** والتي هي أقرب الى اللغة دلالةً نظراً لوجود حرف التاء (***t***) كاسعة وهي واردة في الفرنسية أيضاً[٣٢].

ولعل كلمة ***Laugh*** «الفعل» التي تعني الضحك والأصوات «اللاغية» وكلمة ***laughter*** الضحك والسخرية بمعناها «الاسمي» قريبة للدلالة على معانٍ وردت في القرآن الكريم مشتقة من مادة (لغو) المشار اليها وهي التي تدل على الكلام اللغو أو «اللاغي» أو «الملغي» مع ملاحظة الاختلاف المقتضي في اللغات المختلفة والاشتقاقات المتباينة، إذ أنَّ كلمة ***loud*** في الإنجليزية تدل على «اللغط» والأصوات العالية المرتفعة والتي تشبه الصراخ والصياح وهما أي ***loud*** و «لغط» متشابهان صوتاً ودلالة بالنظر اللغوي الايتمولوجي: ***Etymological*** وكذلك هو التشابه بين كلمة «لغة» ***glot*** الناتجة عن القلب المكاني والتي تعني «گلو» بالفارسية، وهي الحلق أو الحنجرة ذات الصلة بكلمة ***logos*** فونياتيكياً ***phonematic*** وليس فونيتكتيكياً ***Phonotactic*** لأنَّ الحلق أو الحنجرة هي وسيلة اللغة في الجهاز التصويتي في الإنسان، أو أنَّها أهم جزء فيه. وأما

علاقة لفظة ***logos*** و ***legate*** بلفظة «لغة» فواضحة وكلها تدل على الكلمة أو مجموع الكلمات التي هي حكاية عن الوجود اللغوي، الحاكي عن الوجود الإبداعي والخلق بالمعنى الفلسفي والعرفاني أو البرهان العقلي كما ورد في الكتاب المقدس : «في البدء كانت الكلمة» [٣٣] وانَّ الله تعالى بهذا المعنى هو «المتكلم» الحقيقي الوحيد، وهذا الكون كله «كلماته» و «آياته» و «تجلياته» و «علاماته» و «دلائله» و «براهينه» وانَّ أشرف هذه الكلمات هم الأنبياء والأئمة ـ عليهم السلام ـ وهم الكلمات التامات، و «الدلالات الواضحات» وانَّ كل كلام في الوجود غيره هو كلام مجازي وكل متكلم غيره هو صدىً لكلامه، ويمكن تطبيق قول «المتنبي» هنا على هذه المقولة وإن كان كما يقال : «قياس مع الفارق» لكنه يحكي عن المفهوم الذي نريد اليه ونشير عليه:

«ودع كل صوتٍ غيرَ صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى» [٣٤]

فكل صوت في الواقع هو صدى لنطقه، وكل وجود هو انعكاس لعظمته، فهو «واجب الوجود» المطلق، وما سواه «الممكنات» وهو خالق عالم الإمكان والمكان، ومبدع الكون والزمان، فإنَّ صاحب الزمان ـ عليه السلام ـ «كلمته» كما أنَّ المسيح ـ عليه السلام ـ «كلمته» [٣٥]. وأنَّ «كلمة الله» هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى، وهذا هو «المنطق » الحق و «المنطق»السديد. ومن هنا نعرف لماذا أنَّ كلمة المنطق في اللغات المتفرعة من اللاتينية تعادل كلمة «لغة» ***logic*** وكذلك كلمة «العلم» ***logy*** وأنَّ كل «اللوجيّات» أو «اللوغيّات» أو «اللغات» نابعة عن العلم الحق، وتابعة للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وهو الذي ﴿خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [٣٦] وهو الذي خاطب سيد الكائنات محمداً (ص) وأشرف كلماته بقوله تعالى: ﴿اْقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلَّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ * اَقْرَأْ وَرَبُّكَ اْلأَكْرَمُ * اَلَّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٣٧] فعلى اسم الله وقوله «كُن» كانت الحياة والخليقة وباسم الرب بدأت القراءات والكتب وفي صفحات الوجود ظهرت التجليات والآيات وكلما بدا للإنسان من أفكار وأذكار وعلوم وفنون، وكلما اهتدى اليه البشر من آداب ورسوم وأسماء ومسميات فهو منه تعالى وإليه وقد خصها بالإنسان الكريم وعلمها إياه دون غيره:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى اَلْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُوني بأسماءِ هٰؤُلاءِ

إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * قَالُوا سُبحانكَ لا عِلمَ لنا إلّا ما عَلَّمتَنا إنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحكيمُ * قال يا آدَمُ أنبِئْهُمْ بِأسمائِهِمْ فَلمّا أنبأَهُمْ بأسمائِهم قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنّي أعْلَمُ غَيْبَ السّمٰواتِ والأرضِ وأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [٣٨].

فقد قيل انَّ المقصود من «الأسماء» هي المسميات، أو معاني الأشياء أو أعيانها الخارجية، أو المعرفة بحقائق الأمور، وأسرار الوجود التي هي مظاهر «كلمات الله» تعالى، و «تجليات أسمائه» و «أعيان آلائه» وقيل انها ولايته بعد «ولاية الله» المطلقة على سائر الوجود والموجودات،وليست هي ولاية الى جنب ولاية الله تعالى،بل تكون تحتها وتحت إشرافها وإشراقها، ولذلك أُعطيت له هذه المكانة العليا، ولأجلها أصبح مسجوداً للملائكة أن «تخرَّ ساجدةً» له بعد أن أنبأهم بأسمائهم : ﴿وإذْ قُلْنَا لِلملائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدوا إلّا إبليسَ أَبىٰ واستَكبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرينَ﴾ [٣٩].

ومن هنا صار الإنسان مركز الوجود الممكن، وقطب عالم الإمكان، كما صار مخاطباً ـ بالفتح والكسر ـ لله تعالى، وإليه بعثت الرسالات والكتب وحظي بشرف الصلاة والدعاء بل كما قلنا صار أشرف كلماته، وأعز مخلوقاته، و «حمل الأمانة» التي لم يستطع غيره حملها ليوصلها الى صاحبها طوعاً واختياراً ﴿إنَّا عَرَضْنَا الأمانَةَ على السمٰواتِ والأرضِ والجبالِ فأبينَ أن يَحمِلنَها وأشفقنَ مِنها وحَمَلَها الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظَلوماً جَهُولاً﴾ [٤٠] وكان الوحيد الذي أُعطي «حرية الاختيار» و «الإرادة الحرة» **freedom of choice** التي تحمل من ورائها الثواب والعقاب، ويستطيع أن يكون مسلماً لله تعالى طوعاً وإرادةً بعد أن كان «مسلماً» في عالمه «التكويني» كما يمكنه أن يكون كافراً بأنعمه سبحانه وتعالى وظالماً لنفسه وجهولاً، كما أشارت إليه الآية المتقدمة، لكنه إذا أسلم وجهه «تشريعاً» لله تعالى كما أسلم «تكويناً» فيعطى «الولاية الحقة» ويكون لديه «الاسم الأعظم» الذي يستطيع بواسطة معناه ومبناه أن يسخر الوجود الممكن وأن يخضع له سائر الموجودات والممكنات بإذن الله تعالى، كما أنبأ آدم الملائكة بالأسماء، ونوح حيث عبر الطوفان، وإبراهيم حيث أخمد النيران، وداود حيث سخر الجبال والرياح، وسليمان حيث أُلهم «منطق الطير» وموسى حيث «ألقى عصاه التي تَلقَف ما يأفكون» «وأخرج اليد البيضاء» وعيسى حيث أبرأ الأكمه والأبرص وأحيىٰ الموتى،

ومحمد (ص) حيث «قرأ» باسم الرب وهو الأمي ونـزل عـليه «القـرآن الكـريم» وخلدت «رسـالته»[٤١] في العالمين وكان رحمة للخلق أجمعين.

وما زال العبد يتقرب اليه بالنوافل حتى يكون لسانه الذي ينطق به، وعينه التي يبصر بها، وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها... ويكون لديه «لسان» صدق في الآخرين. وإذا حكم فبحكمه حكم، والراد عليه كالراد على الله. وهكـذا يكـون حكمه «باللسـان» كحكمه في «الأعيان»، لأنّه أعطي القوة الناطقة وقدرة المعرفة وعلم «منطق الطير» ومنطق سـائر الأشياء، حتى تسبِّح الجبال والطير على هدى تسبيحه، وتكون صدىً لصوته، ورجعاً لنطقه وما أروع ذلك!

فهذه اللغة المعجزة في الإنسان، وهي اللغة الحية، واللغة الوجود، واللغة المعرفة، واللغة الجامعة، ولذا دلَّت على معنى «الصَّلاة والصِّلات»، والربط والرابط في مثل كلمة **league** و **link** في الإنجليزية وهي تشابه كلمة «لغة» صوتاً ودلالة في الأثر والتأثير.

والإنسان؛ بعبارة أُخرى، هو نفسه «اللغة» وهو المنطق، وهو الرابط وهو أشرف الوجود الممكن الذي يستطيع أن يرتبط بخالقه عن طريق العلم والعبادة والمـعرفة: «لغة العقل» والتفكير، وهو الذي عُلِّم بالقلم كل العلوم والفنون والأسماء بالقوة، وكل ما يحتاج اليه من مراحل الكمال، وأن يعد نفسه ويزكيها بالسـير والسلوك العرفاني، ليكون أهلاً لخطاب: ﴿اَقْرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلَّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ * اَقْرَأ وَرَبُّكَ اَلأكْرَمُ * اَلَّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٤٢]. والقلم هـو أداة الكتابة على «اللوح» والقلم كانَ أول وجود صدر عن المبدأ الأعلى[٤٣]، وهو العـقل الأول الذي يكتب على لوح النفس الكاملة مما تمليه عليه الفطرة السليمة التي هي أيضاً بمثابة اللوح المحفوظ في المحل الأرفع، وقد نقشت يد الإبداع الإلهي عليها أحسن النقوش، ليكون الإنسان ﴿في أحْسَنِ تَقْويمٍ﴾[٤٤].

وإنَّ مثل النفوس والأرواح كالطروس والألواح، إذ عليها تسطر الكلمات، وتنتظم الحروف، ويكون القلب الكبير، والفؤاد الخـبير محـلاً لهـبوط الوحـي: ﴿ألم * ذلِكَ اَلكِتابُ لا رَيبَ فيهِ هُدىً لِلمُتَّقِينَ﴾[٤٥] ومن هذه الحروف المقطعة تتشكل الكلمات التامات، ومن الكلمات تتشكل الآيات، فالسور، فالكتاب المبين الذي يجمع بـين

الدفتين كل شيء، وتكون صفحاته وأجزاؤه الكتاب الجامع «والصحف المطهرة» وهي جميعاً تحمل معنى «الكتابة» ـ الجذر ـ في العربية، وهي الدلالة على الجمع والضم، ولذلك سمي الكتاب كتاباً، لأنه يجمع تلكم الحروف والكلمات، والآيات والسور، وهو «الجامع المانع» في نفس الوقت، كما أنّه «الوصل الفصل» و«القرآن الفرقان» [٤٦]. جمع ووصل بين المعاني والأصول والحقائق، وفصل وتفريق بين الحق والباطل، والطيب والخبيث ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [٤٧]. وفي هذا المنظار كيوم «المعاد» ويوم «الفصل» ويوم «الجمع» : ﴿هذا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [٤٨] و ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعضٍ عَدُوٌّ إلاَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [٤٩]. وهو كالنبي، والإمام، الذي يكون فرقاناً وقرآناً ناطقاً ينطق عن الحق وباسم الحق من أجل الحق. وانَّ الكتاب كتابان : كتاب «النفس» وكتاب «الوجود» . وعلى ألواحه تتجلى جميع الكلمات، والآيات، والعلوم والفنون، والحقائق، والدقائق، وإنَّ فيه ﴿تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٥٠]. وفيه وردت أسماء الله الحسنى، وكلماته العليا، وآلاؤه الكبرى، وعلى «لوائح» الوجود، وألواح النفس تلوح تلكم الأسماء ﴿التي ملأت أركانَ كُلِّ شيء﴾ [٥١] وفي الكتابين التكويني والديني تشرق الآيات البينات، وفي الآفاق والأنفس ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهِمْ حتّى يَتبيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلحَقُّ﴾ [٥٢]. وأنَّ «الكتاب» و «لسان الوحي» و «كلام الله» وما الى ذلك من اصطلاحات في الحقيقة جميعاً معنى واحد، كما أنَّ الأديان، والنبوّات، والرسالات، وخاتمتها «رسالة الإسلام» جميعاً فكرة واحدة، وملخصة بكلمة «الدين» بكل معنى الكلمة ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنْهُ وَهوَ في الآخرةِ مِنَ ٱلخاسِرينَ﴾ [٥٣]. والقرآن: هو القراءة الحقة الشاملة ـ في الوجود مطلقاً ـ وفيه قراءة كل الكتب والأديان والحقائق، وهو معنى الرسالة الخاتمية، والرسول الخاتم، «الخاتم لما سبق والفاتح لما استُقبل». وليست كلمة «قرأ» في العربية إلا الدلالة على «الجمع» وأنَّ جذرها وكل اشتقاقاتها تحمل هذه الدلالة.

وعلى أوراق «الكتاب» و «أليافه» تتجلّى الحقائق والدقائق، وتنقش الكلمات والآيات، ومن هنا جاءت كلمة «ألياف» معادلة للكلمة الإنجليزية ***leaves*** ومفردها ***leaf***: ليفة وهما متشابهتان صوتاً ودلالةً. وإذا جمعت على شكل دفتر أو كتاب صغير،

أو رسالة مختصرة سميت ***leaflet*** وهي تشابه كلمة «لغة» صوتاً ودلالةً أيضاً، مع مراعاة التبادل الفونيمي والإبدال الأصواتي: ***Interchangeable Phonemes*** وما إلى ذلك من مقتضيات القواعد الصوتية: ***Phonetic rules*** حسب ما وضحناه تطبيقاً، في الجداول التقابلية المقترحة في آخر المقالات من هذه السلسلة من المصطلحات [٥٤]. وإذا كثرت هذه الأوراق والألياف سميت ***Lavish*** بل تدل هذه الكلمة في الإنجليزية على الكثرة مطلقاً، والكلمة ***Vocabulary*** معنى يدل على سعة «دائرة الكلمات» في المعرفة، وبشكل دقيق تعني «دائرة اللغة» الناتجة عن تشكل الأصوات وبنائها الصرفي المتداول.

وإنَّ الدلالة على «اللوائح» القانونية في الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية تعادل مفردة ***Legible*** وأنَّ كلمة ***Leg*** هي جذر لها ويعادل «لوح» صوتاً ودلالةً وكذلك رسماً وخطاً مع ملاحظة خصائص الأسماء والحروف في كل نظام من الأنظمة اللغوية المتنوعة، وهي تشابه كلمة ***list*** بمعنى القائمة، أو هي الشيء القانوني: القائم على قدم و «ساق» في المجتمعات المتحضرة، ومنها اشتقت الكلمات: ***legal*** و ***legality*** و ***legate*** و ***legacy*** وكذلك ***delegate*** و ***relegate*** وسائر الإشتقاقات التي تدل على اللغة المتفق عليها في العرف الاجتماعي والتاريخي وهي لغة الحكم، ولغة القانون، و «الولاية» والوكالة، وجذرها اللاتيني ***legare*** وهي تشابه «الولاية» صوتاً ودلالةً [٥٥].

وإذا أصغى الإنسان و «أنصت» لمتكلم فهو «منصت»: ***listener*** وجذرها ***list*** ومنها ***listen*** الفعل بمعنى الاستماع والمتابعة للكلام ويلاحظ التشابه الفونماتيكي لا الفونوتاكتيكي، وليس الاستماع إلّا نوعاً من الربط والارتباط بين المتكلِّم والسامع، وكلَّما كان المتكلِّم بليغاً ومحقاً في الحديث فهو يأخذ بمجامع القلوب ويستولي على الأفئدة والنفوس، ومن هنا جاء في كتب البلاغة والفصاحة اليونانية القديمة «إنَّ الكلام البليغ يربط أسماع السامعين بسلاسل ذهبية ويشدها الى فم الخطيب ونطقه» وإذا أخذ الإنسان علماً ودرساً من استاذه فهو مشمول بمفهوم ***lesson*** في الإنجليزية المتشابهة مع ***listen*** وليس أظهر من دلالة ***linguist*** على ما يتصف به الشخص الناطق بعدة لغات والعالم بها وما يقوم به من ربط بينه وبين سامعيه أثناء الكلام أو الكتابة، وهو «اللساني» الماهر، والمتفنن بالألسنة واللغات وأنواع اللهجات والاشتقاقات،

بعكس ذلك إذا كان المتكلّم غير مبين في نطقه وأداة تصويته، فهو «ألثغ» واللثغ[٥٦] في الإنجليزية يعادل كلمة ***lisp*** وهما متشابهتان صوتاً ودلالةً، وهذه الوقفة في صوتي الثاء والغين تشبه الوقفة في صوتي السين والياء، بهذا التتابع ولعلهما من مصاديق نظرية محاكاة الفعل والأصوات في الطبيعة المعروفة بـ ***onomatopoeic***.

وإذا لم تكن في لسانه لثغة ***lisping*** وكان قادراً على النطق الفصيح، ومتمكناً من تلبية المعاني على الوجه الأكمل عن طريق استخدام أدوات التعبير وجهاز النطق، ومن أهم أدواته اللسان و «الشفاه» فهو يلبي «تلبية» بواسطة مايسمى في الفارسية «لب ها» وفي الانجليزية ***lips*** بتقديم وتأخير بين حرفي الياء والسين بهذا الشكل للسهولة، وهما لائحتان وظاهرتان في اشتقاق كلمة تلبية:[٥٧] لبّ يلبّي تلبيةً إلخ ـ وهي تقابل اجتماعياً كلمة ***lobby*** ـ «مصدر لبّ إذ قال لبيك والتثنية للتكرر وانتصابه بفعل مضمر ومعناه إلباباً لك بعد إلباب، أي: لزوماً لطاعتك بعد لزوم»[٥٨] فتقابل دلالته الاجتماعية و «الالتزامية» كلمة ***Lobby*** الكتابية، والتي طالما يستخدمها العبرانيون في التلبية السياسية. ووردت في الاصطلاحات الغربية المعاصرة وقد كثر إستعمالها في الانجليزية، ومعناها التأييد لهدفٍ أو شخصٍ : و (***lobbying : an M.P.***)[٥٩].

(Lobby, v. Seek to influence (members of legislature) by interviews, etc. in lobby. Solicit members' votes or influence of Person")

وليست دلالة كلمة الدين في العربية إلّا «الالتزام» التي تقابلها كلمة (***re - ligion***) وهي «إعادة الارتباط» وإعادة الرابطة بين الخالق والمخلوق بشكل إرادي حرّ، فكلمة (***re***) بادئة تعني الإعادة وكلمة (***ligion***) تعني الرابطة، وهي قريبة الدلالة من ***league*** الرابطة، وهي لغة التعبد والطاعة، واللغة التي تربط العبد بالمولى، ولغة الصلاة والدعاء والمناجاة، وإذا كانت اللغة دائرة بين جهتين أو شخصين فتسمى (***dia - logue***) وأمّا إذا كانت حواراً داخلياً بين المرء ونفسه فهي ***mono - logue*** لأنّ (***dia***) بادئة تعني (دو) بالفارسية و (***two***) بالانجليزية وهي متقاربة صوتاً ودلالة، و ***mono*** بادئة تعني «واحد» أو وحدة، ومنها التوحيد ***mono - theism*** أو الوحدانية الإلوهيّة، وإلى ما هنالك من اشتقاقات وتركيبات.

كما أنّ (**col - league**) الدالة على الرابطة بين أهل صنف وصف واحد، وجذرها هو (**leage**) التي تشابه «اللغة» صوتاً ودلالة كما ذكرنا، وهي تدلّ على الرابطة والعلاقة بين طرفين فأكثر، لدلالة (**co**) وما يثلّثها من الحروف كـ(**m**) و (**n**) و (**i**) البادئة التي تعني ذلك في كثير من المفردات في اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات المتفرعة من اللاتينية، وكذلك هي دلالة (**Col - lege**) وأصلها (**lege**) وتدل على الرابطة الكلية لفظاً واصطلاحاً، وإنّما سميت «الكلّية» **College** وهما متشابهتان صوتاً ودلالة، لأنّها تجمع بين الأقسام والفروع الدراسية وغيرها وهذا هو السبب في اصطلاحها الجامعي الأكاديمي. وهذا الجذر نفسه يلمح في (**Sacri - lege**) أيضاً، الشيء المقدس أو القدّاس، أو القدس، أو لغة القداسة، وهي مفردات دينية تدل على القربان والتضحية في سبيل المبادئ العالية والأهداف المقدسة السامية.

وإنَّ كلمة **lecture** التي تدل على الكلمة الملقاة، والمحاضرة بمعنى الكلام المسموع غالباً تشابه كلمة ـ لغة ـ صوتاً ودلالة، وجذرها **logy** يشابه كذلك دلالة «لهجة» وأصواتها. ومنها (**dia - lect**) اللغة الثانية، أو اللهجة الثانية، لدلالة (**dia**) كما تقدم على الاثنين، و(**lect**) على اللغة أو اللهجة وعند إضافة الحرف (**e**) كبادئة تتكون الكلمة **elect** ومنها يتكون معنى **election** التصويت بمعنى الانتخاب والاقتراع النيابي وغيره، وباضافة الحرف (**s**) كبادئة أخرى تتكون كلمة **selection** وهي بمعنى الانتخاب مطلقاً، والانتخاب والاختيار هو إعمال للرأي، وهو عملية نقدية متكاملة، بمعنى قبول شيء ورفض شيء آخر في نفس الوقت.

ولما كانت اللغة ـ لغة الأشياء ـ هي كل العلوم والفنون والآداب، فقد استعملت في العربية كبادئة في الانجليزية ككاسعة تقابلها كلمة (**logy**) للدلالة على معرفة ذلك الشيء «موضوع البحث» في مثل (**bio - logy**) علم الاحياء ولغتها، و (**psycho - logy**) علم النفس ولغتها، وما شابه وشاكل، ولغة الأحياء والنفس هي منطقها التكويني والفطري، ولذلك أشرنا إلى الدلالة القوية في كلمة **logic** على «المنطق» «العلم المصطلح» عليه بأساس العلوم وأُسّها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ حرف «اللام» صوتاً ودلالة، ومدى تشكله وتنوعه في

مختلف اللغات التي تشير إلى حقيقة واحدة كما سنرى، فرسم اللام «لـ» في العربية رمزاً للغات الشرقية يعكس صورة الآخر ويحاكيه، والسبب في ذلك أنَّ اللغات الشرقية تبدأ من جهة اليمين ومن جانب الشرق، واللغات الغربية تبدأ من جهة الشمال من جانب الغرب، تأثّراً بالمواقع الجغرافية والطبيعية على هذه الأرض العجيبة، وأنَّ حرف اللام «لـ»» و «*L*» في حساب الجُمل والحسابات الأبجدية في العربية وسائر اللغات السامية، وكذلك في اللاتينية وسائر اللغات المتفرعة منها يدل على مضاعفات العدد «خمسة» وقد جاء تفسيره في الحساب الروماني دالاً على العدد خمسين: [٦٠] ***L: as Roman numeral 50*** وبما أنّه يدل على مضاعفات الخمسة في تلكم الحسابات، فنحن نجد أنّ كلمة «الّي» المضعفة اللام في التركية تدل على «اليد» والتي تحمل تكويناً في الانسان الطبيعي خمسة أصابع في يديه ورجليه. وأنَّ شكلها في الأطراف، ولاسيا اليد اليسرى يُوحي لنا دقة صنع «الله» وعظمة «اليد» القادرة، التي هي رمز العطاء و «الأداء» و «أداة» الصنعة والعلم، والكتابة «بالقلم» على «لوحة النفس» والوجود إنّما تتم «باليد الصُناع» و «يد القدرة» أساساً وهي «يد الله» و «يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» وإن شكل اليد اليسرى التي تقع على جانب القلب في الإنسان ـ كما شاءت يد القدرة ـ أن تكون نقشاً وجودياً ورسماً تكوينياً لكلمة / اللّه /

وكذلك هي أداة التعريف في العربية «الـ» التي تقع في بداية كل كلمة للدلالة على تعريفها، وإنَّ أعرف المعارف هو «الله» تعالى وهو بداية البداية ونهاية النهاية، وهو الأوّل والأخر، والظاهر والباطن، وكلمة «ال» هي في صلب كلمة «إله» و «الوهيم» في العربية والعبرية، وجذر لسائر اللغات السامية، والعجيب في الأمر أنّ كلمة «الله» تتشكل من خمسة حروف رمزاً «ليد الإبداع» وإنَّ كلمة «الله» اسم مستجمع لجميع الأسماء الحسنى والصفات الالهية الحقّة، ومن جملتها «السلام» وتقابلها كلمة «إسلام» وتعني في الانجليزية ***peace*** وهما تتشكلان من خمسة حروف دلالة على أنّ يد «الابداع والوجود» شاءت أن يتحقق السلام بالإسلام، وهذا ما يعزفه «العود» الإلهي و «الناي» الرباني وهما من خمسة أحرف أيضاً وتقابل العود كلمة ***lute*** في الانجليزية صوتاً ودلالة.

ثانياً: مصطلح ولاية الفقيه

□ الولاية: ولاية:[61] (*Loyalty: Vilayet*).

ولاية الفقيه: (*Loyalty to the Jurisprudent*).

«ولاية الفقيه العادل ـ انطلاقاً من قاعدة ولاية الأمر، والإمامة المستمرة، فإنَّ الدستور يمهّد الأرضية لتحقيق (قيادة الفقيه) جامع الشرائط الذي تعترف به الجماهير كقائد؛ حتى تضمن عدم انحراف المؤسسات والأجهزة المختلفة عن مسؤوليّاتها الإسلامية الأصيلة: (مجاري الأمور بيد العلماء الأمناء على حلاله وحرامه)[62].

من المصطلحات المهمّة والخطيرة في الفلسفة والشريعة الإسلامية مصطلح «الولاية» المطلقة أي: «ولاية الحكم الإلهيّ» أو «ولاية الفقيه» التي هي امتداد لها، وعليها يبني الإسلام أنظمته للحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والأخلاقيّة وما إليها.

وقد تبلور هذا المصطلح بشكل واضح وعملي على الساحة الفكريّة والسياسيّة في إيران الإسلام، وأخذ أبعاده الواقعيّة بفضل الثورة الإسلامية المباركة، إذ أصبح الحكم الإلهي بيد «الوليّ الفقيه» الحاكم العادل[63]، والحارس الأمين للثورة الإسلامية، زعيم الأمة وقائدها الراحل الإمام الخميني (رض) وبعده آية الله السيد علي الخامنئي، متّع الله المسلمين بطول بقائه، وأمدَّ الله زمان «ولايته» حتّى ولاية صاحب الأمر والزمان (ع).

إنّ هذا المصطلح «ولاية الفقيه» يتكوّن من كلمتين هما: «الولاية» و «الفقيه» ولكي نفهم دلالاته لابدَّ لنا من أن نبحث في أبعاد الكلمتين وفق منهجنا المتّبع بحثاً تقابليّاً مقارناً، نتصيّد فيه ظلال هذا المصطلح ومعانيه في مختلف الاستعمالات والدلالات واللغات، ونحن هنا نحاول اكتشاف الجذور اللغوية لكلمة «الولاية» بشكلها الأوّليّ، أو قُل نقترحها حسب ما مرّ من دراساتنا في سلسلة مقالات مشابهة

مستخدمين النظرية نفسها والمنهج نفسه.

إنَّ مادة «ولاية» اللغوية في العربية، تدلّ على عدّة دلالات ومعان، وقد استعملت في طائفة من الاستعمالات والاشتقاقات كأغلب مفردات العربية الثرَّة، غير أنَّ الجامع لها يمكن أن يُتصيَّد في مفهوم شامل واحد، ألا وهو (العهد والارتباط والمتابعة) أي الموالاة بشكل عام.

وقد ورد بحث مفيد لهذه الكلمة تحت مادّة (مولى) في (المغرّب) وتعرّض إلى وجوه استعمالاتها. وجميعها ينسحب على المفهوم الجامع المذكور بشكل أو بآخر، ويدلّ على هذه الآصرة:

«المولى: على وجوه:

ابن العمّ.

والعصبة كلّها[٦٤]، ومنه «وإنّي خِفْتُ الموالِيَ مِنْ ورائي»[٦٥].

والرَّب.

والمالك: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إلى الله مَولاهُمُ الحقِّ﴾[٦٦].

وفي معناه: الوليّ، ومنه: ﴿أيّما امرأةٍ نُكحت بغير إذن وليّها﴾ ويُروى مولاها.

والناصر: في قوله تعالى: ﴿ذلِكَ بأنَّ اللهَ مَوْلى الذينَ آمَنُوا وأنَّ الكافِرِيْنَ لا مَولىٰ لَهُمْ﴾[٦٧].

والحليف: وهو الذي يُقال له مُولى الموالاة، قال: ﴿مَوالِيَ حِلْفٍ لا مَواليْ قَرَابةٍ﴾[٦٨].

والمعتِق: وهو مولى النِعمة.

والمعتَقَ، في قوله (ص): «مولّى القوم من أنفسهم»: يعني موالي بني هاشم في حرمة الصدقة عليهم وهو «مفعل» من الولي بمعنى القُرب.

وعن عليّ بن عيسى، الوليّ: حصول الثاني بعد الأوّل من غير فصل، فالأوّل يليه الثاني، والثاني يليه الثالث، ويقال: ولي الشيء يليه ولياً؛ ومنه: «ليَلني أولو الأحلام».

ويقال: وليَ الأمر وتولاّه: إذا فعله بنفسه، ومنه قوله في باب الشهيد: «لِوا أخاكم»: أي تولّوا أمره من التجهيز.

وولّي اليتميّ: القتيل.

ووليّ البلد: أي مالك أمرها ومصدرها،

والوِلاية: ـ بالكسر ـ والوَلاية: ـ بالفتح ـ النصرة والمحبة. وكذا الولاء؛ إلا أنّه اختصّ في الشرع بولاء العتق، وولاء الموالاة. وأمّا قولهم: هم ولاء: أي موالون، فعلى حذف المضاف، أو وصف المصدر.

والتولية: أن تجعله والياً، ومنها بيع التولية.

والموالاة: المحاباة والمحابة والمتابعة أيضاً،

والولاء ـ بالكسر ـ في معناها، يقال والى الكتب فتوالت: أي تتابعت» [٦٩].

فالوليّ على وزن (فعيل) ـ وبمعنى الفاعل والمفعول ـ يحمل دلالة الارتباط والعهد والمتابعة سواء للحاكم أو السيّد، أو الإمام، أو الوصيّ، أو الأب، أو الأخ، أو الصديق، أو الحبيب، وما إلى ذلك من كثرة الاستعمالات والدلالات في العربية.

وكذلك الأمر في مفهوم (الولاية) وما يشتق منها، أو هو قريب منها، مثل كلمة (آل) و (أهل) البيت في العربية، و (إيل) و (إيالة) بالفارسية والتتريّة، و **Levite** بجميع اشتقاقاتها الاغريقية واللاتينية وما تفرّع منها من اللغات الأوربية كما وردت أصلاً في العبرية تعبيراً عن آل يعقوب وابنه [٧٠].

والتولّي على وزن (تفعّل): الالتزام والمتابعة قولاً وعملاً للوليّ، ومنه ما ورد في مصطلح فروع الدين العشرة حول (التولّي) الذي يضاد (التبري) تماماً.

والمفهوم الخاصّ من آية (الولاية) أصلاً يحمل هذه الدلالات العامّة، ثُمَّ خُصّص بمفهوم (الحاكمية) الإلهيّة، على قاعدة؛ (ما من عامّ إلّا وقد خُص) و (ما من مطلق إلّا وقد قُيّد)، وذلك يُعرف من أسباب النزول والسيرة الشريفة، والروايات المخصّصة للنصّ، إضافة لتخصّص الآية بقوله: (إنّما) هنا: **﴿إنّما وَليّكُمُ اللهُ ورسولُهُ والّذين آمَنُوا﴾** [٧١].

فالولاية لله ورسوله والّذين آمنوا من الأئمة الهداة المهديّن، الذين تجب متابعة منهجهم والإلتزام بأمرهم وأمر من تابعهم بإحسان، ومشايعة أقوالهم وأعمالهم، حتّى ورد في دلالات كلمة: (شيعة) المتابعة والمشايعة: **﴿وإنّ من شيعَتِهِ لابراهيمِ إذْ جاء**

ربَّهُ بقلب سليم﴾ [72]. و ﴿فَوَجَدَ فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هٰذا مِنْ شِيعَتِهِ وهٰذا مِنْ عَدوِّهِ فاسْتَغاثَهُ الذي مِنْ شِيْعَتِهِ على الَّذي مِنْ عَدُوِّه﴾ [73]. وكذلك هو مفهوم (الدِّين) أصلاً وبمختلف اللغات: الارتباط والالتزام، أو إعادة الارتباط: (***re - ligion***) كما توحي به مادته في الانجليزية وجميع اللغات المتفرّعة عن اللاتينية. وممّا يؤيّد ذلك كلمة (***reign***) التي تدلّ على (الحُكم) ونظيرتها (***rein***) ـ صوتاً ودلالة ـ الّتي تدلّ على (الحِكمة) بمعناها اللغوي (الزِّمام) والرباط. والأغرب من كلّ ذلك أنّ كلمة (***rain***) المطر التي تساوقهما صوتاً جاءت في العربية بمعنى (الوليّ) أيضاً، لأنَّ المطر «يتتابع» في الهبوط «ويتوالى» وفيه معنى «الولاية» اللغوية، وحين يكون الحُكم بيد قوّة محكمة عالية يصطلح عليه في الانجليزية وجميع اللغات المتفرّعة عن اللاتينية بـ ***Sovereign*** وفي الأصل (***sover - reign***) إذ أنَّ كلمة ***Sover*** لاتينية وتعني ***Super*** [74] ولذا يمكن إطلاق (***Sovereignty***) على الحاكمية الإلهيّة وولاية الفقيه أيضاً، لأنَّها هي (السلطة الحقيقية العليا) وكذلك (***Supreme jurisdiction, Supreme ruler***)

أو بمعنى أدقّ ـ نقترحه ـ: (***loyalty to the jurisprudent***)

أو معنى مشابه تماماً: (***authorized jurisprudent***)

وعند الرجوع إلى مصطلح الولاية نجده صلاحيّة دينية أُعطيت للفقيه ملزمة للمتدينين؛ كما أنّ معنى الدّين هو الدينونة والالتزام ـ كما مرَّ ـ وقد قيل (كما تَدين تُدان» إذ تتبع النتيجة العمل وهي لازمة له، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، والله سبحانه وتعالى: ﴿مالِك يوم الدين﴾ يوم الجزاء وهو الملِك الحقيقي والحاكم الحكيم.

ومن الملفت للنظر أنّ كلمة (الله) في العربية وغيرها من اللغات السّاميّة تدل على معنى: (الولاية)، والعهد، والقُربى: (كرب) [75] في اشتقاقات متشابهة ومنها: «الإلّ ـ بالكسر ـ هو اللهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ وهو أيضاً العهد والقرابة» [76]. وفي العبرية ينطق: (الوهيم) و (الوه): [77] ***Eloah*** وفي الآرامية ***Eloi***، إذ جاء في المعجم الكتابي لوبستر مانصّه: ***Wloi, Elohi, Elohim: God. Eloi is also Aramaic form of Elias or Elijah*** [78].

كما انَّ أصل كلمة الله (إلاه): «على فِعال بمعنى مفعول؛ لأنّه مألوه أي معبود،

كقولنا: إمام، بمعنى مُؤْتَمٌّ به، فلمّا أُدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام»[٧٩]. وقد استعمل الفعل في مادة «أل ه»: «أَلَه يأْلَهُ ـ بالفتح ـ فيهما إلاهَةً أي: عبد والآلِهةُ الأصنام، سمّوا بذلك لاعتقادهم أنَّ العبادة تحقٌّ لها وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم، لا ما عله الشيء في نفسه، و (التأليه): التعبيد، و (التأله): التنسّك والتعبّد، وتقول أَلِهَ أي: تحيَّر، وبابه (طرِب) وأصله: وَلِهَ يَوْله وَلَهاً»[٨٠].

ولمّا كان (الله) هو المنعم الحقيقيّ وهو مصدر كلّ النِعَمِ فقد سُميّت (الآلاء): «النِعَم واحدها (ألىً) ـ بالفتح وقد يكسر ـ ويكتب بالياء، مثل: معىً وأمعاء، و (آلىٰ) يُولي (إيلاء): حلَفَ، و (تألّى) و (ائتَلىٰ) مثله، قلتُ: ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يأْتل أُولُوا الفضْلِ مِنكم﴾[٨١]، و (الأَليَّة): اليمين وجمعها (أَلايا)»[٨٢].

وليس معنى (العِلّة) ومبناها، وكذلك (العِلّ) ببعيد عن (الإلَ) المتقدّم الذكر، وأنَّ الله سبحانه وتعالى هو علّة العِلل، وهو العِلّة الأولى و (الأوّل) والآخر، وهو (وليّ) جميع الكائنات و (إله) الأرض والسماوات المطلق: و ﴿لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ الله لَفَسَدتا﴾[٨٣].

والعجيب أنَّ كلمة (الولاية) بمعنى العهد والمتابعة والموالاة تلاحظ بشكل من الأشكال في مختلف المفردات القريبة منها صوتاً ودلالة، وفي مختلف اللغات والاشتقاقات.

فكلمة ***Ally*** في الانجليزية من أصل لاتيني، وقد استعملت في الفرنسية القديمة بهذه المعاني:

Ally (ali) [o.E.alire, L. alligare (ad., to ligare, to bind)] v.t. to unite by treaty, confederation, marriage, or friendship[٨٤].

ومنه المصطلح السياسي الحديث ***allied*** و ***allies*** للأنصار والأصدقاء والتابعين والموالين لمعسكر من المعسكرات:

(***allied a. of allies; of the same general Kind***)[٨٥].

كما وردت ***Alley*** باشتقاق آخر ـ بإضافة ***e*** ـ حاملة نفس الدلالة في بعض استعمالاتها، وبدلالتها على الطريق والممر الفرعي وهي مترابطة أيضاً[٨٦].

والاسم منها يأتي على: **Alliance** وجاء في تـفسيرها [٨٧] **The state of being allied**.

وباشتقاق آخر قريب منه تأتي كلمة **allegation** وتحمل نفس الدلالة في بعض استعمالاتها، وهي لاتينيّة الأصل أيضاً:

(**L. allegare Cad, to, ligare, to bind**) [٨٨].

وكذلك هي كلمة **align** التي تحمل معنى كلمة **Aline** والتي تؤكّد التتابع والسير على نفس الخط **line** إذ جاء في تعريفها:

(**Align: v.t. place or bring into line, join as an ally alignment**) [٨٩].

ومن هنا استعملت في المصطلح السياسي الحديث كلمة (**Non - Alignment**) و (**Alignment**) للدول المتحالفة والمتوالية، أو غير المتحالفة والمتوالية، وقد ترجمت إلى العربية بحركة عدم الإنحياز: (**Non - Aligned Movement**)

وإذا أيّد إنسان رسالةً، أو منهجاً، أو حكومةً، أو حاكماً، أو وطناً، قـيل لهـذا التأييد بالانجليزية: **Allegiance** وهي قريبة من سائر الكلمات المبحوثة في هذه المقالة صوتاً ودلالة، إذ جاء في تفسيرها: **Allegiance: n. Support given to a government, sovereign, or cause** [٩٠].

فبالامكان اقتراح كلمة **Allegiance** أيضاً لتدلّ على التأييد المطلق الذي تقوم به الأمّة الإسلامية في دعم مبدأ: (ولاية الفقيه) و (الحاكمية الإلهيّة) وذلك للـدلالة الصوتية والمعنوية المتقاربة، حسبما مرّ من اشتقاقات، إضافةً إلى أنّ كلمة **Allegiance** يمكن أن يلمح منها عند التحليل اللغوي والصرفي دلالتها على قانونية التأييد هـذا وشرعيّته. إذ أنّ كلمة (**leg**) تشكل جذراً ودلالة أصلية في الانجليزية وغيرها مـن اللغات الأوربية المشتقة من اللاتينية على معنى القانون والفقه والتشريع في مثل **legal** تشريعي و **legalize** يـشرّع وكـذلك سـائر الاشـتقاقات: (**legitimate, legislature, legislator, legislative, legislation, legislate, legitimatize,legitimize,**).

وما إلى ذلك وهي بالأصل ذات علاقة جذرية بكلمة **loyalty** و **loyal** المقترحة عنواناً لولاية الفقيه والمتسـاوقة صوتاً ودلالة، وربّما كانت من جذر واحد مع كـلمة

(ولي) و (ولاية) حسب ما تقرّره النظرية العالميّة في اللغة **Universality** بجميع فروعها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وما يقرّره مصطلح **Cognate** في الدراسات الاتيمولوجية، إذ أنَّ **legal** و **legality** من نفس جذر **loyal** ومعناه:

Loyal [F.loial, from L. legalis, legal] a. Faithful, true, constant, in a trust or obligation (to); faithful to one's sovereign, government, or country. loyalism, n. loyalist, n. loyalize, v.t. loyally, adv. loyalty [٩١].

والتبادل الصوتي بين الجيم والياء ـ كما أشرنا سابقاً ـ حاصل في كثير من اللغات والاشتقاقات، ولاسيما إذا كانت من عائلة واحدة، وإن كانت النظرية العالمية أو الكونية المتبناة من قبلنا تعتبر اللغات جميعاً من عائلة واحدة تماماً، كالانسان تتناسل اللغات وتتطوّر عن أصل واحد، حسب عوامل عدّة لا يتّسع المجال لذكرها.

والأعجب من كلّ ذلك دلالة المفردات الآتية صوتاً ودلالة على المعنى الأصلي الجامع لها، وإن كانت بعيدة للوهلة الأولى لغير المتخصّصين في علم الأصوات والدلالات وقوانينها.

فكلمة **Follow** يتبع، وكذلك كلمة **Fellow** تابع وصديق، وكلمة **Philo** محبّ وحبيب ومنه التركيب **Philosophy** و **Philology** وما إلى ذلك: محبّ الحكمة واللغة وباحث في موضوعيهما، وكلمة **Will** حبّ و **holy** ولاء مقدّس و **whelm** يسيطر ويتوّلى و **fealty** ولاء، وما إلى ذلك من اشتقاقات كثيرة مستعملة في الانجليزية ومنحدر بعضها عن اللاتينية أو الاغريقية جميعاً تتساوق صوتاً ودلالة مع (ولاية)، والأصوات الأوائل فيها تتبادل حسب قوانين صوتية، يمكن توضيحها في الجدول التقابلي المقترح في ـ ملحق رقم (٢)ـ.

كما أنّ كلمة (**Law**) و(**Allow**) و(**Alloy**) و(**Alien**) و(**Allineation**) و(**Align**) و(**Aline**) و(**Ally**) المتقدمة الذكر وما إليها من اشتقاقات تتساوق صوتاً ودلالة في نفس الدلالة الشرعية والتعهديّة والولائيّة.

والفقيه العادل في الشريعة الإسلامية هو (وليّ) الأمر الذي يجتهد في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيليّة، أو كما جاء في الاصطلاح: «بذل

الوسع قدر الطاقة في تحصيل الظنّ بالحكم، وظنيّة الطريق لا تنافي قطعية الحكم الشرعي المستفاد من دليله الاجتهادي، وعند عدمه يرجع الفقيه إلى أصل من الأصول الأربعة فيعتمد عليه وللفقيه سندان: الدليل، والأصل. فيلزم في اجتهاد كلّ حكم إلى حجة تستند، كما قيل:

الاجتهاد هو بذل الوسعِ في طلب الظنِّ بحكم شرعي
أو مطلق الحجة وهو جارِ بذلك المعنى لدى الأخبار
إذْ التماس الحجّة المعتبرة في الفقه لا يمكنه أن ينكره [92]

والولي المجتهد المبسوط اليد يكون مرجعاً أعلى في زمن غيبة الإمام وتكون له الولاية: «والولاية المجعولة للفقيه قهرية غير اختياريّة، وهي فرع من (ولاية الله) على الطرفين: الإمام والمأموم، والحاكم والمحكوم للآية: «إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا» [93] ـ أولو الأمر ـ مدعوماً بآية: ﴿أطيعوا الله والرسول﴾ [94] و ﴿ما آتاكُم الرسولُ فخذوهُ وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [95] فحذف المتعلق يفيد العموم وللحديث: «مجاري الأمور بيد العلماء بالله» وهو عام بناءً على بعض التفاسير، هم الفقهاء في زمن الغيبة. والولاية أقسام:

الأولى: ولاية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للآية: «هنالك الولاية لله» [96] وله الولايتان التكوينية والتشريعية، وهي بفتح الواو، وفي ولاية النبي (ص) والأئمّة (ع) ونوابهم هي بكسر الواو؛ بمعنى الملك، وبفتحها بمعنى النصرة.

الثانية: ولاية النبي (ص) المشرّع الأعظم، للآية: ﴿النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [97].

الثالثة: ولاية الأئمة، للآية: ﴿وأُولي الأمرِ منكم﴾ [98] وهم العلّة المبقية لحفظ الشريعة ببيان الأحكام وحفظ الأنام، فوجود الإمام لطف، وتصرّفه لطف آخر، وعدمه مِنَّا.

الرابعة: ولاية الفقيه الجامع للشرائط، فيتولّى أمور العباد في المعاش والمعاد، من حلال وحرام، وجميع ما يحتاج إليه الأنام، من طيّ الدعاوي في الخصومات للآية: ﴿فإنْ تَنازَعْتُمْ في شيء فَرِدُّوهُ إلى الله﴾ [99] ويتولّى سهم الإمام ـ عليه السلام ـ وأموال

الغُيّب والقُصّر، ومجهول المالك، ولا يضمن لو أخطأ وضعاً، لأنَّه أمين، والضـامن لا يجتمع مع الأمان، لأنَّه محسن: و ﴿ما على المُحسِنينَ مِنْ سَبيل﴾ [١٠٠] بل يثاب ويؤجر، فولايته تعالى ذاتيّة، وباقي الولايات ثانويّة جعلية. ولعلَّ في لحن الآية إشارة إلى ذلك بتكرار فعل(أطيعوا):﴿أطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأمْرِ﴾إذ فصل في الطاعتين وبين الولايتين الذاتية له، والجعليّة لأوليائه من النبيين والأئمة الفقهاء العدول.

والحاكم الشرعيّ من الفقهاء المجتهدين يملك حقَّ استنباط الحكم الشرعي في (الأحكام الثانوية) حسب الظروف والأزمان المناسبة مشروطة باستنباطها من مصادر التشريع الأربعة:

١ـ الكتاب.

٢ـ السنة.

٣ـ الإجماع.

٤ـ العقل.

إذ كل حكم من أحكام الشارع المقدس يبتني عليها ويستند إليها. والفقيه لا محيص له من أن يستند ويعتمد على «الكتاب، والسنّة، والإجماع، والعقل». ولا يمكن أن يكون حكم بلا دليل وفرع بلا أصل. فالمجتهد ينظر إلى هذه الأدلّة أوّلاً فإن استفاد منها شيئاً بنفسه مباشرة حكم به.. وهو معنى «الاجتهاد» وإلاّ رجع إلى (الأدلّة الفقاهتيه) الأربعة:

١ـ البراءة.

٢ـ الاستصحاب.

٣ـ التخيير.

٤ـ الاحتياط.

الأربعة في الأولى كافٍ لاثبات الحكم والكتاب مصدرها الأوّل، والباقية ترجع إليه وإصدار الفتوى يعتمد عليه. ولا يلزم اجتماعها والقضيّة هنا (مانعة الخلوّ)، (لا مانعة الجَمْع)، ولو اجتمعت الأدلّة في حكم نفعت وأكدت» [١٠١].

وقد عالج موضوع (الأحكام الثانوية) و (منطقة الفراغ) التي تُركت ليملأها

الفقيه المجتهد كلٌّ من العلاّمتين العَلَمين الفيلسوفين الاستاذ الجعفري وآية الله الشهيد الصدر (رض) ونحن هنا ـ فيما يأتي ـ نقتبس من عباراتهما باختصار ما يوضّح الفكرة.

يقول الاستاذ الجعفري: «فإنَّ كلَّ الأمور النظرية في الحياة الفردية والاجتماعية على نوعين: (الحكم والموضوع).

والنوع الأوّل: وهوا لحكم يشمل الأحكام الأوّلية والأحكام الثانوية، أمّا الأولية فتشمل كلّ التكاليف الإسلامية المستخرجة بواسطة الفقهاء من المصادر الأربعة: (الكتاب، السنّة، الإجماع، العقل) وهذه لا مجال فيها للتشاور؛ لأنّها لا تقبل التغيير والتبديل، كالمحرّمات والمستحبّات ، ويجب أن نلتفت إلى أنَّ الاختلاف في الظروف قد يؤدّي إلى الاختلاف في الفتاوى ـ وهو أمر طبيعيّ ـ ولكنّه يجب أن لا يؤدي للإخلال بالحياة الاجتماعية، ولهذا يجب تشكيل شورى فقهيّة قياديّة، ووضع قانون موحّد للمجتمع.

وأمّا الأحكام الثانوية فهي التي يصدرها الفقهاء الجامعون للشرائط بملاحظة الخصوصيّات والزمان والمقتضيات الأخرى، كتحريم استعمال التبغ من قبل العلاّمة المرحوم الشيرازي (حينما أُريد استغلاله لمصالح استعمارية) والملاحظ هنا:

أوّلاً: إنَّ الأولية تستند مباشرة للأدلة الأربعة، في حين تستند الثانوية إلى المصالح والمفاسد، ولكن لا بمعنى قطع علاقتها بالأدلّة الأربعة، بل إنَّ هذه الأدلّة هي التي تعطي التعاليم الكلّية، لحفظ الكيان الاجتماعي، والتي ترشد الفقيه للأحكام الثانوية.

ثانياً: إنَّ هذه الأحكام الثانوية إنّما تصدر في مجال المباحث الأولية.

ثالثاً: إنّ الثانوية تتغير بتغيّر الظروف، وبمجرد انتفاء العلل التي أوجب الحكم نفسه. ويجب على الفقيه التشاور في الموضوع إذا احتاج إلى ذلك.

أمّا النوع الثاني فهو الموضوع:

فإنّ كل علاقة بين الإنسان وغيره يمكنها أن تكون موضوعاً لحكم، كالزراعة والزواج والمنتوجات الصناعية وأمور الحرب والصلح. وهذه قد تتغيّر أحكامها باختلاف الظروف ومدى حاجة الإنسان. والتحقيق في هذه الموضوعات هو من مهمّة

الواعين الأخصائيين، ولذا فالتشاور في تحقيق الموضوعات وعلاقاتها بالأمور الإنسانية يشكّل قانوناً أصيلاً، وهو أفضل سبيل للوصول إلى الواقع في الأمور النظرية»[١٠٢].

وفي ضوء التشريع في ميدان الاقتصاد الإسلامي مثلاً، فقد عالج الموضوع نفسه آية الله الشهيد الصدر في سلسلة :«الإسلام يقود الحياة» بقوله:

«ولا يستكمل الاقتصاد الإسلامي أو اقتصاد المجتمع الإسلامي بتعبير آخر صورته الكاملة إلّا باندماج العناصر المتحركة مع العناصر الثابتة في تركيب واحد تسوده روح واحدة وأهداف مشتركة.

وعملية استنباط العناصر المتحركة من المؤشرات الإسلامية العامّة تتطلّب:

أوّلاً: منهجاً إسلاميّاً واعياً للعناصر الثابتة، وإدراكاً معمّقاً لمؤشراتها ودلالاتها العامّة.

ثانياً: استيعاباً شاملاً لطبيعة المرحلة وشروطها الاقتصادية، ودراسة دقيقة للأهداف التي تحددها المؤشرات العامّة، وللأساليب التي تتكفّل بتحقيقها.

ثالثاً: فهماً فقهيّاً قانونياً لحدود صلاحيات الحاكم الشرعيّ (ولي الأمر) والحصول على صيغة تشريعيّة تجسّد تلك العناصر المتحركة في إطار صلاحيات الحاكم الشرعي[١٠٣] وحدود (ولايته) الممنوحة له»[١٠٤].

وتلاحظ هنا عبارة الشهيد الصدر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ: «عملية استنباط العناصر المتحركة من المؤشرات الإسلامية العامّة تتطلّب أوّلاً منهجاً إسلامياً (واعياً) للعناصر الثابتة، وإدراكاً (معمّقاً) لمؤشراتها ودلالاتها العامّة». وهذا هو معنى كلمة: (فقه وفقيه) المفردة الثانية من مصطلح (ولاية الفقيه). فبعد أن عرفنا جذور كلمة: (ولاية) لابدّ لنا ولو بشكل مختصر أن نلمّح إلى دلالة كلمة: (فقه وفقيه) في العربية الدالّة على الفهم والوعي اللازمين لإدراك علم الشريعة، إذ جاء في «المختار»:

«الفِقْه: الفَهمْ، وقد (فقِه) الرجل ـ بالكسر ـ (فِقْهاً) وفلانٌ لا يَفْقَهُ ولا يَنْقَهُ. و (أَفْقَهَتُهُ) الشيء هذا أصله. ثُمَّ خُصَّ به علم الشريعة. والعالم به (فَقيه) وقد (فَقُه) من باب ظرف أي: صار فقيهاً. و (فقهه) اللهُ (تفقيهاً). و(تَفَقَّه):إذا تعاطى ذلك.

و(فاقَهَهُ)باحَثَهُ في العلم»[105].

والخلاصة: أنّ (ولاية الفقيه) التي هي امتداد لولايـة الله والرسـول والأئمـة الطاهرين تمثّل: (الحاكمية الإلهية) في النـاس. وهـي صمّام الأمـان الدائم والضمانـة الشرعيّة الأكيدة، لتطبيق حكم الله في الأرض وتحقيق الحقِّ والعدل والسلام.

ثالثاً: مصطلح لأُمّة

□ أُمَّة البشر: الأُمَّة البشرية: ***Human being: Humanity***

□ أُمَّة الإسلام: الأُمّة الإسلامية: ***Islamic Ummah: Muslim Ummah***

﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدونِ﴾[106].

لا شك أنَّ البشريّة أمَّة واحدة، وقد أكدت الأديان والرسالات السماوية على وحدتها. وانّ الدين الإسلامي الذي كَمُلَ به الدِّين كلّه وتمَّت به النعمة[107] الشاملة قد جسَّد هذه «الأُمَّة الواحدة» ـ الأمّة الإسلامية ـ وذوَّب فيها كُلَّ الفوارق والاعتبارات إلّا فارق التقوى واعتباره؛ إذ هو المقياس والمعيار: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبيرٌ﴾[108] فإنَّ اختلاف الذكر والأنثى والشعوب والقبائل لا يمنع من تشكيل الأمّة الواحدة، أو بالأحرى إعادة تشكيلها: ﴿وما كان النَّاسُ إلاّ أُمَّة واحِـدةً فَـاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيْهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[109].

إنَّ هذا الاختلاف ناجم عن الجهل والابتعاد عن الحقّ والجادة الوسط، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى بعث نبيّه الكريم محـمَّداً (ص) رحمـةً للـعالمين[110] وإلى النـاس كافَّةً[111] تمهيداً لذلك الهدف، ليكون شهيداً على أُمّته وتكون أُمّته شهيداً على الناس: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكونُوا شُهَداءَ على الناسِ ويكونَ الرَّسُولُ عليكُمْ شَهيداً وما جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إلّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ وإنْ كَانَتْ لَكَبيرة إلّا على الذينَ هَدَىٰ اللهُ وما كانَ الله لِيُضيعَ ايمانَكُمْ إنَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرَؤوف رحيمٌ﴾[112]. وتمَّ اتّخاذ «القبلة الواحدة»: الكعبة الحرام بعد القـبلة الأولى: «القدس الشريف» ليتَّجه إليها كلُّ مَنْ أسلم في «صلواته»، ويطوف حولها كُلُّ

من استطاع «الحجّ» رمزاً «للوحدة والتوحيد» وتكوَّنت بذلك الأمة الهادية الخيِّرة التي أخرجت للناس هدىً ونوراً ورمزاً للصلاح والإصلاح: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ المُنْكَرِ﴾ [١١٣] والأمَلُ أن تعود كما كانت، وها قد بدأت تباشير النهضة الإسلامية العالمية، وقد طلع فجرها في إيران بقيادة الإمام الخميني الكبير.

وببركات هذه الثورة الإسلامية المباركة بدأت كلمة «الأُمّة» تلمع في الكتابات الإسلاميَّة والوسائل الإعلاميَّة المحليَّة منها والعالمية، ونحن حسب منهجنا اللغوي المقارن والنظرية اللغوية العالمية: ***Universality*** التي أشرنا إليها في حلقات سابقة نجد كلمة «امة» ذات جذور ضاربة في أعماق اللغات والتاريخ، وذلك ممّا يؤكّد كون البشريّة من أمّة واحدة ومنحدرة عن «ام» واحدة هي الأصل والمرجع لجميع الأمم. وقد احتفظت لغاتها باشتقاقات مقاربة لكلمة «امة» صوتاً ودلالة. وإذا كان ثَمَّ اختلاف في اللفظ أو المعنى ظاهراً، أو كان ثَمَّ تطوّر في ظلالها ودلالاتها فذلك طبيعيّ وبديهيّ، وكذلك هي سنَّة اللغات والأشياء.

فعند الرجوع إلى كلمة «أُمّ» في المعجمات اللغويّة نجد ما يأتي: «أمّ الشيء أصلُه، ومكَّةُ أُمّ القرى، والأمُ الوالدةُ، والجمعُ أُمَّاتُ، وأصلُ الأُمّ أُمَّهةٌ، ولذلك تجمع على أُمَّهات، وقيل الأُمَّهاتُ للنَّاسِ، والأُمَّاتُ للبهائم ورئيسُ القوم أُمُّهم، وأُمُّ النجوم المجرَّةُ، وأُمُّ الطريق معظمُهُ، وأُمُّ الدماغ الجلدة التي تجمع الدماغ، ويقال أيضاً أُمُّ الرأس، وقوله تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾ [١١٤] ولم يقل أُمهات؛ لأنّه على الحكاية، كما يقول الرجل: ليس لي معينٌ فتقول: نحنُ معينك، فتحكيه. وكذا قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [١١٥] قال الأخفش: يريدُ أهلَ أُمَّةٍ: أي كنتم خير أهل دين» [١١٦].

وقد ورد في الشعر المعاصر النشيد الآتي:

«وَٱجْمَعْ إِلىٰ أُمِّ القُرىٰ أُمَّ المَدَائِنْ» [١١٧]

فنحنُ نلاحظ من هذه النصوص اللغوية أصالة كلمة «الأُمّ» ودلالتها على الأصل عموماً، وعلى الأصل الإنساني خصوصاً، هذا المخلوق المؤمن الأمين أصالةً، وخليفة الله الذي حملَ «الأمانة» و «الإمامة» وكانَ أمةً وحده [١١٨]، إلاّ إذا ضَلَّ عن

السبيل واتّبع هواه فيتردّى عن إنسانيّته وأمنه وأمانه، ويخرج عن أمته الإنسانية، ويكون هو وأمثاله كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا[١١٩].

والملفت للنظر أنّ كلمتي «أمّ» و «أُمَّة» تشتركان مع كلمتي «أَمنٍ» و «أَمَانةٍ» صوتاً ودلالة في ظلال كثير من المعاني الحضارية والإنسانية، كما أنّ كلمة **Human** في الانجليزية المنحدرة أصلاً عن اللاتينية **humanus** والمستعملة في الفرنسية الوسطى **humain** تحمل نفس الظلال والدلالات وهي ذات جذر مشترك مع **homo** والتي يصطلح عليها في الدراسات اللغوية بظاهرة الكوكنيت **Cognate** وهي تتساوق مع كلمة «أمّ» في دلالتها على الأصل والصفات المشتركة بين الأشخاص أو الأشياء.

Human (hu'man) [M.F.humain, L. humanus, cogn. with Homo], a pertaining to man or mankind; having the nature, qualities, or characteristics of man[١٢٠].

وإذا كانت كلمة **man** قد استعملت في الانجليزية بمعناها الخاصّ للدلالة على الرجل فكلمة **Woman** تدلّ على المرأة، وكلاهما من أصل واحد لفظاً ومعنى؛ إذ أنّ **woman** في اللغات الانجلوساكسونيّة أصلاً من كلمة عبريّة (**wife, man: wif·man**)[١٢١] ثمّ تطوّرت إلى ما هي عليه في الإنجليزية المعاصرة. وهي زوج الرجل ومنهما يتوالد النسل، وكلاهما أمٌّ بمعنى الأصل، وقد اصطلح القرآن الكريم عليهما «زوجاً» دون تمييز، وما التاء في «الزوجة» إلاّ متأخرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ﴾[١٢٢]

ومن الطريف أن يُسمى كلٌّ منهما بالفارسية «همسر»، كما تقابل **man** بالفارسية كلمة «مَرْد» وهي قريبة منها جَرْساً، وقد استعملت في اللغات الأنجلوساكسونية جذراً باشتقاق آخر **Mann** وكذلك هي في الألمانية، غير أنّها في الهولندية والسويديّة **man** وأنّ كلمة «أمّ» بلغاتها ولهجاتها المتعددة متقاربة في أغلب اللغات المعروفة. وقد وردت في العربية بصورة مماثلة في بعض لهجاتها واشتقاقاتها: أمّ، أُمام، أمامة، مامة، ماما، مام ومثله في الإنجليزية (**mother, mammy, mummy, mum**) وكذلك في الفارسية «مادر» متساوقة صوتاً ودلالة كأغلب مصطلحات أفراد العائلة **Family** «فاميل».

وقد أطلق على الأمّة البشرية في التعبيرات المعاصرة ***Great Family*** أي الأسرة الكبيرة الواحدة، وإذا أُريد التحسّس بالمعاني الإنسانية الرفيعة استعملوا اشتقاقاً آخر من كلمة ***Man*** وقالوا: (***Humane*** أو ***Humane society***) وهي دلالات إنسانية على المجتمع البشري الراقي.

Humane (human) [as prec., differentiated in meaning late] a. Having the feelings proper to man; tender, compassionate, kind, gentle; elevating, refining; polite, elegant; elevating distress, aiding those in danger, etc [١٢٣]

وأراني هنا مضطرّاً لأذكر جملةً معترضةً، أين مِنْ هذه المعاني الإنسانية الرقيقة الأمم الناطقة بها، أو تلك التي يُطلق عليها بالدول العظمى أو ما يُسمى بالدول الكبرى !! فهل بقيت بعض هذه المعاني في تصرفاتها، أو في قاموس سياساتها الطاحنة المُدَمِّرة؟ وقد اشتقّوا من هذه المعاني الأخلاقية المتقدّمة مصطلحاً فلسفياً وأطلقوا عليه كلمة: ***Humanist*** وعلى المتخصّص بهذه الفلسفة والمعرفة البشرية ***Humanist*** وعلى الذي يؤمن بالكمالات البشرية ***Humanitarian*** وصاغوا من هذه الأخيرة فلسفة مرتبطة بها تُدعى ***Humanitarianism*** وهي قريبة من مصطلح ***Humanity*** وإذا جُمعت ***Humanities*** صارت تدلّ على الدراسات الإنسانية، المعنيّة بالثقافات والآداب والحضارات المتوالدة بعضها من بعض.

إنَّ علاقة الأمّ بـ (***Home***) البيت و «المأوى» واضحة، وكذلك كلمة (***Home - land***) الوطن الأُمّ، وفي الاصطلاحات التعارفيّة بالانجليزية (***Feel at home***) اشعر وكأنّك في بيتك وعند أهلك، كناية عن رفع التكاليف، ومثل ذلك مصطلح (***Home - sickness***) الحنين إلى الوطن الأُمّ، ويقال لمن رُبّيَ في بيته وأحضان أُمِّه وأبيه (***Home - bred***) أي ليس تربية أغراب، ولشدَّة حُبِّ الإنسان لأُمِّه واحترامه وتقديسه لها اشتُق من كلمة الأم ـ الوطن ***Homage*** للاحترام والمحبّة المقدّسة مطلقاً: [١٢٤] ***to pay homage or respect to*** وقد نصّ معجم كاسل على أنَّ هذا التعبير منحدر عن اللاتينية والفرنسيّة القديمة، وذو علاقة بالإنسان عموماً ***Homo, hominis, man*** وقد ارتبط جنس الإنسان وأصله بكلمة (***man*** و ***Mankind*** و ***Manhood***) ويدلّ بذلك على الذكر والأنثى

معاً والأمّة البشريّة جمعاء.

والعجيب في الأمر أنَّ الصوت **/M/** أو (الميم) والتصويت به ذو علاقة بالشفتين وعملهما، وهو من الحروف الشفويّة الأنفيَّة، «الأنفمويّة» وقد استعمل في كثير من المفردات والاشتقاقات وفي كثير من اللغات بدلالات نفسيّة خاصّة وغالباً ما تكون ظلالها مرتبطة بالأُمّ بمعنى من المعاني التي ورد بعضها في النُّصوص المتقدمة، ولَعَلَّ أوّل صوت ينطق به الطفل مناغياً به أُمه هو الميم ـ أو من الأصوات الأولى ـ لسهولته من ناحية ولطبيعة عملية الرِّضاعة الفطريّة التي تحدثه، ومنه قيل «مصّ الثدي» في العربية و «مكيدن» في الفارسية، عند عمليّة الرضاعة، وابتداؤهما بالميم، ومن ذلك سُمِّيَت الحيوانات التي ترضع أولادها «بالثديَّات» **Mammal** و **Mammalian** كما يلاحظ وجود الميم في كلمة «فم» و **Mouth** و قد قيل «للأثداء» نفسها: **Mammary** والأطفال عامة يطلقون كلمة **Mum** «مام» بمختلف اشتقاقاتها وفي مختلف اللغات على «الأمّ» كما مرَّت الإشارة إلى ذلك.

ولعلِّ لكلمة **Animate** وسائر اشتقاقاتها كـ **Animated** و **Animal** و **Animation** وأمثالها أثراً واضحاً في الدلالة على «أمّة الحيوان» وجنسه عموماً، وعند تقسيمه إلى فصوله وأنواعه نلاحظ كلمة المناطقة الشهيرة: «الإنسان حيوان ناطق» فهو يشكّل الفصل الأرقى من هذه الأمة، ويتميّز عن سائر الفصول بعقله ومنطقه ـ «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَم» [١٢٥] وبحمله للرسالة والأمانة والإمامة، فإذا فرَّط فيها يكون أضلَّ من الأنعام ـ كما ذُكِر.

وكلمة **Great family** كَمّاً وكَيفاً تكون صحيحة إذا احتفظ الإنسان بإنسانيته وأخلاقيته.

إنّ كلمة **Family** ذات علاقة صوتية ودلالية بكلمة **Female** المرأة وجنس المرأة وقد وردت في أغلب اللغات المتفرّعة عن اللاتينية، كما وردت في الانجليزية، وهي تقابل **Male** الرجل أو جنس الرجل، وهما قريبتان من كلمتي **Woman** و **Man** إذ الأصل في (**Wife - man Woman**) فتارة تنسب البشرية إلى المرأة ـ الأمّ فيقال: **Great Family** وتارة تنسب إلى الرجل ـ الأب فيقال **Human being** أو (**Hu - man**) ونحن نعلم

أنَّ علامة التعريف ***Definite Article*** في العبرية تكون (***Ha***): «ها» وهي قريبة من البادئة (***Hu***) في كلمة (***human***) ومنه قولهم: «هامايم» للمياه و «هاشمايم» للسماوات و «هاأرض» للأرض، فيمكن أن يكون (***human***) الإنسان كجنس «الأمّة» وتقابل «ال» الجنسيّة في العربية وتكون بذلك (***humanity***).

الانسانية وهي الأُمّة البشرية وقد ورد ***Man*** في المعجم الكتابي بمعنى آدم و ***Woman*** بمعنى (***Wife - man***) و (***Ummah***) الجماعة (***Community***) و (***Amam***) الجمع و (***Aman***): الأم و (***Ammah***) الرأس و (***Ammi- el***) أمة الله [١٢٦].

وهناك نوع من الأصوات الشفويّة الناعمة التي يُخرجها الإنسان بشكل متشابه ومتجانس يقال لها همهمات «والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر» [١٢٧] ويراد بها التعبير الهادئ أو الهادف إذ قد يركّزُ على هدف مقدّس وبأسلوب عرفانيّ خاصّ، فيقال لنوع من التسبيحات «هينمات» وقد وردت في الانجليزية كلمة ***Hymn*** بهذا المعنى من الأصوات المقدسة والتراتيل والترانيم في «القُدّاس» وهي ذات علاقة صوتية ودلالية بكلمة (***Harmony***) هم آهنگي.

(***Hymn n. song of praise to God or a sacred being. hymn book n. book of hymns***) [١٢٨].

ونحن نلاحظ هنا بشكل جيد علاقة ***Hymn*** بكلمة «هينمة» و «هيمنة» إذ إحداهما سبب للأخرى في كثير من الحالات، ومنه قيل «للمهيمن»: المسيطر على وجود الشيء «هَيْمَنَ»، والمهيمن من أسماء الله تعالى المشتركة مثل «المؤمن» يطلق على الله ـ سبحانه ـ وعلى العبد المؤمن بالله، وقد قيل: إنَّ المهيمن أصل مشترك مع المؤمن ومادتها الأمن والأمان والايمان: «والايمان التصديق، والله تعالى المؤمن، لأنَّه آمن عباده مِنْ أن يظلمهم. وأصل آمن أأمن بهمزتين لُيِّنَت الثانية، ومنه المهيمن وأصله مُؤأمن لُيِّنَتْ الثانية، وقلبت ياءً كراهة اجتماعها وقلبت الأولى هاءً، كما قالوا أراق الماء وهراقه» [١٢٩].

وتلاحظ إضافة «الهاء» أو إبدالها في كلمة أُمّ أيضاً فيقال «أُمَّهَة»، كما قيل: «الهامَةُ» لأمّ الرأس، والرجُل الهُمام: «الملكُ العظيمُ الهمّة» [١٣٠]؛ ولكلّ مَنْ يتّصف بالهمَّة

العالية يُقال: هُمَام. كما يقال لرئيس القوم: هامَة[١٣١] أيضاً. وإذا اشتَدَّ شوقُ الإنسان وزاد حُبُّه و وَلَهُهُ للمعشوق قيل «هَيَّانُ» وهو في الأصل من شدَّة العطش، ويقال «الهُيام ـ بالضمِّ أشدُّ العطش»[١٣٢] كما يقال: «الهيام» بالكسر والكلُّ من مادة واحدة. وإذا أُخِذَت بمعناها المجازي فهي خاصّة بالوَجْد والتواجد، و «الوَلَه» والحنين الشديد وهي من صفات الإنسان، ويكون أقدسها وأعلاها التوّجه إلى «الله» تعالى وهو معنى الإله: «لإنّه مألوه أي معبود»[١٣٣].

ونخلص من كلّ ذلك إلى أنَّ كلمة «أمّ» و «أمّة» وما يعادلها في مختلف اللغات والاشتقاقات تفيد الدلالة على الأصل والمرجع أو ما انتسب إلى الأصل والمرجع من أشخاص أو أشياء ذوات صفات مشتركة تكون حقيقتها منعكسة في تلك الأمّ، أو هي مرايا لصورة أصيلة واحدة، كما هي دلالة «أم الكتاب» لسورة الفاتحة التي تنعكس فيها كلّ حقائق القرآن وسُوَرِه، وتتضمّن كلَّ أُصول الدين وفروعه في نظر أهل التفسير والمعرفة[١٣٤] ومن ذلك ما ورد في النصّ الفارسي المتقدّم حول العقل الأوّل والنفس الكليّة، والإنسان الكامل، واللوح المحفوظ. كما ورد في الفارسية أيضاً «مادر گيتى» و «مام وطن» للكون الجامع والوطن الأمّ. وقد اصْطلِحَ بكلمة «الأمّـهات الأربع» على العناصر الأربعة التي تمثّل كلّ ما في الوجود ـ حسب الفلسفة القديمة ـ: الماء والتراب والنار والهواء، والتي يتولّد منها كلّ شيء في الوجود بنظرهم، وكذلك هي «أُمّهات الأسماء» التي تمثّل كلّ أسماء الذات المقدّسة وصفاتها الثبوتيّة، وهي الأوّل والآخر والظاهر والباطن ويجمعها الاسمان المختصّان «الله والرحمن»[١٣٥] ومثلها «أمّهات الحقائق». وقيل «أُمّهات المطالب» للأدوات التي يُسأل بها عن كلِّ مطلب وهي: «ما ـ هل ـ لم»[١٣٦] إذ هي الأُمّ لكلِّ سؤال.

وإنَّ كلمة «الهمهمة» المتقدّمة والّتي تمثل الترديد والتكرار والتشابه بين الأصوات «المهمهمة» بها ذات علاقة وُثْقى دلالَية وصوتية بكلمة ***Homo*** التي تدلّ على التشابه بين الأشخاص أو الأشياء وكأنّها منحدرة من «أُمّ» واحدة وأصل واحد، ولها علاقة كبيرة بكلمة ***Home*** البيت المكان الجامع الذي يضمّ أفراد العائلة من «أب وأمّ» وَالِديْنِ لها، ومنه قيل (***Homo - nym***) ويعادلها في الفارسية «هم نام» أي: اللفظ المتشابه

و (*Homo - phone*) أي: الصوت المتجانس و (*Homo - geneous*) ويعادلها في الفارسية «هم جنس» و ما إلى ذلك من مصطلحات متشابهة صوتاً ودلالة والتي تقوم عليها عمدة دراستنا هنا والتي يطلق عليها (*Syno - homonyms*) وهي المشترك اللفظي والمعنويّ عالميّاً.

ولمّا كان الجنس البشريّ من جنس واحد وأصل مشترك و «أمّ وأب» وَالِدَيْنِ للجميع فهم «أُمّة بشريّة» واحدة وهو المصطلح الذي نقترح معادله: ***Humanity*** المشابه «لأُمّة» صوتاً ودلالةً، وهي الأمّة العالميّة الواحدة التي يسعى من أجل تكوينها الإسلام العظيم بتحقيق «الأُمّة الإسلامية» الكبرى ***Islamic Ummah*** والتي تذوب فيها كلّ الفوارق المفتعلة والحدود المصطنعة، وإنّ يوم تحقيق هذا الحُلُم الكبير لقريب ـ إنْ شاء الله تعالى ـ.

رابعاً: مصطلح التاريخ High- story: History

قال تعالى: ﴿ولله ملك السمٰواتِ «والأرض» ويوم تقوم الساعةُ يومئذٍ يخسر المبطلون * وترى كُلَّ أمةٍ جاثيةً كلُّ «أمةٍ» تُدعى إلى «كِتابها» اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا «كِتابنا» ينطق عليكم بالحقِّ إنّا كنّا «نستنسخ» ما كنتم تعملون * فأمّاالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأمّا الذين كفروا أفلم تكنآياتي«تُتلى» عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين﴾ [١٣٧].

يبدأ تاريخ البشرية على هذه الأرض «بورقة الهبوط» وينتهي ـ إذا أحسن الانسان سيره وسلوكه ـ «بورقة العروج». وهذه المسيرة والحركة: هي حركة التاريخ والعالم الذي يتكامل فيه الإنسان والوجود الممكن «جوهرياً» حتى يصل إلى الهدف، وينتهي إلى «المبدأ» الأعلى، والكمال المطلق.

فتاريخنا ـ نحن بني آدم ـ يتلخص في ورقتين، وما بين الدفتين، وهذا التاريخ هو سجل للحركات والسكنات والحوادث والأشخاص، والأمم والحضارات التي سوف تجزى بأعمالها بعد أن تتوقف حركتها: «وترى كلَّ أُمّةٍ جاثيةً» [١٣٨] ومستعدة للحساب والكتاب، والثواب والعقاب، وترى كتابها ـ آنذاك ـ ينطق عليها بالحق، وتشاهد

«نسخة» عملها طبق الأصل والواقع، وفي ضوئه يكون الجزاء «يوم الجـزاء». فـإمّا العروج و «الدرجات» الرفيعة، وإدامة التكامل نحو الكمال وإمّا الهبوط و «الدركات» المنحطة وإلى أسفل درك من الجحيم.

وقصتنا **our story** وتاريخنا **our history** يبدآن من هنا ـ كما يصورهما القرآن الكريم ـ من هذه «الورقة» الأولى ورقة الهبوط، بعد فيض الحياة و «الوجود» والنعيم و «الورود».

﴿ويا آدمُ أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تـقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُوِيَ عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين * فدلاّهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربُّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنَّ الشيطان لكما عدوٌّ مبين﴾ [١٣٩].

نعم هذه الورقة «ورقة التين» أو «ورقة التوت» أو أية ورقة رمزية أخرى من ورق الجنة، هي بداية النهاية، ونهاية البداية للصفقة التي بدأت بتذوق طـعم تـلك الشجرة، سواء أكانت شجرة المعرفة الدانية، أو الفاكهة الفانية، أو «سنبلة» الحـنطة والتي أوجدت السؤال الكبير في ذهن «شكسبير» **Shakespeare**:

(***To be or not to be that is the question of man's first disobedience and the fruit***) [١٤٠].

ومن هنا بدأ الصراع بين الانسان والشيطان، ومن هذه الورقة الأولى عُرِف مكره وخداعه «وقاسمهماإنّي لكما لمن الناصحين» [١٤١]، ولكـن تـبيَّنت للإنسـان أنّ النتيجة: هي الطرد والهبوط؟ **﴿قالا ربَّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين * قال أهبطوا بعضُكم لبعض عَدوٌّ ولكم في الأرض مُستقرٌ ومتاعٌ إلى حينٍ﴾** [١٤٢].

إذن؛ بدأ التاريخ بهذه الورقة «ورقة الهبوط» وفيها تسجيل عـمل بـني آدم، أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً، وفي مختلف العصور والمجتمعات **﴿ولكـم في الأرض**

مستقر إلى حين﴾[١٤٣] وهذا الحين هو حينهم، وهم يخضعون لعجلة الزمن وحـركته الدائبة «ولكلِّ أُمةٍ أجلٌ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون»[١٤٤].

فما هو سبيل الخلاص؟ انّه سبيل المتقين الصالحين، الذين يـتَّبعون في هـذه الحياة الدنيا نصائح المرسلين ولا يطيعون الشيطان الغوي الرجيم ﴿يا بني آدم إمَّـا يأتينَّكم رُسلٌ منكم يقصُّون عليكم آياتي فمن اتَّقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هـم فـيها خالدون﴾[١٤٥].

وأمّا الورقة الثانية فهي التي يختم البشر بها حياتهم في الدنيا ويتهيؤون للعودة إلى الجنة ثانية بعد طي مراحل الإيمان والطاعة والعمل الصالح ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلاّ وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لِنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربِّنا بالحق ونودوا أن تلكم الجـنة أورِثتموها بما كنتم تعملون﴾[١٤٦] لنيل «الدرجات» الرفيعة ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ والله بما تعملون خبيرٌ﴾[١٤٧].

هذه هي قصة البشر باختصار، والتاريخ هو بين هاتين الورقتين: ورقة الهبوط وورقة العروج، والانسان هو المخلوق الوحيد المخيَّر في أيها شاء:

«أمـامك فـانظر أي نهـجيك تـنهج طريقان شتى مستقيم وأعـوج»[١٤٨]

والقرآن الكريم هو الرسالة الخاتمة (***Final Revelation***)، وهو الورقة الأخيرة لخلاص البشرية وسعادتها وخلودها، وهو كتاب العروج.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة نعود إلى بحثنا اللغوي الدلالي المقارن.

فنحن نعلم أنّ كلمة «تاريخ» كما تذكر المعجمات والمصادر اللغوية في العربية ذات جذر ثلاثي: «ورخ» أو «أرخ». وهذا الجذر، في نظرنا ذو علاقة بكلمة ***write***، وسائر الأمثلة المتصدرة عنوان البحث صوتاً ودلالة، وما سيأتي في الجدول المقترح من كلمات أو في نطاق البحث، سيوضح ما نذهب إليه.

فأمّا كلمة التاريخ التي تبحث عادة في مادة «أرخ» فقد جـاء في شرحـها في

المختار ما يأتي: «التاريخ والتوريخ: تعريف الوقت. نقول: (أرخ) الكتاب بيوم كذا، وورخه بمعنى واحد»[149]

وفي المغرِّب: «التاريخ: تعريف الوقت. يقال: أرخت الكتاب وورختـه لغة وهو من الأرخ وهو ولد البقرة الوحشية. وقيل هو: قلب «التأخير» وقيل ليس بعربي محض.

وعن الصولي: تاريخ كل شيء: غايته ووقته الذى ينتهي إليه. ومنه قيل فلان تاريخ قومه أي إليه انتهى شرفهم»[150].

وبما أنّ التاريخ هو تدوين وتسجيل للحوادث والأشخاص، والأوقات والأزمان، وما يقع بين الدفتين وهاتين الورقتين: البداية والنهاية، فقد استعين «بالورق» للكتابة والتدوين.

والورق هنا له معنى واسع وذو جذور تاريخية عميقة ومتطورة، وعلى أية حال فكلمة «ورق» ذات علاقة أصواتية ودلالية بكلمة (ورخ) بالنظر للتبادل الأصواتي في بعض اللغات واللهجات ولاسيا في المتقاربة منها، وهذا ما يصطلح عليه في علم اللغة الحديث بـ(***Interchangeable phonemes***).

ولنتأمل في تعريف الورق في «المعرَّب»:

«الورق ـ بفتحتين ـ جمع ورقة، جلود رقاق يكتب فيها ومنها (ورق المصحف) وهو المراد في قوله لا يجوز بيع السَّلَم في (الورق) وهو مستعار من ورق الشجر. والورق ـ بكسر الراء ـ المضروب من الفضة، وكذا (الرقة) وجمعها (رقون) ومنه الحديث: وفي الرقة ربع العشر. وعرفجة ـ رضي الله عنه ـ اتخذ أنفاً من ورق. وجمل (أورق) ادم. وفي التهذيب، الأورق من كل شيء الذي يكون لونه لون الرماد»[151].

وقد يتوسع في المادة حتى يصطلح على الحمامة «بالورقاء» والتي هي صفة مشتقة من (ورق) ـ الجذر ـ نظراً لوقوفها على ذات الورق ـ الشجرة ـ أو إشارة إلى ذات الريش الذي هو بحد ذاته كالورق، أو انّها تورق في صوتها وتـؤْرق الشجي الحزين. كما قد يصطلح على النفس المورقة في الاصطلاحات الفلسفية والعرفانية بالورقاء أيضاً.

كما روي عن ابن سينا أبياته المعروفة في نشأة النفس وطبيعتها والتي منها:

«هبطت عليك من لمحل الأرفع ورقاء ذات تعزُّز وتمنّع»[١٥٢]

وإذا رجعنا إلى اللغة الفارسية نجد كلمة «برگ» تعادل «ورق» وهي متقابلة صوتاً ودلالة أيضاً، وبالملاحظة إلى ما أشرنا إليه سابقاً من التقابل الأصواتي بين مخارج الأصوات كالباء والواو الشفوية وكذلك قرب مخرج (القاف) من (الگاف) وتبادلها في بعض اللغات واللهجات، ومنها اللهجة العراقية والخليجية في قلب القاف «گافاً» في مثل «قال» «گال» وأمثالها كثير.

وهكذا تتجلى لنا كلمة «ورق» العربية بأنّها ذات صلة بكلمة «برگ» الفارسية، وبما أنّها محل للكتابة والخط، فهي ذات صلة بالتسجيل والتاريخ والتوريخ التي تقابلها **write** الانجليزية صوتاً ودلالة، ولاسيما حين نعلم انّ الحرف (**W**) تاريخياً كان ينطق وليس كالقراءة المعاصرة التي تشابه (**right**) بمعنى «ضبطاً» أو بالضبط، وهما ذاتا صلة وثق في نظرنا ويجمعهما جامع الدلالة والتلفظ. غير أنّ (**w**) و (**gh**) لا يلفظان بالانجليزية المعاصرة.

وتكفي للتدليل على تقابل هذه الأصوات والكلمات، نظرة سريعة إلى الجدول التقابلي المقترح في آخر كل مقالة من هذه السلسلة لتبيين هذه العلائق والوشائج الصوتية والدلالية.

وإنّ كلمة **write** ذات علاقة أصواتية ودلالية بكلمة **worth** التي تشكل معظم أصواتها الأساسية على رأي القائل «بثلاثية اللغات» جميعاً وليس العربية وحدها أو اللغات السامية، وهما يقابلان كلمة «ورخ» الثلاثية الأصل والتي هي جذر كلمة «تاريخ» بمعنى الضبط والتدوين والتقييم و «التقويم»[١٥٣].

وإنّ كلمة **worth** بمعنى القيمة في الانجليزية ذات علاقة واضحة بكلمة «ارث» العربية، وتشابهها صوتاً ودلالةً، ويطلق الارث والموروث عادة على الشيء النفيس والقيم، وإذا لم يكن قيماً مادياً فمعنوياً، كما أنّ كلمة «أرض» وتقابلها «أرص» بالعبرية، وكذلك هي قريبة منها في سائر اللغات السامية، تقابل كلمة **earth** الانجليزية صوتاً ودلالةً، وهي التي «ترث» البشر وما لديهم من مدنيات وحضارات، وهي التي يورثها

الله سبحانه وتعالى عباده الصالحين المتقين ﴿إنَّ الأرضَ لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمُتَّقين﴾[١٥٤] ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرضَ يرثها عبادي الصالحون﴾[١٥٥]

﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطَؤُوها﴾[١٥٦].

وإلى ما هناك من آيات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى هذا المعنى، غير أنّ الوارث الحقيق الذي يعود له ميراث السماوات والأرض هو الله رب العالمين:

﴿ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾[١٥٧].

وإنّ كلمة ***tradition*** بالانجليزية تقابل صوتاً ودلالة كلمة (تراث) التي هي من كلمة «ورث» وقد جاء في تفسيرها في «المغرِّب»:

«ورث أباه: مالاً يرث وراثة، هو وارث، والأب والمال كلاهما موروث. منه إنّا[١٥٨] معاشر الأنبياء لا نورث، وكسر الراء خطأ ـ رواية ـ وانتصاب معاشر على الاختصاص. وورثه: أشركه في الميراث. وأورثه: تركه ميراثاً له. والارث والتراث:الميراث ـ والهمزة والتاء بدل من الواو»[١٥٩].

وتأتي كلمة ***heritage*** مقابلة للتراث والميراث الحضاري وغيره، ومنها كلمة ***heirs*** للورثة، وكذلك هي العلاقة صوتاً ودلالة مع الكلمات: (***hierarch***) و(***hier - atic***) ولعل كلمة (***hieroglyph***) المصطلح المعروف للخط والكتابة التراثية المصرية مشتقة من نفس الجذر ***hieros*** الوارد في اللاتينية والاغريقية بمعنى «مقدس» و «موروث ديني». ونحن نذكر هنا تفسير كلمة (***hieroglyph***) لارتباطها المباشر بالبحث «الكتابة والتسجيل» أداة التأريخ وحفظ الحضارة والتراث البشري:

hieroglyph:n. Figure of an object standing for word or sound as used in ancient Egyptian & other writing; such (joc) illegible writing hieroglyphic a. (-ically) & h. (pl. EGH hieros sacred glupho carve.[١٦٠].

وقد قيل انّ صناعة الورق بدأت في الصين وانتهت بشكلها المتطور في الغرب، غير انّها قد تكون أقدم من ذلك بكثير نظراً لتناوب الحضارات وتناسخها، ولعدم الإحاطة ببدايات الكتابة والتاريخ.

وكلما نستطيع أن نلاحظه هنا ان «الكلمة» بالانجليزية تتشكل من الحروف الآتية (**word**) وانّ «الكتابة» تقابلها لفظة (**writing**) وكلاهما ذاتا علاقة لغوية بالجذر الذي نحن بصدد تصيده وهو القريب من «ورخ» العربية بكل تبادلاته وتقابلاته الأصواتية والدلالية. ولابد من ملاحظة علاقة **word** الكلمة بـ(**world**) «العالم» صوتاً ودلالة لأنّه في البدء كانت «الكلمة»، وكان الوجود والورود في العوالم التي ذكرتها «الكتب السماوية» عند التحدث عن «سفر التكوين» وخلق البشر. وإنّ هذا الوجود «الممكن» هو كلمة الله تعالى «واجب الوجود» وفيه جميع كلماته التامات، وتجليات أسمائه الحسنى، وآلائه العليا.

وكم هي قريبة كلمة **word** من **worth** صوتاً ودلالة. وفي الواقع إنّ البقاء الحقيقي والقيمة الحقة لا تكون إلّاللكلمة المقدسة، والكلمات الطيبة، كما أشار إلى أصالتها وخلودها القرآن الكريم.

﴿أَلَمْ تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيّبةً كشجرةٍ طيّبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السَّماء * تُؤْتي أُكلها كُلَّ حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون * ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّتْ من فوق الأرض مالها من قرار﴾ [١٦١].

فالكلمة الطيبة هي الميراث، وهي التراث، وهي «الارث» الدائم على «الأرض» بعكس الكلمة الخبيثة اجتثت من فوق «الأرض» مالها من قرار، فهي وإن بدت حاكمة وقائمة لفترة قصيرة من التأريخ لكنَّ عاقبتها الاجتثاث والفناء. وأمّا الخلود والبقاء فللكلمة الطيبة، وهي التي يجب أن تورث وتكون تراثاً صالحاً للبشرية وكم هي قريبة كلمة التراث **heritage** من كلمة التاريخ **history** وليس التاريخ **history** إلّا تسجيلاً لحركة البشرية وسير الانسان على هذه الأرض وعمرانها، وباختصار هي قصته: (**his - story**).

وهناك العشرات، بل المئات من الكلمات المترابطة صوتاً ودلالة في معجمنا المخطوط المقارن والذي لا يتسع حجم هذا الكتاب استيعابها، في هذا التسجيل السريع لبعضها (**registration**) والتي هي أيضاً ذات علاقة صوتية ودلالية بالجذر ـ كفاية للمعنيين والباحثين. وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن الاستشهاد بنمط آخر

منها مثل كلمة **folios** التي تعني «الأوراق» ومفردها **folio** اللاتينية الجذر والتي وردت في مختلف اللغات الأوربية المتشعبة عن اللاتينية، ومنها تتكون الكتب والمجلدات التي هي سجل التاريخ. وليس بعيداً عنها صوتاً ودلالة كلمة **volume** التي تعني بالانجليزية «المجلد» أو «المجلدة» وجمعها **volumes** وليست هذه المفردات الأخيرة من مثل **folio**، **volume** ببعيدة صوتاً ودلالةً عن كلمات مثل **follow** التي تدل على التتابع وترتيب الأشياء أو الأشخاص أو الأوراق أو المجلدات. كما أنّ كلمة (**fellow**) الصاحب الذي يتبع صاحبه ويأتي رديفاً له، وكذلك كلمة **philo** البادئة **prefix** في مثل كلمة **philo - sophy** أي صاحب الحكمة. وكذلك **philology** أي صاحب اللغة وناشدها. وهكذا كلمة **whelming** الولاية والسيطرة. ومثله كلمة **Loyalty**[١٦٢] الولاية والمتابعة و **holy** الكلمة المقدس المتبوع، وذات الدلالة على «الولي» ومنه **fealty** ذات الدلالة على الولاية والتتابع. وكلمة **Law** القانون المتَّبع. ومنه اشتقت كلمة **Legal** وتبادلها أصواتياً ودلالياً كما أنّ كلمة **Loyal** الله والولي، وصاحب الولاية المطلقة ليست ببعيدة العلاقة صوتاً ودلالةً عن كلمة **word** وهو سبحانه وتعالى صاحب الكلمة والكتب المقدسة، وصاحب السجل الأمين الذي يستنسخ ما يعمل البشر إلى يوم الدين و ﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[١٦٣].

خامساً: مصطلح الدّين

- □ دين: (**Divine: Deon: Religion**).
- □ ديانة: (**Divinity: Deontology: Religionism**).

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[١٦٤]

قصة الدين هي قصة الإنسان والإنسانية الرائدة، وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى أصفياءه وأنبياءه ورسله وأولياءه؛ ليكونوا الرادة والقادة في هذا السبيل.

﴿إنَّ اللهَ اصْطَفىٰ آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبراهيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلى العالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سميعٌ عليمٌ﴾[١٦٥].

فمنذ «آدم» وإلى «خاتم» والدين في مسيرة مشرقة صاعدة يـؤدي دوره في الحياة ويقود الحياة، إذ الحياة «الدنيا» من أجل الإنسان المخلوق «المختار» ليعمل بحرية هادفة، ويعبد الله بإرادة واعية؛ حتى يحصل على «الجزاء»» الأوفى «يوم الدين» وفي الحياة الأخرى ﴿وإنَّ الدارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾[166].

وتكاملت المسيرة عبر التأريخ الطويل على أيدي «الذريّة» المصطفاة، وما إن يخبو نور الشرع والدّين أو يكاد حتّى يبعث الله بنبيٍّ من أنبيائه و رسول من رسله، ليجدّد الشريعة والوصايا: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِن الدّينِ مَا وصَّىٰ بِهِ نُوحَاً والَّذي أوْحَينا إليكَ﴾[167] فمن آدم إلى نوح ومن نوح إلى إبراهيم تتجدّد «الملّة» وتتكرّر الدعوة إلى «الفطرة» و تتأكّد «الوصيّة».

﴿ووصَّى بِها إبراهيمُ بنيهِ ويَعقُوبُ يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لكُم الدِينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتم مُسْلِمُونَ﴾[168] ـ على دين الفطرة ـ

ويتعالى النداء جيلاً بعد جيل: ﴿إنَّ الدينَ عِنْدَ اللهِ الإسلامُ﴾[169] ولا سيّما حين تشتبك المِلَل وتشتكل الأُمور بسبب بعض الظالمين والمتجبرين المتسلطين على رقاب الشعوب، ويعود التحذير منهم: ﴿إنّي أخافُ أنْ يُبَدِّل دِيْنَكُمْ أوَأنْ يُظْهِرَ في الأرْضِ الفَسادَ﴾[170].

وإذا ما طاوع بعض الناس الظالمين وكانوا لهم «منظلمين» وساعدوهم على الارتداد والطُغيان: ﴿وَغَرَّهُمْ في دِيْنِهِمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾[171] جاءَ النداء مُدويّاً: ﴿يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ فَسَوفَ يَأتِي اللهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ﴾[172].

وقد يتفاقم الأمر حتى يختلط الحابل بالنابل وتتشابه المسائل ويلتبس الأمر ويتّخذ البعض من الدِين لَعِباً ولَهواً، فيأتي التصحيح: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِيْنَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَغَرَّتْهُم الحَياةُ الدُّنيا﴾[173].

وإذا ما كانوا شيعاً وفرّقوا دينهم، جاء الخطاب مصرّحاً: ﴿إنَّ الَّذينَ فَـرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعَاً لَسْتَ مِنْهُمْ في شَيءٍ﴾[174]، وحين يُصِرُّ المعاندون على عِنادهم، ويتوهّمون أنّهم على «دين» !! فقل لهم: ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾[175].

وحين يشك البعض في دينك فلابُدَّ من إظهار البَيِّنة: ﴿قُلْ يَا أيُّها النَّاسُ إنْ

كُنْتُمْ في شَكٍ مِنْ دِيْنِي فَلا أَعْبُدُ الذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[١٧٦].
والحقيقة أنّه: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدّينِ قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[١٧٧] وأنَّ الدّين القيِّم واضح: ﴿ذلكَ الدّينُ القيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيْهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[١٧٨] وأن الله تباركَ وتعالى قد تعهَّد بأن يُظهره على الدّينِ كلّه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّيْنِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾[١٧٩]، وكذلك كانت النتيجة: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِيْ دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾[١٨٠]، وبذلك تَمَّتْ النعمة وعُرفت الولاية الحقَّة: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيْنَاً﴾[١٨١].

هذه قصة الدِّين مختصرة عبر مسيرته التاريخية، وعلى لسان القُرآن الكريم، الكتاب الذي فيه تبيان لكلِّ شيء وفيه خبر ما كان وما هو كائن وما يكون، ولابُدَّ من فهم الدين والتفقّه فيه من أجل الإنذار والتبشير ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائفةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجعُوْا إِلَيْهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ﴾[١٨٢] والعاقبة للمتَّقين،والاستخلاف فيالأرض للمؤمنينالّذين يعملون الصالحات:﴿وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمْ الَّذي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[١٨٣].
فالمتتبع لكلمة «دين» ومشتقاتها في القرآن الكريم بدلالاتها المتعددة يجدها في المعنى الجامع لها وهو «الجزاء» الَّذي يترتَّب على العمل، والالتزام الاختياريّ، بسلوك معيَّن، والارتباط بالطاعة والعبوديّة.

كما ورد في كتب اللغة مركَّزاً على هذا المعنى، ومنها ما ورد في «المختار»: «الدِين أيضاً الجزاء والمكافاة يقل: (دانَهُ) يَدِيْنُهُ (دِيْنَاً) أي: جازاه. يُقال: (كما تَدِيْنُ تُدَانُ) أي: كما تُجازي تُجازى بفعلك وبِحَسَب ما عَمِلْتَ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَدِيْنُونَ﴾ أي: لمجزيُّونَ محاسبون ومنه (الدَّيَّان) في صفة الله تعالى»[١٨٤].

وإذا دلّت كلمة «الدين» على الطاعة والعبودية لله فمن باب الجزاء والاستحقاق الذي يقضي بعبودية المخلوق للخالق والعبد للربّ، وأنَّ هذه العبودية: كمال الحريّة، كما ورد في الأثر، وكما يُثبته الواقع الإنساني المعاش، إذ بعبوديّته لله يتحرّر من كل العبوديّات الماديّة الزائفة الزائلة، وبعكس ذلك سيكون عبداً لواحد

منها وياله من خُسران عظيم !! ومنه قيل: «الدِّين: الطاعة: تقول: (دان) له بدين (دِيناً) أي أطاعه» [185].

وإذا دلّت كلمة «الدين» على «المِلكيَّة» فهي من باب الجزَاء أيضاً، فالعبد مملوك لله تعالى والله مالكه الحقيقيّ، وإذا لم يخضع ويعترف بهذه المِلكيَّة فستملكه سائر الأشياء أو الأشخاص الّتي هي في حقيقتها مملوكة أيضاً ويا لها من خَسارة كبرى !! ومنه قيل: «دَانَهُ مَلكَهُ، وقيل منه سُمّي المِصرُ مدينةً» [186].

وإذا دَلَّت كلمة «الدّين» على الدَّيْدَن والعادة والاتِّباع فهي أيضاً من ذلك الباب، إذ أنَّه من شأن العبد عادةً واستحقاقاً أن يتَّبع أوامر سيِّده، وأنَّ في هذا الانقياد والذّل عزٌّ وفخرٌ، ومنه ما ورد في مناجاة الإمام عليّ(ع) من كلماته القِصار اللاتي فَقَأْنَ عين البلاغة والأدب ـ كما قيل عنها ـ:

«إلٰهي كَفَىٰ بِيَ عِزّاً أنْ أكُونَ لَكَ عَبْداً،
وكَفَىٰ بِيَ فَخْراً أنْ تَكُونَ لِيَ رَبّاً،
أَنتَ كَمَا أُحِبُّ،
فَاجْعَلْنِي كَمَا تُحِبُّ» [187].

وإذا دلَّت كلمة «الدّين» على معنى الدّين الاصطلاحي وهو الاتّباع والطاعة لأوامر المولى سبحانه وتعالى فمن هذا الباب أيضاً، ومنه قيل: /دَانَ لَهُ يَدِيْنُ دِيناً أي أطاعه ومنه «الدّين» والجمع «الأديان» ويقال دَانَ بكذا «دِيانَةً» فهو ديِّنٌ، وتَدَيَّنَ به فهو مُتَدَيِّنٌ، ودَيَّنهُ تَدَيُّناً، وكَلَهُ إلى دِينِهِ/ [188].

وحتَّى أنَّ كلمة «الدَّيْن» ـ بفتح الدال ـ واحد «الدُّيون» ذات علاقة بالمعنى العامِّ وهو الجزاءُ، إذْ جزاء من استدان أنْ يوفِّيَ دَيْنَه. ومنه قيل: «دَانَهُ أَقْرَضَه فهو مَدِيْنٍ وَمَديون، ودَانَ هو أي استقرضَ فهو دَائنٌ، أي عليه دَينٌ وبابهما بَاعَ، قلت: فصارَ دانَ مشتركاً بين الإقراض والاستقراض وكذا الدائن» [189].

فإذا كانت كلُّ هذه الدلالات والاشتقاقات ذات علاقة بالجزاء والمكافأة وأنَّه لابُدَّ من يوم للجزاء والحساب والدِّين الذي يملكه «مالك يوم الدّين» [190]، فلابُدَّ للإنسان العاقل الكيِّس أن يدين نفسه ويعمل لذلك اليوم، إذ ورد في الحديث:

«الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ» [١٩١].

والدارس لتاريخ الأديان والعقائد منذ أن عرفت البشريَّة تاريخها وجذورها يلاحظ أنَّ الإنسان لم يكن يوماً ما بلا دين، ولم يعش زمناً بلا عُبوديَّة، غير أنَّه قد تنحرف به الجادَّة وتضلَّ به السُّبُل [١٩٢]، فيعبد رباً غير الله، ويتَّخذ إلٰهه هواهُ [١٩٣].

والعجيب أنَّ كلمة «دِيْن» هذه وردت في مختلف اللغات والثقافات وبمختلف الدلالات والاشتقاقات، وذلك ممّا يؤيد خلودها وحياتها في أفكار الأُمم والحضارات، ويمكن اعتبارها من «الألفاظ الخالدة» حسب مصطلحات علم اللغة الحديث، وأنَّ منهجنا المتَّبع: في تطبيق النظرية الكونيّة العالميّة ***Universality*** حُدوثاً وإحداثاً، ثُبوتاً وإثباتاً، أصلاً ونتيجة.

وعلى أيَّة حال فكلمة ***Dan*** ذات العلاقة الصوتيَّة والدلالية بكلمة دين ومشتقاتها ـ من المفردات «الكتابيَّة» تعني قاضي: ***judge*** وبها سُمِّي الابن الخامس ليعقوب ـ عليه السلام ـ كما سُمِّي بها موضع في الجزيرة العربيَّة [١٩٤].

وكلمة (***Daniel***) تعني قضاء الله وجزاءه [١٩٥] ***judgment of God*** وبها سُمِّي أحد الأنبياء وهو الذي حُمل أَسيراً إلى مدينة بابل في سنة ٦٠٤ قبل الميلاد [١٩٦]، وبها سُمِّي الابن الثاني لداود [٢٩٧] ـ عليه السلام ـ وكتاب دانيل ***Daniel*** معروف:

Daniel, Book of First six chapters, historic chapters Vii - Xii, Contain the earliest model of a pocalyptic literature.

وكلمة ***Dannah*** تدلّ على القضاء والجزاء ***judging*** كما صرّح بها المعجم الكتابيّ لوبستر وهي قريبة صوتاً ودلالة من كلمة دانَ العربية، حتَّى أنَّ كلمة «دوَّن تدويناً» ***writing down*** تفيد معنى التسجيل والحفظ لوقت الحساب والجزاء: **﴿مَا لِهٰذا الكتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيْرَةً إلاّ أحْصاها﴾** [١٩٨] والعجيب أنَّ كلمة ***down*** في اصطلاح ***writing down*** تفيد الدلالة على «دُونَ» والمحل الداني، ومنها الاصطلاح الآخر في الإنجليزية: ***to note down*** وهي متساوقة صوتاً ودلالة، ولعلَّ من دلالات كلمة «دُنيا» أنَّها تدل على «الدُّون» والعالم «الداني» و «الدَّنِيّ» أوّلاً، وهي ثانياً الزمان والفترة المتقدمة التي يتمّ فيه العمل و «تسجيله»، وأنَّ «يوم الدين» الزمان والفترة التي يتم بها

الحساب و «الجزاء»، فقد ورد عن الإمام علي (ع): «اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل» [199]، وقد سُمّي «الدّيوان» دِيواناً لأنّه محلٌّ للتسجيل والتدوين والحساب، وقيل إنَّه معرَّب عن الفارسية [200] وأنَّ الشخص العاقل الذي يحسب للأُمور حسابها يُسمَّى بالفارسية «دَانا» وهو الذي يُفكّر بعواقب الأمور والجزاء وله القدرة على الحُكم والقَضاء.

والطريف أنَّ الكلمات التي تدل على التسجيل والتدوين والدرس والكتابة ومحلّها وصاحبه في كثير من اللغات واللهجات ذات دلالات متشابهة ومتقاربة وهي تحتفظ غالباً بصوت «الدال» كصوت مشترك فيها.

فكلمة «دفتر» معرّبة عن الفارسية ذات دلالة على محلّ التسجيل، ومثلها «الدّيوان» [201] المشار إليها سابقاً، وكلمة «دبير» و «دبستان» و «دبيرستان» الفارسية ذات دلالة على الكاتب والمكتب، ومنه قيل للمدرّس والمدرسة بالفارسية بهذه المصطلحات، وكلمة «أُستاد» الفارسية عربّت إلى «الاستاذ» ـ بالذال المعجمة ـ ولها علاقة بمادة ***Study*** و ***Studious*** و ***Studio*** و ***Stadium*** الانجليزية واللاتينية الأصل ولهذا قيل للمتعلم وطالب العلم والكتابة ***Student***. وتلاحظ كلمة «درس» في العربية نفسها وسائر اشتقاقاتها فهي متشابهة أصواتاً ودلالة من حيث الدلالة الفونماتيكية ***Phonematic*** لا الدّلالة الفونوتكتيكيّة ***Phonotactic*** ولعلَّ كلمة «دست» و «دستور» الفارسية بمعنى اليد والوزير الكاتب والمعرَّبة إلى «الدُّستور» ـ بضم الواو ـ تدلّ على هذه العلاقة وهي كتابة القوانين والأنظمة للدولة. وكذلك كلمة «اليد» التي تحمل نفس الدلالة وتحمل صوت الدال وهي أمارة على الملكية كما يقول الفقهاء، ولها علاقة «بالأداء» و «التَّأدية» وكذلك هي كلمة ***hand*** بالإنجليزية القريبة الدلالة من كلمة ***aid*** الدالة على المساعدة والعطاء، وهي قريبة جداً من «إيْد» الكلمة العاميّة العراقية لليد، وهي ذات علاقة بـ «أَيْد» الفُصْحَى الدالّة على «القُوَّة» و «القُدرة» وقد وردت في القرآن الكريم: ﴿والسَّماءَ بَنَيْناهَا بِأيْدٍ وَإنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [202]، ومثلها كلمة ***egide*** الفرنسيّة الدالة على القدرة والقوّة ونظيرتها ***guide*** المشابهة للقائد صوتاً ودلالة وهي مستعملة بالفرنسية والانجليزية بنفس التهجي غير أنَّها مختلفة في النطق قليلاً، وتدلّ على «اليد»

التي تَقُود وتُشير إلى الطريق، ولعلّ أصل **Guide** مأخوذ عن القائد العربيّة عندما انتقلت حضارتنا ومصطلحاتنا إلى هنالك[٢٠٣].

والأعجب من كلّ ذلك أنَّ الكلمات التيّ تدلّ على «العدل» و «الدين» و «الجزاء العادل» تحمل صوت «الدَّال» في مختلف اللغات عموماً، فكلمتا الدين والعدل نفسها تحملان صوت الدال كصوت أساس من أصول الكلمة، وكلمة «داد» بالفارسية مشتقة منها تدلّ على القاضي والحاكم وهي قريبة من كلمة **judge** صوتاً ودلالةً، وكلمة **Devout** الانجليزية تدلّ على الشخص المتديّن و **Dovotion** تدلّ على القدس والتقدّس، والذي يلفت النظر ويفسر كثيراً من الالتباسات المعنوية الحاصلة بسبب العلاقات اللغوية وتبادلاتها. أنَّ كلمة «قدس» تعادل كلمة **Gods** صوتاً ودلالة، وقد توهّم ـ فيما نرى ـ البعض وظنّوا أنّ الحرف (**S**) الذي هو من أصل الكلمة علامة للجمع، كما هو الغالب في الجمع باللغة الانجليزية، ومن هنا تحوّل «التوحيد»: الإله الواحد **God** إلى الآلهة **Gods** في حين احتفظت الفارسية بمعادلها صوتاً ودلالة «خُدا».

وحين تتقلب الكلمة عبر اللغات واللهجات والأمصار والأعصار تتطوّر تطورات غريبة حتّى تكاد تفقد العلاقة الصوتية والدلالية بالأصل وتخفى إلّا على بعض الدارسين والمختصين، فنلاحظ معادل كلمة «قدس» الذات المقدسة، أو **God** في اللاتينية **Deus** وفي الاسبانية **Dios** وفي الفرنسية **Dieu** وفي اليونانية **Zeus** بابدال بين الدال والزاي والتي هي قريبة الدلالة من (**JuPiter**) «أب الآلهة»: المشتري لنفس الالتباس المشار إليه ـ فكلمة (**Ju** تعادل **Zeus**) و (**Piter**) تعادل «پدر» . ولعلّ هذه الترجمة هي التي أوقعت المسيحية في شراك «الأبوّة والبنوّة» و «رُوح القدس» وأطّرت فكرة التثليث فيها وهي من باب التأثّر بالدين اليوناني وأساطيره، كما أنَّ كلمة **Deon** اليونانية التي منها **Deontology** تعني الدلالة على الدين والديانة صوتاً ودلالة ومنها كلمة **Duty** و **Due** الواجب المقدس. ولعلّ كلمة **Theology** الدالة على الدراسات الدينية ذات علاقة صوتية ودلالية بها، وهنا يمكن ربطها بـ(**Divinity**) على بعدها للوهلة الأولى غير أنَّ وجود كلمة **Deontology** تشكّل الجسر بين الصفتين.

إنَّ تسمية الدراسات الدينيّة: **Divinity** مشتقٌ من الجذر **Divine** وأنَّ كلمة

Divine من أصل لاتينيّ يونانيّ وقد وردت في الانجليزية والفرنسيّة وسائر اللغات المتفرّعة عن اللاتينية وباشتقاقات شتّى:

(***Divine (divin) [O.F. devin, L. divinus, Cognate with devs, god]***).

وقريباً منها ديفا: ديوا ***Diva*** الإله عند الهنود. وأنّها جميعاً ذات علاقة صوتية ودلالية بكلمة «ديّان» و «دين» العربية وهو الله تعالى هو الديّان ومالك يوم الدين، والدين حكمه وقضاؤه وجزاؤه.

وكذلك هي كلمة ***Deity*** الانجليزية التي تعني الله أو الشيء المقدّس، وقد استعملت كلمة ***Divine*** مركبة بمعان مرتبطة ومنها ***Divine right*** حقّ الله، والحقّ المقدّس و ***Divine Service*** للخدمات الدينيّة، وقد جاء في شرحها:

(***Divine Service: h. The worship of God according to the established forms***).[٢٠٤]

وهي تشير إلى عبادة الله ضمن طقوس دينية وتعاليم تعبديّة خاصّة، والصفة منها ***Divinely*** إضافة إلى دلالتها على معنى الظرف، والاسم منها ***Divineness*** والفعل منها ***Divinfy*** و ***to make Divine*** تعادل ***to drify*** وقد استعملت كلمة ***Divine*** دالّة على الغيب والمغيّبات ومنها ***Diviner*** المطّلع على الغيب والمتنبئ بالمستقبل، وقد جاء في معنى: ***Divination*** ما يأتي:

(***The act of predicting or foretelling events, or of discovering hidden or secret things by real or by Alleged supernatural means***).[٢٠٥]

ولعلّ لكلمة ***Dawn*** الانجليزية بمعنى الفجر علاقة بطلوع النور وسقوط الظلام بمعنيها المادي والمعنوي. إنَّ عالم الكلمات والدلالات عالم غريب وعجيب. فقد تستعمل كلمة بدلالة عامّة ثم تتطوّر شيئاً فشيئاً إلى دلالة خاصّة سلباً أو إيجاباً، ومنها كلمة ***Divine*** بسائر اشتقاقاتها وهي التي تدلّ على الدين والروح والروحانية والشيء المقدّس عموماً، ولكنّها ارتبطت أصواتياً بدلالة أُخرى تدلّ على معنى سلبيّ حين تطوّرت بعض أصواتها وتبدّلت، فنحن نجد كلمة ***Devil*** الانجليزية ذات جذور انجلوساكسونيّة ولاتينيّة ويونانية، وهي تدلّ على «الروح» أيضاً ولكنها «الروح الشريرة» والملَك الذي سقط من مقامه الرفيع، وبوجه التحديد على «إبليس» كما

تشير بعض مفردات النّص الآتي صوتاً ودلالة:

Devil [A.S. deofol, L. diabolus, Gr. diabolos. from diaballen, to slander (dia: through, ballen: to throw)] n. Satan, the chief of the fallen angels, the spirit of evil, the tempter, any evil spirit, and idol or false god) [٢٠٦].

فالملاحظ في هذا النصّ هو دلالتها على الروح الشريرة، والمَلَك المطرود الذي أسقط من حساب الملائكة المقدّسين بعد أن كان منهم نتيجة لعصيانه، كما صرّح بدلالتها على الشيطان ***Satan*** المتطابقة صوتاً ودلالة، ومنها قيل في الانجليزية للذي يسقط في الشهوات ويهدم كيانه وفطرته: (***to go to devil: to go to rain***) وكذلك دلالة «ديو» التي وردت في التركية [٢٠٧] والفارسية ومن مترادفاتها «أهرَمَنْ».

كما استعملت ***devil*** في الإنجليزية على «الشخص الشرير» الذي يستعمل مواهبه وذكاءه في السلب لا في الايجاب وفي الهدم لا في البناء وفي الضلال لا في الهدى:

Devil: Cruel, or annoying person; person of mischievous energy or cleverness) [٢٠٨].

وكذلك يمكن أن يَكون معنى كلمة [٢٠٩] (***Dinn***): (***Jinn***) وهي تعادل كلمة «جِنّ» العربية الدالّة أصلاً على المستورات والمغيّبات وهي قريبة من كلمة ***Divine*** صوتاً ودلالة في انسحابها على الغيب والمغيبات، غير أنَّ كلمة «جِنّ» يغلب عليها جانب السلب وكلمة ***Divine*** يغلب عليها جانب الإيجاب، وكذلك القول في كلمة «الدين» وهي بالأصل «الجزاء» ـ كما مرَّ ـ لكنَّها استعملت في الغالب في الدلالة على «الجزاء العادل» وعلى «العدالة المطلقة» والشريعة السماوية الحقّة، «ذلك الدّين القيّم» [٢١٠] وإن استطاع في فترة من الفترات المظلمة في التاريخ بعض الأذكياء الشريرين وبعض المتلبّسين بلباس الدين أن يحرّفوه عن مواضعه، فذلك بسبب من أرواحهم الشّريرة، ونفوسهم المريضة؛ إلاّ أنَّه أصلاً وطبيعة يتمشّى مع الفطرة السليمة، و «الدينونة» الحقّة لله تعالى وفق قانون «الفِطرة» العادلة ***Virtue*** ـ المتساوقة صوتاً ودلالة ـ ﴿فِطرَة اللهِ التي فَطَرَ النّاسَ عليها﴾ [٢١١] وعلى هذا جاء في الأثر ما مضمونه: «كل مولود يولد على الفِطرة إلاّ أنّ أبواه ـ أبويه ـ يهودانه أو ينصرانه أو

يمجسانه». و ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإسلامُ﴾ [٢١٢] ﴿ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِيْنَاً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسرِيْنَ﴾ [٢١٣] وإذا كانت كلمة «مدنيَّة» **Modern** و **Modernization** ـ المتساوقة لفظاً ودلالة ـ يجب أن تحمل هذه الحقيقة، وأن تكون المدنيّة الرفيعة الشاملة هي مدنيَّة الإسلام الذي جاء رحمة للعالمين وإلى الناس كافّة، وليحقّق «المدينة الفاضلة» حلُم الفلاسفة والعلماء الصلحاء. وقد تحقّق ذلك في أوّل عهده الزاخر وهو اليوم يعود كما بدأ في إطلالته الحضارية الزاهرة في إيران الإسلام ليعيد للمدنيّة الحديثة «الساقطة» مكانتها «الرفيعة» السامية، ويرفع الكابوس الظالم عن «الإنسانيّة المعذّبة» ويمكِّن للمستضعفين «دينهم» الحقّ، ويجعلهم «أئمة» وقادة يهدون إلى الصراط القويم.

ولابدّ لنا في خاتمة البحث ونهاية المطاف أن نعرّج على كلمة (**Religion**) التي تكلّمنا عنها في موضوع «ولاية الفقيه» سابقاً، وخلصنا إلى أنَّ الكلمة تعني أصلاً الارتباط والالتزام، أو بالأحرى «إعادة الارتباط» وهي حقيقة «الولاية» لفظاً واصطلاحاً، وليس «الدين» ـ كما مرَّ في اشتقاق مفرداته ودلالاته إلاّ هذا الارتباط، والملازمة بين «الفعل والجزاء»، كما أنَّ يوم الدين: هو يوم الجزاء والقضاء وفق عمل الإنسان وعقيدته، إذ «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومَنْ يعمل مثقال ذرة شرّاً يره» [٢١٤] وهذا هو المنطق السليم والجزاء العادل والميزان القسط، ونحن نريد أن نشير إلى علاقة الكلمة (**religion**) بكلمة «دين» صوتاً ودلالة أيضاً على الرغم من التباين الظاهري.

الذي يبدو لنا من كلمة (**religion**) أنَّ الجذر الأساس هو (**ligion**) إذ البادئة (**Prefix**) (**re**) تعني في الانجليزية الإعادة وهي مثل (**re-join**) صوتاً ودلالة، وكلمة **ligion** ذات علاقة جذرية بكلمة **Legiance** صوتاً ودلالة، ومنها قيل (**allegiance**) الدالة على الولاء والارتباط والولاية للشيء مطلقاً، وأنّ الجذر الأساس فيها هو كلمة **Leg** الساق: الرابطة بين الجذر والثمرة، ومنها **Legal** الشيء المشروع أوالشرعي وهي تحمل هذه المعاني بجميع اشتقاقاتها وقد تتطوّر بعض أصواتها ودلالاتها ـ والتطوّر سنّة الحياة في اللغات وغيرها ـ. وأنَّ صوت الجيم: «**G**» و«**j**» يبادل «**d**» في بعض اللغات

واللهجات كما هوالحال في كلمة «**Soldier**» التي تنطق «سـولجر» **/Solger/** وبـذلك نعرف العلاقة بين (**religion**) و(**Divine**) ودين، التي حصل فيها التبادل الأصواتي بين الجيم والدال، حسب قواعد التبادل الفونيمي **Interchangeable Phoneme** وخير دليل على ذلك ما مرَّ من الكلمات مثل: «**jin**» و «**djin**» و «جنّ».

ومـن الكـلمات القـريبة إليهـا صـوتاً ودلالةً كـلمة (**alligare**) إذ جـاء في شرحها: [٢١٥] (**L. alligare (ad. to ligare, to bind**) وهي تدل بوضوح على الارتباط، والصّلات و «الصّلاة».

وإنَّ التبادل الأصواتي بين الراء واللام والنون من حروف الذلاقة في العربية وما يعادلها في مختلف اللغات ظاهرة أصواتية مدروسة، وكمثال على ذلك كلمة **allign** و **align** ومنها الاشتقاق **aligned** وجميعها تدلّ على التعهد والارتباط والولاء والولاية، كما بحثنا ذلك في مبحث ولاية الفقيه. وقد رأينا كيف تحذف الجيم أوتخفّف أوتبدّل في أغلب تلك المفردات وتبقى العلاقة بينها محفوظة وقويّة.

وهكذا نخلص إلى أنَّ معاني كـلمة «الديـن» مشـتركة في مخـتلف اللـغات والثقافات، والأمصار والأعصار، وأنّ العلاقة بينها مـتينة صـوتاً ودلالة، وهـي في حقيقتها الارتباط بالله تعالى ونيل الجزاء العادل منه وفق مدى الاستنان والاتّـباع للشرائع السماويّة المتتابعة المتكاملة الداعية جميعاً إلى الحقّ والعدل والسلام.

سادساً: مصطلح القرآن

□ قرآن: (**Qur an: Koran: Qeran:**)

﴿ولقد صرَّفنا للنّاس في هذا القرآن من كلِّ مثل﴾ [٢١٦].
﴿ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للنّاس من كلِّ مثل﴾ [٢١٧].
﴿ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلِّ مثل﴾ [٢١٨].

إنَّ الآيات الثلاث المتقدّمة على ما فيها من تغييرات جزئيّة بنيويّة **Structural** تتصف بأسلوب «التوكيد والتخصيص» في الكلام على الموضوع المسوق له الكلام، وقد جاءت هذه التغييرات البنيوية «لأغراض بلاغيّة» حسب السياق القرآني، الذي يمكن التعمق فيه بمراجعة كتب التفسير والبلاغة واللغة، وإنَّ هذه الآيات جميعاً تبدأ بلام التوكيد و «قد» التي تفيد التحقيق، أو بكلمة «لقد» التي تفيد التوكيد والتحقيق على رأي من قال بعدم تجزئتها، وكذلك جاءت جميعاً بسياق الفعل «الماضي» الذي يدلّ على تنجُّز الشيء وتحققه أيضاً، كما وردت لفظة «النّاس» مدخولة للام الجرّ التي تفيد أكثر من دلالة على «الاختصاص» وأهمية «الناس» و «كونهم المخاطبين من قبل الرسالة»: القرآن الكريم الذي «صرف فيه» و «ضرب فيه» من «كلِّ مثل». وإنَّ دلالة «صرف» هي: «الفضلة» والزيادة في البيان والتبيين، كما يقال «بين الدّرهمين صرف: أي فضلة لجودة فضّة أحدهما» [٢١٩] وإنّ دلالة «ضرب» هي «الوصف والبيان» [٢٢٠] كما أنَّ دلالة «المثل» هي «الصفة»» و «مثل الشيء ـ بفتحتين ـ صفته» [٢٢١].

وأمّا دلالة «القرآن» اللغوية فهي الجمع والضمّ، والنظم القانونية والشمول والوضوح في الأمر ـ كما سنتبين من خلال البحث الدلالي المقارن لمختلف الاشتقاقات وفي مختلف اللغات ـ وخلاصتها أنّه جامع لأُصول الحقائق وشامل لجواهر الأُمور، ومضرب لأمات الأمثال، وأُمهاتها. والأهم من كلّ ذلك أنّه «رسالة عالمية جامعة» للناس: لكلِّ النّاس: **﴿وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين﴾** [٢٢٢] و **﴿ما أرسلناك إلاّ كافّة للناس﴾** [٢٢٣] نوراً، وهدى، وبلاغاً.

وإذا كان «الكون» كتاب الله الأكبر المفتوح للحياة وبالحياة وكما يقال «كتاب التكوين» «فالقرآن» الكريم كتاب الله الأعظم للحياة وبالحياة وهو كتاب التشريع، وهو «الجامع المانع» الأكمل على حدِّ تعبير المناطقة وهو «القرآن: الفرقان» على حدِّ

تعبير القرآن نفسه.

والعلاقة بين «الكون» و «القرآن» صوتية ودلاليّة حسب ما سنوضّحه من دراسات اشتقاقية ولغوية، كما أنّ علاقة «قانون» الشيء بالكون والنظام واضحة إذ الفساد ضدُّ الكون وضدُّ القانون. وليست علاقة «قانون» و «كانون» و «كيان» بمختلف اللغات ببعيدة عن الجذر المشترك إذ ورد **Canon** بمعنى قانون الشيء «كينونيته» بالإنجليزية وباللغات المنحدرة عن اللاتينية. وإنّ كلمة «كيان» هو الطبع والطبيعة بالسريانية و «الكيان هو الطبعُ بالسريانيّة وبه سُمِّي كتاب سَمع الكيان وهو بالسريانية شمعا كيانا»[٢٢٤]. فالشيء إذا جاء على الطبع والطبيعة والوجود الفطري والكوني جاء على القانون والقاعدة، وبخلافه يكون الفساد والدمار وليس لذلك المجتمع أو الإنسان من «كيان» إذا لم يحكمه القانون أو النظام، والقانون الفطريّ الذي ينظم حياة البشريّة جمعاء وهو «القرآن»، الجامع لأصول الدساتير الإلهية والأديان.

والعلاقة كما ذكرنا بين الكتابين: «التكويني والتشريعي» طبيعية وواضحة، فكلاهما رحبٌ وفيّاض وغير مُتناهٍ، وكلاهما صادر عن خالق الوجود وصانعه، ومبدأ الفيض والكمال المطلق، وليس في حقيقة كلّ منهما نقص أو خلل، أو فساد أو بطلان، وقد صرح الله تعالى في القرآن الكريم عنه: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[٢٢٥].

والبحث في دلائل القرآن العظيم ودلالاته العميقة الدقيقة، كالبحث في أسرار هذا الكون الرحيب العجيب: ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾[٢٢٦] أولئك الذين اصطفاهم الله وعلَّمهم ما لم يكونوا يعلمون، وفتح لهم خزائن علمه وأسرار معرفته، والذين اتّقوا الله حقَّ تقاته وائتمروا بالتقوى فعلَّمهم من لدنه علماً: ﴿واتَّقوا الله ويُعَلِّمُكمُ الله والله بكلِّ شَيءٍ عليم﴾[٢٢٧] والذين هم أبواب «لمدينة العلم» الإلهيّة الفاضلة، حيث استجابوا للرسول حين دعاهم لما يُحييهم[٢٢٨]: ﴿وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾[٢٢٩] وراح يفسره لهم ويطبقه عليهم «قولاً» و «عملاً» و «تقريراً» فكانت سنته (ص) ـ شارحةً للقرآن، وكان أهل بيته ـ عليهم السلام ـ القرآن الناطق الذي يترجم ما بين الدفتين، فقد قال الإمام علي (ع) في أمر

التحكيم: «إنّا لم نُحكِّم الرجالَ وإنّما حكَّمنا القرآن». وهذا القرآن إنّما هو خطٌّ مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولابُدَّ له تُرْجُمان»[٢٣٠].

كتبت فيه الترجمات والتفاسير الغزيرة، وأُلفت في علومه الكتب والمصنفات الكثيرة، وما يزال غضّاً طرياً أعلاه مورق، وأسفله معرق، وفيه حلاوة، وعليه طلاوة ـ كما وصفه خصومه وأعداؤه ـ بادئ ذي بدء ـ «والفضلُ ما شَهِدتْ بـه الأعـداءُ» وأرضه بكرٌ صالحةٌ للحرث والزرع والثمر واليَنْعِ، وهو كما عبَّر عنه الإمام علي (ع) تارة «بالنهر الجاري» وأخرى «بالنور» الذي لا يخبو توقده ولا تنطفئ مصابيحه، وكما قال عنه في بعثة الرسول (ص):«ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي، والمنهاج البادي»[٢٣١].

وخلاصة القول فيه ما ورد عنه (ع) أيضاً: «ألا انَّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»[٢٣٢] فهو كما تدلّ عليه مادته اللغوية «جامع» لأخبار الماضين والآتين عبرة، وفيه صلاح الدنيا والدين رحمةً، وهو هادٍ إلى أقوم السبل محجّةً: ﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[٢٣٣] وقد جمع بين أصول الشرائع السماوية السابقة كما أكمل الدين وأتم النعمة اللاحقة، وهو ـ كما جاء في وصف الرسول (ص) ـ الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كلّه.

فبالنسبة لكونه جامعاً لأصول الشرائع السابقة، نلاحظ قوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾**[٢٣٤] و **﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض والله سميعٌ عليم﴾**[٢٣٥]. وبالنسبة لكونه نظاماً كاملاً ونعمة تامةً، نلاحظ قوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[٢٣٦].

والطريف في الموضوع أنّ مادة «القرآن» اللغوية واشتقاقاتها في العربية وفي مختلف اللغات تساوق دلالاتها المعنوية والاصطلاحية، وأنّ كلمة «قَرَأ» التي منها «القُرآن»: تدلُّ على الجمع والنظم والضم، وإنَّ أظهر دلالات كلمة «القرآن» مدلولها على «القراءة» وهي في معناها المعجمي: الجمع والضمّ، وفي هذا المعنى جاء تفسير الآية الكريمة: ﴿إنَّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتَّبع قرآنه﴾[٢٣٧]. أي: قِراءته،

ويكفي البشرية فخراً أن تكون أوّل سورة من كتابها الذي أمرت باتباعه واتباع الرسول الذي أُنزل عليه ، سورة «اقرأ» أو سورة «العلق» التي تبدأ بكلمة «اقرأ» والسورة الثانية هي سورة «ن والقلم»[٢٣٨] والقراءة والكتابة هما سبيلا المعرفة المنظمة، والآيات الأوائل هي :﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم ، اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من عَلق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم﴾[٢٣٩] وقد تناولت هذه الآيات الكريمة أمر «القراءة» باسم الربّ الخالق ، ولما كان المخلوق الأكمل في هذا «الكون» الرحيب والموجود الأشرف ، في هذا الوجود العجيب ، هو الإنسان ،فكان ذكره هنا لتبيان أصدق مصاديق الخلقة وأشرفها ، كما أنّ ذكر «العِلم» يدل على شرفه وكرمه ، وأن تكرار كلمة «اقرأ» يدل على أهمية القراءة وعظمتها ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم﴾ فمن كرمه ونعمه تعليم الإنسان «بالقلم» وهو من أعظم النعم و﴿ان تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها﴾[٢٤٠].

والمتتبع لدلالة كلمة «قرأ» بشتى اشتقاقاتها في القرآن الكريم يجدها متساوقة لمعنى «قراءة القرآن» و «تلاوته» وليست التلاوة إلاّ «المتابعة والضم» وجمع الآيات بشكل «ترتيليّ» كما تشير الآيات التي وردت فيها كلمة «قرأ» ومشتقاتها:

وإنّ معنى القراءة الأظهر هو «الجمع» و «النظم» سواء أكان جمع الأصوات ونظمها بترتيل «مسموع» أو «بصمت» أو حتى بجمع بين المعاني والأفكار، ومنه قيل: قراءة الأفكار أي جمعها وفهمها، وانّ الراغب الأصفهاني في «مفرداته»[٢٤١] ركّز على «جمعها» مقروءة بمعنى القراءة المتعارفة، غير أنَّ دلالات القراءة أوسع، والذي نذهب إليه أنّها مطلق «الجمع» وليست حكراً على العربية، بل نراها سارية في أغلب اللغات حقيقة ومجازاً، ومنها في ***Reading the mind*** أي: قراءة الفكر. وحتى أنّ «الكتاب» الذي يُقرأ، إنّما سُمّي كتاباً لأنّه يجمع بين هذه الأفكار والعبارات عنها، ومن دلالات مادته «كتب» على الجمع «الكتيبة: الجيش»[٢٤٢] وكذلك سائر المفردات القريبة صوتاً ودلالة من مادة «قرأ» وما يبادلها فونيمياً ***Phonemic*** في مختلف اللغات، كما هي نظرتنا أو قل نظريتنا التي نذهب إليها في سلسلة من المقالات والاصطلاحات المبحوثة بهذا المنهج المقارن، والذي يتبنَّى أساساً النظرية العالمية أو الكونية ***Universality***.

في «المختار»: «قرأ الكتاب قِراءَةً وقُرآناً ـ بالضم وقرأ الشيء قُرآناً ـ بالضم أيضاً ـ جمعه وضمه، ومنه سُمّي القُرآن، لأنّه يجمع السور ويضمها، وقوله تعالى: ﴿إنّ علينا جمعه وقُرءانَه﴾[243] أي: «قِراءَتِهِ»[244].

ويمكن التوسع بدلالة كلمة «جامع»، بحيث لا تقتصر دلالة القرآن على كونه جامعاً للسور فحسب، بل هو جامع لكل شيء، كما تشير بعض آياته إلى ذلك: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلِّ شيء» فهو يجمع بين أسباب سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، وفيه أسرار ما كان وما هو كائن وما يكون، كما ألمح إلى ذلك الإمام علي (ع) وتقدَّمت الإشارة إليه وكما ورد عن الإمام الصادق (ع): «فيه خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم، وفصل ما بينكم»[245] فإذن هو «جامع» ـ بكل معنى الكلمة ـ لجميع الخيرات والسعادات ـ وهو دستور لكل العصور والأزمان وفيه «جِماع» الشرائع والدساتير الإلهية، والأنظمة والقوانين الفطرية، والعلوم والفلسفات الحقة، وأصول مكارم الأخلاق والآداب، وخلاصة الحقائق والدقائق، وجوهر الأمور والأشياء. وهو باختصار كلام الله المعجز الذي لا يرقى إليه كلام المخلوق، وقد أُلفت في «اعجازه» مكتبات، وفي علومه خزائن، ولا يسع هذا المقام الضيق حتى الإشارة إلى بعض ما نطق به القرآن من الكلام الموجز المعجز، إذ تحتاج في ذلك إلى رسالة خاصة[246]، كما قد ألف العلماء فيه رسائل ومنها «ثلاث رسائل في اعجاز القرآن» بتحقيق محمد خلف والدكتور محمد زغلول سلام. وعلى سبيل المثال «رسالة الايجاز والإعجاز» لأبي منصور الثعالبي النيسابوري، وقد جاء في عنوان الباب الأوّل منها: «في بعض ما نطق به القرآن الكريم من الكلام الموجز المُعْجز: من أراد أن يعرف «جوامع» الكلم وينبه لفضل الإعجاز ويحيط ببلاغة الايماء، ويفطن لكفاية الايجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوّه على سائر الكلام»[247] ثم يعرض لبعض الآيات ويدلل على اعجازها وايجازها، ويشير إلى بعض الوجوه المعجزة فيها، وما لم يكتشف منها أكثر، وستنكشف هذه الوجوه حسب مقتضيات الأزمنة والأجيال، وتطور العلوم والفنون، والمعارف والآداب، وحسب استعداد الإنسان في عالم الإمكان، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في قول الإمام علي (ع): «لا تنطفي مصابيحه ولا يخبو توقده».

وفي مقام «معرفة القرآن تحليلاً» يقول الأُستاذ الشهيد المطهري: «نريد في هذا الفصل أن نبحث في محتويات القرآن. وطبيعيٌ أننا لو أردنا تناول موضوعاته موضوعاً موضوعاً لاقتضانا ذلك «أمْنَاناً» من الورق. وعليه فسوف نعالج الكليات أوّلاً ومن ثم نعود على بعض من الجزئيات»[٢٤٨].

ويبدأ بتعريف القرآن تحت عنوان «كيفَ يُعَرِّفُ القُرآنُ نَفْسَهُ» ويقول: «من الأفضل في تحليل القرآن أن نبدأ من ملاحظة رأيه في نفسه، وكيف يعرف نفسه إنَّ أول ما يطالعنا بهذا الشأن هو قوله ان هذه الكلمات والعبارات هي كلام الله. إنه يُعلن صراحة أنّ الرسول ليس هو منشيء القرآن، بل انّه إنّما يبين ما ينزل به روح القدس أو جبرئيل بإذن الله. والأمر الآخر الذي يوضّحه القرآن هو تعريف رسالته، وهي أنّها هداية أبناء البشر وقيادتهم للخروج بهم من الظلمة إلى النور: ﴿كِتابٌ أنزلناهُ اليك لِتُخرجَ النّاس من الظُلماتِ إلى النور﴾[٢٤٩].

والذي نريد أن نؤكده في هذه المقالة هو دلالة كلمة «القرآن» وجذرها وسائر الكلمات المتشابهة في العربية وغيرها على معاني الجمع والضم والنسق والنظم بمختلف الأبعاد والدلالات. فمن المواد القريبة منها جذراً واشتقاقاً وصوتاً ودلالةً كلمة «قرن» إذ يقال للرجل قرنان أي ضفيرتان، وذو القرنين لقب اسكندر الرومي، والقرن مئة سنة، والقرن مثلك في السنّ تقول هو على قرني أي على سني، والقرن في الناس أهل زمان واحد. قال الشاعر:

إذا ذَهَبَ ٱلقَرْنُ الذي أَنتَ فِيهِمُ   وَخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيْبُ

«والقرن: قرن الهودج. والقرن: جانب الرأس، وقيل منه سُمي ذو القرنين، لأنّه دعاهم إلى الله فَضُرب على قرنيه، وقَرْنُ الشمس أعلاها، وأوّل ما يبدو منها الطلوع»[٢٥٠]. فأنت تلاحظ كل دلالات «قرن» على الجمع، اما بين الأشياء أو الأشخاص، أو الأزمان، وحتى تشمل الجمع بين جوانب الشيء الواحد نفسه بالنظر إلى جانبيه أو أعلاه وأسفله أو طلوعه وغروبه، وما إلى ذلك من دلالات الجمع والمقارنة.

وإذا حركنا وسط القرن وأصبح «القَرَن» بالفتح فيدل دلالات متشابهة

«فالقَرَن ـ بالتحريك موضع، وهو ميقات أهل نجد، ومنه أويس القَرَني ـ رضي الله عنه ـ قلت: هو في التهذيب. بسكون الراء نقله عن الأصمعي، وأنشد عليه بيتاً وتحقيقه في «المغرب» والقرن أيضاً مصدر قولك رجل أقرن بيّنُ القرن: وهو «المقرون» الحاجبين وبابه طَرِبَ.

و «القِرْن» ـ بالكسر ـ كفؤك في الشجاعة و «القُرْنة» ـ بالضمّ ـ الطرف الشاخص من كل شيءٍ يقال قُرْنَة الجبل وقُرْنة النصل. وقرن بين الحج والعمرة يقرن ـ بالضم والكسر ـ قِراناً: اي جمع بينهما. وقرن الشيء وصله به، وبابه ضرب ونصر، وقُرنت الأسارى في الحبال شُدِّد للكثرة، قال الله تعالى: ﴿مُقرنين في الأصفاد﴾ [٢٥١] واقترن الشيء بغيره. و «قارنه قِراناً» صاحبته، ومنه قِران الكواكب. وأقرن له: أطاقه وقوى عليه. قال الله تعالى: ﴿وما كُنّا له مقرنين﴾ [٢٥٢] أي: مطيقين و «القرين»: الصاحب، و «قرينة الرجل»: امرأته [٢٥٣].

ولو تتبعنا المواد اللغوية الأُخري القريبة منها جذراً واشتقاقاً لرأيناها قريبة المعنى صوتاً ودلالة، فعلى سبيل المثال لا الحصر مادة (قرا) ـ بلا همز ـ نجد فيها: «القَرَا: الظهر» [٢٥٤] والظهر والظهير هو الشخص أو الشيء الثاني المؤيد والمساند للشيء الأوّل، ومنه الآية الكريمة: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهيرٌ﴾ [٢٥٥] وكذلك «القرية»: التي هي «جِماع» لعدة بيوت متعاضدة يتاخم بعضها بعضاً، وإلى اليوم تستعمل بعض الألفاظ في الريف مثل «الجِماعة» ـ بكسر الجيم ـ للدلالة على القرية. و «القرية: معروفة، والجمع «القرى» والقياس «قراء» كظبية وظباء، و «القرية»: ـ بالكسر ـ لغة يمانية. والقريتين في قوله تعالى: ﴿على رجل من القريتين عظيم﴾ [٢٥٦]: مكة والطائف. و «استقرى» البلاد تتبّعها يخرج من أرض إلى أرض. وقرى الضيف يقريه قِرىً ـ بالكسر ـ وقَراء ـ بالفتح والمدّ ـ أحسنَ إليه. والقرى أيضاً: «ما قرى به الضيف» [٢٥٧]. فكل ذلك «باضافة» شيءٍ إلى «الضيف» وقراه بزاد أو راحلة أو هدية، أو ببذل الزاد والراحلة معاً.

وإذا توسّع في هذه المواد جذراً واشتقاقاً، فتلاحظ كلمة «القيروان»» ـ بضم الراء ـ القافلة: فارسيّ معرّب، وفي حديث مجاهد «يغدو الشيطان بقيروانه إلى

السوق»[٢٥٨]، ولعلّ كلمة قيروان معرّبة عن الفارسية «كاروان» ومنه في الفارسية «كاروان سراى» أي منزل القافلة، وقد وردت كلمة «كاروان» في الشعر الفارسي كثيراً وفي كثير من كتب الأدب والدواوين. وحتى أننا نجد كلمة **Caravan** الانجليزية والتي تستعمل في أغلب اللغات الأوربية الحديثة تحمل نفس الدلالة على القافلة أو ما هو بديلها، ويقال للجماعة المسافرين النازلين معاً في مكان معين للاصطياف والتنزّه: **Caravan site** وهي تشبه «كاروان سراى» الفارسية لفظاً ودلالة، ولعل في تسمية طير «الكروان» دلالة على ذلك النوع من الطيور التي تصادفه القوافل في مسيرها ذاهبة وآئبة وتتمتع بلحنه ودعائه: «دعاء الكروان».

ولو رجعنا إلى نظرية «الاشتقاق الأكبر» التي أسسها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري وبلورها ابن جنّي في القرن الرابع الهجري، لرأينا المواد مثل: «قنن، قرن، قرأ، قرب، قلم، وما إليها تدل على الجمع والمقارنة، والنظم والنسق بين الأشياء أو الأشخاص أو الأفكار ولا نريد هنا الخوض في غمارها فلتراجع في المظان والمعجمات اللغوية، وكأنَّ الجذر الأساس حرف واحدٌ أو حرفان وما يثنيهما أو يثلّثهما مخصص للمعنى العام المشترك، فأنت تلاحظ في كتاب «العين» للخليل هذه الظاهرة وكذلك في كتاب «الخصائص» لابن جنّي، و «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس، وسائر المعجمات التي تبنَّت هذه النظرية، وفي «المغرِّب»: باب القاف مع الراء المهملة»[٢٥٩]. ثم يسرد ما يثلثهما للتخصيص، وقد جاء في أول الباب: «قرأ الكتاب قراءةً وقرآناً وهو قارئ وهم قُرَّاء، واقرأ سلامي على فلان، وقولهم اقرأ سلامي عاميّ و «القرآن»: اسم لهذا المقر (كذا). والمجموع بين الدفتين على هذا التأليف، وهو معجز بالاتفاق، إلاّ أنّ وجه الإعجاز هو المختلف فيه، وأكثر المحققين على أنّ الوجه هو اختصاصه برتبة من الفصاحة خارجة عن المعتاد، وتقريره في «المغرب»[٢٦٠].

و «القُرء» ـ بالضمّ والفتح ـ الحيض في قول الأكثرين، وقيل انّه يصلح لهما[٢٦١]، وقد جاء في هامش «المعرَّب»: القَرء ـ بفتح القاف ويجمع على أقراء وقروء، وهو من «الأضداد» يقع على «الطهر» وإليه ذهب الشافعي وأهل الحجاز، وعلى «الحيض»

وإليه ذهب أبو حنيفة وأهل العراق ـ «نهاية»[٢٦٢].

وقد جاء في نفس الباب تحت مادة «قرن»: «قَرْن البقرة وغيرها، وشاة قَرْنَاء، خلاف جَمَّاء، وقَرْن الشمس أول ما يطلع منها، وقرنا الرأس: فَوْداه أي: ناحيتاه . و «القَرْن»: الجعبة الصغيرة تضم إلى الكبيرة . والقرن: الحبل يُقرن به بعيران[٢٦٣]. كما جاء في كتاب «مفاتيح العلوم»: «القِران: يعني اجتماع زُحَل والمُشتري خاصة إذا أطلقت، فإذا عنى قِران كوكبين آخرين قُيد بذكرهما»[٢٦٤].

وقد جاءت كلمة ***Chronicles*** في الألفاظ الكتابية وهي تدل على الأوقات و «القرون» وانّها تشابه كلمة «قرون» صوتاً ودلالة، كما أنّها جاءت في اللغات الأوربية مشتقة من أصل يوناني ***Kronika*** وعبر اللغة اللاتينية المتأخرة ***Chroniea*** ومنها إلى الفرنسية القديمة ***Cronique*** والانجليزية الوسطى ***Cronique*** حيث ورد في تفسيرها الايتيمولوجي ***Etymological*** ما يأتي:

Chronicle ckronikel M.E.and O.F.Cronique, late L.Chronica, sing., from Gr.) Kronika... A register or history of events in order of time; a history, a record, v.t. to record in a chronicle; to register, chronicles, n. pl. The two books of the old (Testament immediately following I and 2 Kings. Chronicler n.[٢٦٥].

فأنت تلاحظ دلالاتها على «الجامع» لكتابي العهد القديم، وهو الكتاب السماوي أصلاً، ومنها دلالة ***Chronic*** المنحدرة من أصل (أغريقي) ***Chronikos*** وجذرها ***Chronos*** على «القرون» والزمن.

وقد استعملت في المصطلحات الطبية للدّلالة على الحالات «المزمنة» والقديمة، وأصبحت كلمة ***Chrono*** بادئة ***Prefix*** لكل شيء يصطلح به على معنى معيّن مضاف إليه البعد الزماني أو «القروني»:

(Chronic a. continuing for a long time: of disease, deep seated and lasting)[٢٦٦].

ومنها المصطلحان اللغويان في علم اللغة الحديث اللذان يعتمدان النظر العلمي المبرمج في الدراسات اللغوية: (***Diachronic***) وهو منهج البحث الذي يسير طولاً ويعتمد التطور التاريخي والزمني للغة، و (***Synchronic***) وهو منهج البحث الذي

يسير عرضاً ويعتمد الحقبة التاريخية المعينة والملابسات البنيوية لذلك المقطع العرضي من الزمن للّغة. وقد ضرب رائد علم اللغة الحديث دي سوسور ***De Saussure:*** مثلاً لهاتين الدراستين مقارناً اللغة بالشجرة الضخمة المعمرة، إذ تارة يدرسها بشكل عمودي ***Longitudinal*** يستقري خلاياها وطبقاتها طولاً ويلاحظ نموّها عبر الزمن تطوراً، وأخرى يدرسها بشكل عرضي ***transversely*** يستقري خلاياها وتراكيبها في مقطع أُفقي خاصّ يحكي ترابط أجزائها وعلاقاتها القائمة فعلاً[٢٦٧].

والعجب أنّ كلمة ***Century*** الانجليزية التي هي من الجذر ***cent*** والدالة على «القرن» المعادل مئة سنة[٢٦٨] «***Period of 100 years***» والتي تقابل كلمة «صد» الفارسية والكردية صوتاً ودلالة، وهي بعض دلالات «قَرْن» إذ مرَّ أنّها كانت تدل على ثمانين أو ثلاثين سنة، ولا تخفى العلاقات التاريخية بينها.

وأنَّ «القِران» بين الرأس والتاج، أو ما يوضع عليه من زينة وحُليّ مادية ـ ومنها ينتقل إلى المعنويات ـ يُسمَّى في الإنجليزية ***Corona*** وهذه الكلمة تساوق كلمة ***Crown*** بمعنى التاج صوتاً ودلالةً، وهي من أصل لاتيني، وقد ارتبطت بدلالات تزينيّة بالكنائس والمعابد، كما أنّها ذات دلالة على «الهالة» ***Halo*** التي تحيط الشمس أو القمر «مقترنة» و «مقرونة» بمعنى النور أو الضياء «كالثريّا»:

Corona (korona) (L., a crown), n. (pl. - nae) A broad projecting face forming the principal member of a cornice; a circular chandelier hanging from the roof, esp. in churches; (Bot.) the circumference or margin of a compound radiated flower; a disk or halo round the sun or the moon; an anthelion radiance round the moon in total eclipse of the sun)[٢٦٩].

وأي دلالات لغوية متقاربة بين مادة «قُرآن» في العربية و ***Corona*** المذكورة في هذا النص الدالة جميعاً على الضياء والزينة والهالة المقترنة بمنبع الأشعة المادية التي ينتقل منها إلى النبع العرفاني الفيّاض «والنور الذي لا يخبو توقده». ولو أردنا استقراء الكلمات المرتبطة بها صوتاً واشتقاقاً لطال البحث وتشعبت بنا السبل، ونحن هنا نشير إلى علاقتها بـ ***Coronal*** و ***Coronation*** و ***Coronate*** و ***Coronary*** و ***Coronet*** و

Coroner وجميعها تحمل نفس الدلالة على التتويج والاقتران والجمع والعقد والإنعقاد. حتى جاء في الكلمة الشهيرة ***Coronation*** ما يدل على الاحتفال التتويجي والاحتفال «بعد القسم» الذي يرتبط بالحكم والحاكم.

n. The act or ceremony of Solemnly Crowning a sovereign. Coronation oath, n. (***The oath taken by a sovereign at the Coronathion***)[٢٧٠].

Coronation: (Koronashun) (as prec.)

فإذا لم يلتزم بالقسم (***the oath***) فقد (أحنث) وهنا تجدر الإشارة إلى العلاقة الصوتية والدلالية أيضاً بين «***oath***» والحنث، مما يدعم النظرية التي نذهب إليها ونحن بصدد جمع المعطيات اللغوية ***data*** و«دادنيها» التي هي أيضاً تحمل الرابطة و «الدلالة» وتؤدي نفس «المؤدّى».

وإنّ الجامع بين «عقد القِران» في الزيجات والدلالة اللغوية الأصلية هو «التناسب والجمع» بين الزوجين المناسبين المساكن كل للآخر: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾[٢٧١] فالزوج سكن للزوج الآخر و «قرين» له. وكذلك قيل له في الصديق والصاحب: «القرين». وقديماً قيل في الشعر الذي ذهب مضرب الأمثال:

«عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينهِ فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي»

ولعلّ البادئة ـ ***Con*** المتبادلة مع ***Com*** في مفردات معينة بالانجليزية حسب الاقتضاء الأصواتي والنظام الصوتي تحمل نفس دلالة «قرن» أينما تصدّرت في الكلام والاصطلاحات التي تبلغ المئات بل الآلاف، وهي تدل على معنى عام مشترك، وهو ما يصطلح عليه في علم اللغة بـ ***Cognate*** والذي يشير إلى أنها جميعاً ذوات جذر مشترك وأصل جامع، وحتى أنّ كلمة ***Cognate*** نفسها من هذه الكلمات حيث تبدأ بـ «***Co***» وهي تخفيف لها وكذلك الكلمات ***Common*** و ***Combination*** و ***Contact*** و ***Connection*** و ***Contract*** وما شابه وشاكل، وهي ذات جذر لاتيني وأصلها «***Cum***»:

Com - (L., the combining from Cum - Cchiefly before b,f,m,p), pref. with; together; (***in Combination; Completely***)[٢٧٢].

وفي نهاية المطاف لابُدَّ لنا من العرض السريع لأسماء القرآن ومصطلحاته

الخاصة به والتي اصطلح هو بنفسه عليها والإشارة إلى مناسباتها. وقد اختلف الباحثون في النظر إلى هذه الأسماء هل هي أسماءٌ متعددة لمسمّى واحد، أم أنّها صفات والاسم واحد؟ حتى أنّ المرحوم الدكتور العطار عدّ ذلك الخلط بين الأسماء والصفات وهماً من بعض المعنيين، فقد قال في كتابه موجز علوم القرآن: «تناول العلماء أسماء القرآن بالبحث، فقال (أبو المعالي عُزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة ـ بضم عين عُزيزي ـ في كتاب البرهان: اعلم أنّ الله سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسماً) [٢٧٣]، وهذا وهم منه، إذ أنّه خلط بين الأسماء والأوصاف، وأكثر ما ذكر من أسماء القرآن إن هي إلاّ أوصاف، مناسبة لكتاب الله العزيز» [٢٧٤]. وفي نظرنا أنّ الأسماء في العربية غالباً ما تلمح فيها صفة المسمى واقعاً أو تفاؤلاً، حقيقةً أو مجازاً. وإذا اشتهرت الصفة لذلك الموصوف فقد تصبح اسماً ولا تناقض في جعل الأسماء صفة للشيء إذا لمح فيها الوصفية كدلالة اسمي الحسن والحسين على صفة الحُسْن. ومهما يكن من شيء «فلكلّ اسم من أسماء القرآن أو وصف من أوصافه مناسبة مضمونيّة: فوصفه بـ (الحكيم) مثلاً لإحكام صياغته واحتوائه على الحكم والعبر، إذ الحكيم صفة تناسب مضمون القرآن، وكذا وصفه بـ(النور) لأنَّ الرؤية لا تتم ـ مع وجود البصر ـ إلاّ بالنور، والعقل مع قدرته على الإدراك فانّه لا يدرك كثيراً من الحقائق ولا يهتدي إليها إلاّ بالقرآن وتوجيهاته النيرة. قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام..﴾ [٢٧٥].

ومن الأسماء والأوصاف القرآنية التي وصف القرآن بها نفسه: «شِفاء»، و «وقصَص»، و «حكيم»، و «حِكمَة»، و «حَبْل»، و«صراط مستقيم» و «عزيز» و «موعِظَة» و «مجيد» و «بلاغ» و «بصائر» و «بيان» و «مثاني» و «تنزيل» و «وحي» و «رَحْمَة» و «نذير» و «مُهَيْمن» و «ذكر» و «كلام» و «فُرقان» و «هُدَى» و «كتاب» وما إليها، إذ أنّها جميعاً مستنبطة من الآيات التي وردت مصرّحة بكونه كذلك.

وقد عدَّها بعض العلماء توقيفية، وبعضهم قال غير ذلك، غير أنّها جميعاً تهدف إلى مناسبات دقيقة وشاملة تتلخص دلالة في كلمتي: «القُرآن» و «الفُرقان» إيجاباً وسلباً وهما متلازمتان كصفتي «الجامع والمانع» في التعاريف المنطقية: «جامع إيجاباً

للأفراد ومانع سلباً للأغيار».

فالقرآن مناسبته في التسمية أنّه: «جمع أحكام الأمم الغابرة، وأخبارها، وجمع بين رقة الشعر وجزالة النثر البليغ، وجمع بين أصول العقيدة ومبادئ الأخلاق والأحكام العملية، و جمع ـ للمتمسك به ـ خير الدُّنيا والآخرة، وجمع بين متطلبات الإنسان الجسدية والروحية وهكذا، وإلى هذا المعنى ذهب جماعة كبيرة من اللغويين، وأنّه الأصل في اللغة العربية[٢٧٦].

والفرقان ومادته في التسمية «تفيد معنى التفرقة، ومناسبتها الإشعار بالدور الذي أدّاه كتاب الله تعالى في التفريق بين الهدى والضلال، والحقّ والباطل، وطريق الجنة وطريق النار، وسبيل الحلال وسبيل الحرام، ومنهج العبودية في عبادة المخلوق، ومنهج التحرر في عبادة ربّ الأرباب الخ، وقيل سُمِّي بذلك لأنّه يؤدي إلى النجاة والمخرج نظير قوله تعالى: ﴿يجعل لكم فرقانا﴾[٢٧٧].

وخلاصة القول في دلالات «القرآن» اللغوية والاصطلاحية هو وجود التناسب والتساوق في الدلالة على كونه «جامعاً» لجميع ما عرضنا له إضافة إلى كونه نزل «مجموعاً» ودفعة واحدة على قلب النبي الكريم (ص) في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ﴿يوم التقى الجمعان﴾[٢٧٨] في السابع عشر منه سنة خمس و خمسين من عمره الشريف في واقعة بدر الكبرى، وهذا لا ينافي ما ورد فيه من كونه نزل «منجّماً» أي مفرقاً بعد حين وحسب الظروف المناسبة وأسباب النزول المذكورة في المظانّ، في مدة ثلاث وعشرين سنة حتى كان تنجيمه مثار اعتراض المشركين، وقد ذكر ذلك القرآن وأجاب عنه، وقال في سورة الفرقان: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾[٢٧٩]، لما في تنجيمه وتكرار الوحي واشراق نور العلم على قلبه من التثبيت لفؤاده الشريف، ولا تنافي بين نزوله مفرقاً ومنجماً وبين قوله تعالى: ﴿انّا أنزلناه في ليلة القدر﴾[٢٨٠] و ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾[٢٨١] و ﴿انّا أنزلناه في ليلة مباركة﴾[٢٨٢] لصحة اطلاق القرآن على بعضه، كما في قوله تعالى: ﴿كتاب أُحكمت آياته﴾[٢٨٣] مع العلم بأنَّ أخر منها متشابهات، على أنّه يمكن أن نقول بأنَّ روح القرآن، وهي «أغراضه الكلية»

التي يرمي إليها تجلّت لقلبه الشريف في تلك الليلة: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ [٢٨٤]. ثم ظهرت بلسانه الأطهر «مفرَّقة» في طول سنين: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً﴾ [٢٨٥].

وهذا تفسير لطيف ودقيق لدلالة الصيغتين: «الإفعال» و «التفعيل» اللتين وردتا في القرآن الكريم في بنيتي «الإنزال»، و «التنزيل» واللتين يدلاّن على كون الشيء ينزل أو يرسل أو يُعلم دفعة واحدة، والثانية تدلّ على أنّ الشيء ينزّل أو يرسل أو يُعلم على مراحل ودفعات، كمثل الفرق بين دلالتي الإعلام والتعليم أو الإرسال والترسيل وما إلى ذلك من مواد أُخرى يمكن استعمالها في هاتين الصيغتين القياسيتين، كما يقرّر ذلك علم الصرف في اللغة العربية، وبالتفسير المذكور يرتفع الاشكال ويدفع اللبس والابهام اللفظي.

سابعاً: مصطلح القَلَم

□ قَلَم: [٢٨٦] (*Qalamn: - Column*)

إنَّ مصطلح «القَلم» من المصطلحات الحضارية المهمّة، التي لعبت دوراً خطيراً في تثقيف الإنسان وتعليمه، وبناء فكره ومجتمعه، منذ أن عرف الإنسان الكتابة و «الآلة» التي يكتب بها؛ لذلك سنعرض لهذا المصطلح بأسلوب مقارن ـ كما هو الغالب في منهجنا ـ نتتبّع فيه المفردات المشابهة له «صوتاً ودلالة» في مختلف اللغات والثقافات التي التمع فيها «القَلَم» مع مراعاة الاختصار والاقتصار.

فنحن نعلم أنّ أوّل سورة نزلت على النبي الأعظم (ص) ذكرت اسم «القَلَم» الذي هو «آلة» التعلّم والتعليم وأداتها عبر العصور والأجيال: ﴿اقرأ باسم ربّكَ الذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَق * اقرأ وربُّكَ الأكرَمُ * الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ * عَلَّم الإنسانَ مَا لَم يَعْلَم﴾ [٢٨٧] كما نعلم أنّ سورة في القرآن تُسمَّى باسم «القلَّم» إذ يُقسم اللهُ تعالى به لعظمته وخطورته: ﴿ن والقَلَم وما يَسْطُرُونَ﴾ [٢٨٨].

وقد استعمله فلاسفة الإسلام وأهل العرفان منهم بسياق خاصّ ودلالة اصطلاحيّة معيّنة أفادوها من هاتين الآيتين [٢٨٩] الكريمتين، وقد ورد في الحديث

الشريف ﴿أوّل ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ﴾ [٢٩٠].

وفي الحكمة المتعالية لمدرسة ملا صدرا الفلسفية، جاءت الإشارة إلى القَلَم بذلك المعنى الاصطلاحي ووظيفته: «فإنّ الذي كتبه القَلَم الأعلى في اللوح المحفوظ لا يتبدّل» [٢٩١] و محلّها اللوح، والقَلَم: أحدهما على سبيل القبول والانفعال وهو اللوح بقسميه، والآخر على سبيل الفعل [٢٩٢]. أمّا اللوح والقلم فبيان القول فيها: الباري جلّ كبرياه أوّل ما برز من ذاته ونشأ هو جوهر قدسي في غاية النور والضياء والسناء بعد الأوّل تعالى [٢٩٣].

وإذا تأملنا في دراسة هذا المصطلح صوتاً ودلالة، أي من ناحية الاشتراك اللفظي والمعنوي، أو ما يصطلح عليه في الدراسات اللغوية (**Syno - Homonyms**) نجد مشابهات له ومرادفات في مختلف اللغات والثقافات، وإن كانت للوهلة الأولى قد تبدو بعيدة الصلة، لكنّ علم المعاني **Semantics** يؤيِّد ذلك.

والذي يبدو لنا أنَّ تسمية «القَلَم» بالقَلَم لم يُنظر فيها إلى مادته التي صنع منها أو يُصنع، ولا إلى سائر خصائصه الأخرى إلّا خصيصة واحدة، وهي «شكله ورسمه» أو على الأقل، إنَّ الأشياء التي شابهت شكله ورسمه سميت باسم مشابه له، كما يتجلى ذلك في مختلف اللغات والاشتقاقات.

فكلمة **Culm** في الإنجليزية تدل على «سويقة العلف» وتذكرنا هذه العبارة بكلمة مرادفة للقلم بالعربية، وهي «القصبة»، والتي كانت تستخدم ـ وما زالت أحياناً ـ من القصب الخاص الذي «يُقَلم» ويعد إعداداً خاصاً ليكون «قلماً». وقد جاء في (المغرب المطرّزي) ما نصه:

«القَصَب: كلّ نبات كان ساقه أنابيب وكعوباً، والواحدة قَصَبة. والقصباء واحد وجمع عن سيبويه، وقيل هي القَصَب الكبير النابت في الغيضة . وأنواع «القَصَب الفارسي»: وهو ما يُتّخذ من أنابيبه الأقلام» [٢٩٤].

وقد تستعمل كلمة «القلم» بهذا الاسم والدلالة في التركية أيضاً، وبنطق خاصّ حسب ما تقتضيه قواعد الأصوات فيها، وغالباً ما يكون أقرب إلى نطق « گلم».

ومن الأسماء الدالّة على الكتابة و «آلتها» ولاسيّما منها القريبة من «القَلَم» صوتاً ودلالة: «الرَّاقم» و «المِرْقم» و «الأرقم» و «الرَّقيم» ـ بمعنى فاعل أو مفعول ـ وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصحابَ الكَهْف والرَّقيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبَاً﴾[٢٩٥] وهُم من أهل «الكتاب» و «الرقيم» بمعنى «المرقوم». و «الرَقَم»: العلامة الدالّة على «العدد» وغيره من هذا المعنى، وقد جاء في «المغرب»: «رقم الثوب وشّاه رقما، ومنه بُرود الرقم، وهو نوع منها مُوَشّىٰ، والتاجر يرقم الثياب أي يُعلّمها بأنَّ ثمنها كذا، ومنه «لا يجوز بيع الشيء برقمه»، و «الأرقم» من الأفاعي الأرقش، وبه سُمّي أرقم بن أبي الأرقم وهو الذي استعمل على الصدقات فاستتبع أبا رافع، واسم أبي الأرقم عبد مَناف»[٢٩٦].

كما أنَّ مصطلحاً آخر في العربية يشابه القلم والقَصَبة لكنّه بصورة مكبّرة يُدعى «المُثقَّف» وهو «الرمح» الذي بُوْلِغَ في «تشقيفه» و «تقليمه» وحدّه وعدّه ليوم البراز والنِزال، والشواهد على ذلك في كتب اللغة والأدب كثيرة، وقد كان هذا المعنى سبباً لاصطلاح «الثقافة» المعاصرة التي تدلّ على معانٍ واسعةٍ من الفكر والتراث والتربية وأنَّ العلاقة بين المنازلة «بالقَلَم» و «المُثَقّف» واضحة، وإن كانت منازلة «القَلَم» أمضى وأبلغ. وقد اصطلح على «الإنسان المثقّف» بالثقافة، لافتراض أنّه بُولغ في «تقويمه» و «تقليمه» و «تعليمه» و «تربيته»[٢٩٧].

ولما كانت «ريشة» بعض الطيور تشبه «القَلَم» شكلاً ووظيفةً، وقد استخدمت للرسم كثيراً، حتى قيل للوحة المُتفَنِّن في رسم مناظرها وصُورها: «بريشة الفنان فلان» كما يُقال للمقالة والكتاب: «بقَلَم فلان».

إنَّ كلمة ***Column*** بالانجليزية المشابهة للقلم صوتاً ودلالة تدلّ على «العمود» أو الشكل العمودي، أو الاسطواني ـ الذي يشبه القلم شكلاً ـ من أصل لاتينيّ يونانيّ تدلّ عليه كلمات: ***Calamus*** و***Columnar*** و ***Colaminar*** و ***Calender*** التي ترادف كلمة «ستون» أو «ستون بندي» بالفارسية الدالة على الشكل «الاسطواني» أو «السلندري» ***Cylindrie*** الذي يشبه «الاسطوانة» المعرّبة لفظاً ودلالة عن الفارسية «استوانة» أو «ستوان» أو «ستون» وما إلى ذلك من اشتقاقات مادّية ومعنويّة

«كالاساطين» لاساتذة العلم والثقافة والمعرفة في «الاستقامة» والنظر الثاقب.

وإذا أُريد الدلالة على استقامة شيء وارتفاعه في الإنجليزية استعملت كلمة ***Culmination*** لتدلّ على ذلك، وهي تذكّرنا باشتقاق قريب آخر يدلّ على «الأوج» و «القمّة» الصاعدة ***Climax***.

ونجد نظير هذه الاشتقاقات والعلاقات الصوتية الدلالية في جميع اللغات المنحدرة عن اللاتينية واليونانية، تلتقي كلمة ***Column*** ـ موضوع البحث ـ بكلمة ***Canon*** المبحوثة في كلمة سابقة بنفس المنهج، إذ «قد تستعمل دالّة على الشيء المستقيم مثلا دلالتها على الشخص المستقيم ومنها دلالتها على الاسطوانة ***Cannon*** ـ المشدّدة النون ـ أو دلالتها على «المدفع» لاستقامته، أو «الساق» لنفس السبب ***Canon bone*** أو الميل المستقيم ***Cannula*** أو القناة المستقيمة أصلاً ***Canal*** [٢٩٨]. وتلاحظ علاقة «القناة»: ـ «القَصَبة» أو «الرمح» أو «المثقّف» ـ بكلمة قناة: القَنَال، أو الكنال ***Canal*** الإنجليزية التي تدلّ على نفس المعنى، وقد استعملت لفظة ***Channel*** بنفس الدلالة مع تغيرات فونيمية ***Phonemic*** أو ألفَونية ***Allophonic***

كما نلاحظ هنا علاقة قنال ـ القناة ـ :***Canal*** بكلمة ***Candle*** الدالّة على «الشمعة» بالإنجليزية، وهي ذات صلة «بكنديلا» (الأسبانية) المعجّمة لكلمة «قنديل» العربية أو المعرّبة.

واستعملت كلمة «قَلَم» بالفارسيّة بعدّة إضافات وتركيبات ليُصاغ منها عدّة مفردات واصطلاحات، مثل: «قلم رو» و «قلم فرسا» و «قلم زن» الخ، وقد نصّ المعجم الإنجليزي ـ الفارسي على أنَّ كلمة ***Calamus*** ترادف كلمة «قلم» و «نَيْ»: ـ القَصَبة ـ، و «وُج» [٢٩٩] لنبتة ذات ساق طويل نسبياً وكذلك «قلمدر» للنَّبتة اليافعة، و «قلمه» للغصن.

ولا نريد هنا أن نتوسّع إلى الاستشهاد بالنصوص الأدبيّة في اللغتين العربية والفارسيّة اللّتين استعملتا كلمات «القَلَم»» و «المثقّف» و «الناي»: «نَيْ» بدلالات فكرية وفلسفية كثيرة، من أشهرها في الشعر العربي الحديث:

أعطني النَايَ وَغَنِّ   فالغِنا سِرُّ الخُلُودْ

وأنـــين النـــاي يَـبقىٰ   بَـعْدَ أنْ يَـفْنَىٰ الوُجُـودْ

وهذا صدى لتأثّر الأدب العربي بالأدب الفارسي في هذا المجـال العـرفاني، والملفت للنظر أنَّ الاشتقاقات المشابهة في اللغات المختلفة تكاد تحمل نفس الدلالات الشكلية والصورية، فمثلاً كلمة **Cane** ـ الكونيا أو القونيا ـ أو (**Cuneiform**،) تدلّ على الشكل المسماريّ أو الكتابة المسماريّة التي عرفت عند «البـابليين» وغـيرهم والتي رسمت على شـكل علامات وزوايا تشبه «المسمار» الذي هو في طبيعة شكـله يشـبه «القَلَم». وهناك نوع من المسـامير الفخمة يستعملها البناؤُون يطلقون عليها اسم «القَلَم» لنفس السبب.

وإذا توسَّعنا في الاشتقاقات فنجد كلمة **Clerk** بالإنجليزية تشير إلى «صاحب القلم» وهو «الكاتب» ولمّا كان أهل الدين منذ عهود الأنبياء والمرسلين والأوليـاء والعارفين حَمَلَةً للعلم و «الكتاب» فقد سُمّي كلٌّ منهم بالاكليريك: (**Cleric**) أو (**Clergy man**ـ) أي «رجل الكتاب والمعرفة» عند «أهل الكتاب» وأنَّ العلاقة بين هذه الكلمة والكنيسة بالاسكتلندية (Kirk) واضحة، وكذلك **Church** بالانجليزية و «كـليسا» و «كنيسا» بـالفارسية، و «كـنست» أو «كـنشت» بـالعبرية وهكـذا قـل في سـائر الاشتقاقات، إذا طبقنا نظريّة (ابن جنّي) حول (الاشتقاق الأكـبر) [٣٠٠] عـلى سـائر اللغات.

إنَّ اطلاق كلمة «الكاتب» أو «الكاتبيّ» على أهل الدين وحملة العلم يشبه إلى حدّ كبير إطلاق كلمة «الطلبة» على طلاّب «الحوزات الدينية» ولاسـيّما في المجـتمع الإسلامي الإيراني.

وفي اشتقاق قريب ومشـابه نجـد أنَّ كـلمة (**Cult**) التي جـاء في تـفسيرها: «**System of religious worship and ceremonies**» تدلّ على النظام الديني والمحافل العباديّة، ذات جذر مشترك وقريب من **Culture**. التي هي بمعنى الثقافة والفنّ والمهارة بمعناها الواسع، وإذا تخصّصت في الأرض وفنّ زراعتها واسـتثمارهـا سمّـيت (**Agri-Culture**) وما شابه وشاكل من الاشتقاقات التي تدلّ على «التحصيل» و «الاستثمار» **Cultivation** والثروة المادية والمعنوية، ومن الطـريف أنَّ طـالِب العـلم والثـقافة في

الفارسية يُسمّى «محصّل».

وخلاصة القول: انّنا نلاحظ في مصطلح «القَلَم» والاشتقاقات العَرَبية منه دلالات متعددة في مختلف الآداب والثقافات واللغات، وأغلبها يكون متشابهاً صوتاً ودلالة [٣٠١]، وهذا ما يدعم نظرتنا ونظريتنا المتبنّاة في سلسلة مقالات مشابهة، والتي اصطلح عليها بالكونيّة أو العالميّة ***Universality*** جذوراً وثماراً، أصولاً وفروعاً، أسباباً ونتائج، وهذا ما يدلّل على وحدة الأسرة البشرية، وتقارب أفكارها وثقافاتها فطرة وطبيعة، وهذا ما يجب أن تعود إليه في تفكيرها ونظامها، ليعيش بنو البشر أُخوة متحابين في ظل «الدين الحنيف» الذي جاء «رحمة للعالمين» وإلى الناس كافّة، وذلك هو «الدين القيّم» الإسلام العظيم.

ثامناً: القسطاس

□ قسطاس [٣٠٢] (***Justice: Justus***)

تحقيق «القِسط» والعدل، وإحقاق الحقّ والسلام على الأرض حُلُم الأنبياء والمرسلين، والأئمة الصالحين. وقد تحقّقت «العدالة» في فترات معروفة من التاريخ، وبقي هذا الحُلُم يراود الصلحاء والأتقياء، والفقهاء والأولياء، وأصحاب النفوس الطاهرة النقية وما يزال. والمتتبع لجذور كلمة «القِسط» يجدها ضاربة في أعماق اللغات والحضارات، وأنّها مصطلح مشترك، أو بالأحرى من «المصطلحات المشتركة» صوتاً ودلالة في كثير منها.

وقد خلدت معاني «القِسط»» و «القصد» ـ بمعنى العدل ـ و «القِسطاس» و «القِصاص» وما إليها في الآثار الحضارية، والتراث البشريّ الثَرّ، ولكنّها أكثر التماعاً وازدهاراً في الكتب السماوية وعلى رأسها القرآن الكريم، حيث وردت في كثير من الآيات لفظاً ومعنى، إذ هي الهدف الأسمى من إقامة حكم الله في الأرض، ونذكر هنا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

﴿اَعْدِلُوا هُو أَقربُ للتَّقْوى﴾ [٣٠٣].

و **﴿وَإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بالعَدلِ﴾** [٣٠٤].

و﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حياةٌ يا أُولي الألباب﴾[٣٠٥].
و﴿وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْط﴾[٣٠٦].
و﴿وَزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمْ﴾[٣٠٧].
و﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما وَأَقْسِطُوا﴾[٣٠٨].
و﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾[٣٠٩].

وما إلى ذلك من الآيات، ولا يتّسع هذا الموضوع لذكر الأحاديث الكثيرة الواردة في المقام.

وعند الرجوع إلى المعجمات اللغوية والمصادر المعنيّة نجدها متعاضدة في الدلالات والاشتقاقات، وتكاد تجمع على أنَّ «أقسط إقساطاً» عَدَلَ. ومنه: ﴿وإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لا تُقْسِطُوا﴾[٣١٠] والاسم القِسط وهو العدل والسويّة. وفي التنزيل: ﴿كُونُوا قَوَّامِيْنَ بالقِسْطِ﴾[٣١١] أي مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا»[٣١٢].

كما أنّ دلالة «القِسطاس» في اللغة على الميزان والمكيال مجمع عليها، ومن دلالاته الأخرى دلالته على «الفَنّ» و «المنطق»؛ لأنّهما أداتان لمقياس الفكر، وقد سُمّيا بالقِسطاس وعلم القِسطاس، كما ورد «القِسط»» مصطلحاً من مصطلحات (مكاييل العرب وأوزانها)[٣١٣].

ونجد في الإنجليزية كلمة ***Just*** ـ وكذلك سائر الاشتقاقات المشابهة لها في اللغات المتفرّعة عن اللاتينية كالفرنسية مثلاً تحمل نفس الدلالة على العدل، وهي مشابهة تماماً لكلمة «قسط» العربية صوتاً ومعنىً، إلاّ أنّ التعريب أو التعجيم ـ وليس هنا مقام تبيان الأصل ـ يضع أثراً كليّاً أو جزئيّاً على المفردات والمصطلحات المتداولة، فتتغيّر بعض الأصوات وتتبدّل، وتتخصّص بعض المعاني أو تتّسع، كل ذلك حسب ظروف الاستعمال وتاريخه، وقوانين اللغات وقواعدها العامّة، وهي التي تتحكم في بناء مفرداتها وجملاتها وتراكيبها، وهذا ما توضّحه النظرية البنيويّة ***Structuralism***.

وقد جاء في معجم كاسل عن كلمة (***Just*** و ***Justice***) ما يؤكّد انحدارهما عن اللاتينية ***Justitia*** وقد استُعملتا في الفرنسية القديمة والإنجليزية الوسطى أيضاً بهذه

المعاني تقريباً:

Justice (Justis) [O.F.,from L. justitia, from justus, Just] n. the quality of being)
(***Just, fairness in dealing with others, uprightness, rectitude, honesty*** [٣١٤].

ومن الطريف جداً أن نلاحظ كلمة «القَصْد» التي هي مشابهة «للقسط» صوتاً ومعنى ذات استعمالات ودلالات متساوقة والنظرية الإسلامية الشاملة التي يبني الإسلام عليها فلسفته عن الكون والحياة والإنسان: فرداً ومجتمعاً جسداً وروحاً، دنياً وأخرى، ألا وهي العدل والموازنة والقسطاس في كلِّ شيء، حتّى أنّ «الاقتصاد» وعلمه الذي أصبح الهمَّ الأكبر للنظريات والمذاهب الاجتماعية الحديثة قد قام في الإسلام على هذا المنظور الشامل: «العدل» و «الميزان»،

وقد ورد في مادة «قصد» اللغوية في المعجمات العربية بهذه الدلالة:

«القصد: بين الإسراف والتقتير، يقال فلان مقتصد في النفقة . والقصد: العدل» [٣١٥] وكذلك هو المقصود العامّ من الآية الكريمة: ﴿وَاقْصِدْ في مَشْيِكَ﴾ [٣١٦]. أي السير المعتدل مادةً ومعنى في كل شيء كما جاء مضاداً للظلم والسوء ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [٣١٧] و ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُوْنَ﴾ [٣١٨] والاعتدال والاقتصاد صيغتهما «الافتعال»، وهما يحملان الدلالة نفسها وهي «الاتزان الكامل» ***Perfect Balance*** والموازنة المطلقة: وهي النظرية التي أشرنا إليها آنفاً، موازنة بين الفرد والمجتمع، الدنيا والآخرة، الجسد والروح، المادة والمعنى الكمّيّة والكيفيّة: ﴿وكان بين ذلك قواما﴾ [٣١٩]، ﴿وكلُّ شيء عنده بِمقدار﴾ [٣٢٠] وكل شيء في الإسلام يقوم على الاعتدال والوسطيّة بمعناها القرآني: ﴿وكَذلك جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ على النّاسِ ويكونَ الرسولُ عليكُمْ شهيداً﴾ [٣٢١].

وإنّ كلمة ***Just*** الصفة للشيء العدل أو الشخص العدل، وكلمة ***Justice*** الاسم أو المصدر الدال على العدل، و ***Justify***: الفعل، و ***Justly***: الظرف جميعاً من جذر لغويّ واحد، ولها علاقة «بالقِسط» و «القَصد». كما أنَّ علاقة ***Justice*** بالقسطاس صوتاً ودلالة لا تحتاج إلى تدليل ولا سيّما إذا كان لدينا بعض إلمام بالقوانين الصوتية ***Phonetic*** ونظام الأصوات اللغوية ***Phonology*** أو علم اللغة الحديث عموماً ***Modern***

كما أنَّ علاقة «القِسطاس» بكلمة «القِصاص» صوتاً ودلالة واضحة أيضاً، إذ القِصاص في حقيقته الموازنة والعدالة بين «الجُرم والعقاب»» ومطابقة كلّ منهما الآخر، أو بعبارة أُخرى شهيرة هو: «الجزاء العادل». و «منه القِصاص، وهي مقاصّة ولي المقتول القاتل والمجروح الجارح وهي مساواته إيّاه في قتل أو جرح ثُمَّ عمَّ في كلّ مساواة، ومنه تقاصّوا إذا قاصّ كلّ منهم صاحبه في الحساب فحبس عنه مثل ما كان له عليه»[٣٢٢].

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في القرآن الكريم:

﴿وكتبنا عليهم فيها أنَّ النفسَ بالنفسِ والعينَ بالعينِ والأنف بالأنفِ والأُذنَ بالأُذنِ والسِنَّ بالسنّ والجُرُوحَ قِصاص﴾[٣٢٣].

وفي ضوء هذه الآية الكريمة، فقد تناولت كتب الفقه والشريعة الإسلامية «القِصاص» في فصلين:

الأوّل: (قِصاص النفس).

والثاني: (قِصاص العضو)[٣٢٤].

وانَّ المَثَل العربي الشهير «القَتلُ أَنْفى للقتلِ» والذي هو مضرب المثل في البلاغة أقلّ بلاغة من: ﴿ولكم في القِصاص حياةٌ يا أُولي الألباب﴾[٣٢٥]؛ إذ الآية الكريمة أشمل منه وأدلّ على تحقيق العدالة والحياة والسلام بشكل مطلق كما فصّل ذلك في كتب التفاسير والبلاغة[٣٢٦].

وإذا توسّعنا في الاشتقاقات نجد كلمة ***Judge*** الإنجليزية ترادف كلمة «قاضي» الذي يقضي بالعدل أساساً، ولاسيّما إذا عرفنا أنّ الحرف ***/J/*** ينطق ***/I/*** في اللاتينية، كما أنَّ القاضي تنطق /آدي/ أو /آضي/ في اللهجة الشاميّة والمصريّة و /قازي/ بالفارسية. وما يلاحظ من بُعد للوهلة الأولى فذلك بسبب مقتضيات التطوّر الصوتي والدلالي في اللغات واللهجات.

وإنَّ كلمة ***Jury*** الدالّة على الهيئة الحاكمة والتي تطوّرت دلالتها سلباً في العربية على مرّ الأجيال؛ لغة «الجَوْر» والحكم «الجائر» والحكّام «الجائرين» حتّى أصبحت

كلمة «جَوْر» ترادف «الحكم الجائر» في مفردات العربية، وهي أصلاً ذات دلالة على الحكم والهيئة الحاكمة في اللغات الساميّة القديمة، ومن اشتقاقاتها في الإنجليزية **Juror** الهيئة القانونية المحلّفة.

وانَّ كلمة **Jurist** تدلّ على العالم بالحكم والقانون و (**Jurisprudent**) هو القاضي أو الحقوقي أو القانوني و (**Jurisprudence**) تدلّ على الفقه أو علم القانون والشريعة.

وانّ كلمة **juridical** الدالّة على الحكم القضائي والتشريعي ذات صلة بجذر كلمة **juridical** المشتقّة من القضاء والحكم (**Judgment**) أو القاضي **judge** المتقدمة الذكر، وانَّ القوّة القضائية في الإنجليزية تكون **judiciary** وهكذا قل في سائر الاشتقاقات والدلالات التي تبدو لنا مترابطة من حيث الأصل والجذر، أو هي من جذر مشترك بمثابة الأُمّ، وما يصطلح عليه **Cognate** وهذا ما تدعمه الدراسات الايتيمولوجية (**Etymological studies**) وأنَّ مبدأها المشترك هذا يؤكّد وحدة الإنسانية والحضارات والديانات وتكاملها أصلاً، وهذا ما كان فعلاً، ويجب أن يكون مستقبلاً ﴿كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعثَ اللهُ النبيّينَ مبشرينَ ومُنذِرينَ﴾[٣٢٧].

وقد بدأ يتحقّق ـ بحمد الله وتعالى ـ حُلُمْ الأنبياء بعد طول انتظار في «إيران الإسلام» وأصبح الحُكم «القِسطُ» بيد «الفُقهاء العُدول» كما أنَّ مبدأ «ولاية الفقيه» ـ الذي هو استمرار وامتداد لولاية الله والرسول والذين آمنوا: ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾[٣٢٨] ـ في طريقه إلى توطيد عُرى الأمن والسلام والعدل في أرجاء المعمورة كافّة، وحتّى تحقيق حكم الله المطلق في الأرض بقيادة ولي الأمر وصاحب الزمان (ع)؛ ليملأ الأرض «قسطاً وعدلاً» بعد أن مُلِئَتْ ظُلْماً وجوراً.

تاسعاً: مصطلح الإيمان

- □ إيمان: أَمان (**Immune: Amenity**).
- □ آمين: أمانة (**Amen: Ammunition**).

كان الايمانُ منذ وُجِد الإنسانُ، وكان الكفرُ ضدَّه منذ وُجد الإيمانُ، وكان

الصراعُ دائماً وأبداً وسيبقى الصراعُ دائماً وأبداً.

ذلك لأنَّ الله تعالى لم يُرد أن يجبر الإنسانَ على الإيمان، بل أعطاه «قُوَّة الاختيار» وقُدرَةَ التميز وقابلية الانتخاب. فإذا «آمَنَ» طواعيةً واختياراً عُدَّ مُؤمِناً وحَظِي بجزاءِ أَهْل الإيمان في الدنيا والآخِرة، وإنْ كَفَرَ طواعيةً واختياراً عُـدَّ كـافِراً وجُوزي بجزاءِ أهل الكُفر في الدُّنيا والآخرة.

فما معنى «الايمان» لغةً واصطلاحاً؟ وما معنى ضدِّه وهو «الكفر»، وهما اللذان يُشكلان طَرَفي الصِّراع والنِّزاع.

الإيمانُ من مادة «أمن» وعند الرجوع إليها في كُـتُب اللـغات والمُـعجمات اللغوية، نجد: «(الايمان) و (الأمانة) بمعنىً، وقد (أَمِنَ) من باب فَهِمَ وسَلِمَ و (أماناً) و (أَمَنَةً) ـ بفتحتين ـ فهو (آمِن) و (آمَنَهُ) غيره من (الأَمْن) و (الأَمَـان). و (الإيمـانُ): التصديقُ، واللهُ تعالى (المؤمن)؛ لأنَّه بهمزتين لُيِّنت الثانية، ومـنه المُـهَيمِن، وأصـله مؤامِن لُيِّنت الثانية، وقُلبت ياءً كراهة اجتماعهما وقُلبت الأُولى هاءً كما قالوا: أراقَ الماء وهراقَهُ. و (الأَمْنُ): ضدُّ الخَوف، والأَمَنَةُ: الأَمْن ـ كما مرَّ ـ ومنه قوله تعالى: ﴿أَمَـنَةً نُعَاساً﴾ [٣٢٩]، والأَمَنَةُ أيضاً: الذي يثق بكلِّ أحد، وكذا الأمنَة ـ بوزن الهُمَزة ـ وأَمِنَهُ على كذا وأَتَمَنَهُ بمعنى، وقُرِىء: ﴿مَالَكَ لا تَأْمَـنَّا عـلىٰ يُـوسُفَ﴾ [٣٣٠] بـين الإدغـام والاظهار، وقال الأخفشُ: والإدغام أحسنُ، وتقول: (آؤتُمِنَ) فلان ـ على ما لم يُسمَّ فاعِلُهُ ـ فإنْ ابتدأَتَ به صيَّرتَ الهمزَة الثانيةَ واواً وتمامه في الأصل. و (استأْمَنَ) اليه دخل في أَمانِه. وقوله تعالى: ﴿وهٰذا البَلَد الأَمِيْنُ﴾ [٣٣١] قال الأخفشُ: يُـريد البـلد الآمِن وهو الأَمْن. قال وقيل: الأمين: المأمون. و (آمين) في الدُّعاء يُمدُّ ويُقصر، وتشديد الميم خطأ، وقيل معناه: «كذلِكَ فَلْيَكُنْ» وهو مبنيٌّ على الفتح مثل «أيْنَ» و «كَيْفَ» لاجتماع السـاكنين، وتقول منه أَمَّنَ فلان تأميناً» [٣٣٢].

وبمعرفتنا «للإيمان» وجذره واشتقاقاته لغةً ودلالةً نعرف «الكُـفْر» وجـذره واشتقاقاته والَّذي هو ضدُّه، ولكنَّ بالرجوع إلى مادة «الكُفْر» في المعجمات اللغوية وكتب اللغة نجد بعض التوضيحات الَّتي قد لا تُستحضر عن طريق معرفة الضـدِّيَّة فقط. ففي مادة «كفر» نجد: الكُفر ضدُّ الإيمان، وقد (كَفَرَ) بالله مِن باب «نَصَرَ»، وجمع

الكافِر (كُفَّار) و (كفَرة) و (كِفَار) ـ بالكسر مخفَّفاً ـ كجائع وجياع، ونائم ونيام، وجمع الكافِرة (كَوَافِرُ)، والكُفْر أيضاً: جُحُود النِّعمة، وهو ضدُّ الشُكْر. وقوله تعالى: ﴿إنَّا بكُلٍّ كافِرُونَ﴾ [٢٣٣] أي: جاحِدون، وقوله تعالى: ﴿فَأَبَى الظالِمُونَ إلاّ كُفُوراً﴾ [٢٣٤] قال الأخفشُ: هو جمع «كُفْر» مثل بُرْد وبُرُوْد. و (الكَفْرُ) ـ بالفتح ـ التغطية [٢٣٥]، وبابه «ضَرَبَ»، والكَفْر أيضاً: القَرية. و (الكافِر): الليل المظلم، لأنَّهُ سَتَرَ بظلمته كلَّ شيءٍ وكلُّ شيءٍ غطَّى شيئاً فقد كَفَرهُ قال ابنُ السِّكِّيْت: ومنه سُمِّي «الكافِر»؛ لأنَّه يُستُرُ نِعَمَ الله عليه. والكافِر: الزُّرَّاع. و (أكْفَرَهُ): دَعَاهُ كافِراً، يُقال لا تُكْفِرْ أحداً من أهلِ قِبْلَتِكَ، أي لا تَنْسُبْهُ إلى الكُفْرِ. و (تكفير) اليمين: فعل ما يجب بالحِنْث فيها، والاسم: (الكَفَّارة) [٢٣٦].

إنَّ قصة الصِّراع بين الايمان والكفر قصة طويلة، وقد عرض لها القرآن الكريم بأُسلوبه الموجز المعجز وبين بعض فُصُولها وشُخُوصها في مختلف سُوَره وآياته، ويكفي أنّه سُمِّيت إحدى سُوَره باسم «المؤمنون» [٢٣٧] وأُخرى باسم «الكافِرون» [٢٣٨] ويكاد يكون القُرآن الكريم جميعه عرضاً لهذا الصراع العقائدي وأدواره وأبعاده، ولا يتسع هذا الموضوع لذلك البيان العظيم والكتاب المبين، بل ننصح بالرجوع إليه والالتزام به والأخذ بمعاييره الحقَّة ومقاييسه العادلة ودلالاته الصادقة.

فحينَ قالت الأعرابُ آمنَّا، فماذا كانت الحقيقة؟!

﴿قَالَتْ الأعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ﴾ [٢٣٩].

إذن الايمان شيء أخصُّ من الإسلام وهو جوهرُهُ ولُبُّهُ، يدخل في القلب ويستقِرُّ بالجَنان ويَمَسّ الشغاف، ولعلَّ العلاقة بين الايمان والاطمئنان ظاهرة صوتاً ودلالة، فلا اطمئنان بلا إيمان، كما أنَّه لا إيمانَ بلا اطمئنانٍ وثبات يجسِّدهُ، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [٢٤٠].

ولمّا كان الايمان سبباً للاطمئنان والائتمان، والأمْن والأمان، والركون إلى رُكن وثيق، والاعتقاد بالله الحقِّ الحقيق، كان الكفر سبباً للحَيْرةِ والقَلَق، والضَّلالة والوَبال، وسَتْراً للحقّ والحقيقة ظاهراً، إذ هو في الواقع محال، كما أشار إلى ذلك الشاعر الحكيم

زهيرُ بن أبي سلمَى:

فَلاَ تَكْتُمَنَّ ٱللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ   لِيَخْفَىٰ ومَهمَا يُكْتَمِ ٱللهُ يَعْلَمِ

ومن معاني الإيمان ودلالاته اشْتَقَّ الإنسانُ في مختلف لغاته مفرداتٍ كثيرةً خَلُدت عَبْرَ الزمان والمكان وتَنَوَّعت بتنوّع تجارب الإنسان.

والعجيب الغريب أنَّ كثيراً من هذه المفردات والاشتقاقات تتشابه صوتاً ودلالةً في مختلف اللغات. ونحن هنا نعرض لهذه المفردات والاشتقاقات؛ لنُؤكِّد على وحدة الإنسانية والمعرفة الشاملة في مسيرتها أُصولاً وفروعاً، جُذُوراً وثِمَاراً، أسْبَاباً ونَتَائِجَ، وهذا ما تتبنَّاه النظرية الكونية العالمية ***Universality*** في علم اللغة الحديث.

وقبل العرض للكلمات الجديدة المستقراة لهذا الغرض نَوَدُّ أن ننقل بعض النُصوص المختارة من مصطلح «الأُمّة» لتساوقها صوتاً ودلالة مع «الأمن» و «الأمان» و «الإيمان»: «الدِّين». وقد جاءت في الصفات المشتركة بين الله والإنسان ـ مع الفارق بين المطلق والمقيَّد ـ صفة «المؤمن». كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [٣٤١]: قال الأخفش: يريد أهل أمَّةٍ: أي كنتم خير أهل دِين» [٣٤٢].

«فنحن نلاحظ من هذه النصوص اللغوية أصالة كلمة «الأُمّ» ودلالتها على الأصل عموماً، وعلى الأصل الانساني خصوصاً، هذا المخلوق المؤمن الأمين أصالةً، وخليفة الله الذي حمل «الأمانة» و «الإمامة» وكان أُمَّةً واحدةً [٣٤٣]، إلاّ إذا ضلَّ عن السبيل واتَّبع هواه فيتردَّى عن إنسانيته وأَمْنه وأَمانه، ويخرج عن أُمَّته الإنسانية، ويكون هو وأمثاله كالأنعام بل هم أَضَلُّ سبيلا» [٣٤٤].

والمُلْفِتُ للنظر أنَّ كلمتي «أُمٍّ» و «أُمَّةٍ» تشتركان مع كلمتي «أمْن» و «أمانة» صوتاً ودلالة في ظلال كثيرة من المعاني الحضاريّة والإنسانيّة. كما أنَّ كلمة ***Human*** في الإنجليزية المُنحدرة أصلاً عن اللاتينية ***Humanus*** والمستعملة في الفرنسية الوسطى ***Humain*** نفس الظلال والدلالات وهي ذات جذر مشترك مع ***Homo*** والتي يصطلح عليها في الدراسات اللغوية بظاهرة الكوگنيت ***Cognate*** وهي تتساوق مع كلمة «أُمّ» في دلالاتها على الأصل والصفات المشتركة بين الأشخاص أو الأشياء:

Human (human [M.F.humain, L.humanus Cogn. with Homo], a. pertaining to man)

(or mankind; having the nature, qualities, or characteristics of man[٣٤٥].

وقد آشتقُّوا من هذه المعاني الأخلاقية المتقدمة مصطلحاً فلسفيّاً وأطلقوا عليه كلمة ***Humanism*** وعلى المتخصِّص بهذه الفلسفة والمعرفة البشريَّة ***Humanist*** وعلى الذي يؤمن بالكمالات البشريَّة ***Humanitarian*** وصاغوا من هذه الأخيرة فلسفة مرتبطة بها تُدعى ***Humanitarianism*** وهي قريبة من مصطلح ***Humanity*** وإذا جُمعت ***Humanities*** صارت تدلُ على الدراسات الإنسانية المَعنيَّة بالثقافات والآداب والحضارات المتوالدة بعضها من بعض.

ولعلَّ لكلمة ***Animate*** وسائر اشتقاقاتها كـ ***Animated*** و ***Animal*** و(***Animation***) وأمثالها أثراً واضحاً في الدلالة على «أُمَّة الحيوان» وجنسه عُموماً والجامع بينها «النأمة» وعند تقسمه إلى فُصوله وأنواعه نلاحظ كلمة المناطقة الشهيرة: «الإنسان حيوان ناطق» فهو يشكّل الفصل الأرقى من هذه الأمة، ويتميزّ من سائر «الفصول» بعقله ومنطقه ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ﴾[٣٤٦] وبحمله للرسالة والأمانة، والأمامة، فإذا فرَّط بها يكون أضلَّ من الأنعام ـ كما ذُكر.

ومن أقسام نُطْقه: هناك نوع من الأصوات الشفويَّة الناعمة التي يُخرجها الإنسان بشكل متشابه ومتجانس يقال لها همهات: «والهمهمة: ترديد الصوت في الصَّدْر» ويراد بها التعبير الهادئ أو الهادف، إذ قد يُركَّز بها على هدف «مقدَّس» وبأسلوب عرفانيّ خاصّ، فيقال لنوع من التسبيحات «هينات» وقد ورد في الإنجليزية كلمة ***Hymn*** بهذا المعنى من الأصوات المقدَّسة والتراتيل والترانيم في «القُدّاس»، وهي ذات علاقة صوتية ودلالية بكلمة ***Harmony***

Hymn n. song of praise to God or a sacred being. hymn book of hymns[٣٤٧]

ونحن نلاحظ هنا بشكل جيِّد علاقة ***Hymn*** بكلمة «هَيْمَنَة» و «هَيْنَمَة» إذ إحداهما سبب للأخرى في كثير من الحالات، ومنه قيل «للمهيمن»: المسيطر على وجود الشيء «هَيْمَنَ» والمهيمن من أسماء الله تعالى المشتركة مثل «المُؤْمِن» يُطلق على الله ـ سبحانه ـ وعلى العبد المؤمن بالله، وقد قيل: إنَّ المُهَيْمِن أصل مشترك مع المؤْمن ومادتهما الأمْن والأمَان والإيمان»[٣٤٨].

وإنَّ كلمة «آمين» المستعملة في الأدعية والصلوات الدينيّة في مختلف الأديان واللغات تدلّ على هذا الارتباط الوثيق بالله: المؤمِن، المُهَيْمِن، الأمين المأمون . حتّى جاء معناها في المعجم الكتابي أنَّها ترادف: الحقَّ، والوعدَ الحقَّ، والأمانَ، والاطمئنانَ لأهل الإيمان:

(*Amen (true). A final word used to fix the stamp of truth upon an assertion* (*Promises of God are amen*[٣٤٩].

وإنَّ كلمة «آمين» ***Amen*** قد وردت في شتّى اللغات القديمة والحديثة واستعملت في اليونانية والعبريَّة والعربيَّة واللغات الساميَّة، كما استعملت في اللاتينية وما تفرَّع منها من اللغات الأوربية، كما أنَّ كلمة إيمان استعملت في اللغات المتأثرة بالثقافة الإسلامية كالفارسية والتركيَّة والأرديَّة بلهجات شتّى. فقد جاء في الفارسيّة: «إيْمَن» و «إيْمَني» بمعنى الأمْن والأمان ـ كما جاء في معنى كلمة «أَمُّون» الكتابيَّة: ***Ammon*** الأمان والإخلاص، أو الشخص المأمون الأمين المخلص:

(*Ammon: (faithful)*)[٣٥٠].

ومن دلالات أَمُون ***Amon*** ـ بميم واحدة ـ دلالتها على «آمين» وعلى الغَيْبيَّات مطلقاً، وقد سُمّي بها «إله» المصريين وكذلك «الشمس»:

(*Amon or Amen (mystery). an Egyptian god worshipped at The besas. Amen: the* (*sun*[٣٥١].

ومن دلالات كلمة «أمان» في النجوم الكتابي دلالتها على «الأُمّ» كما أشرنا إلى ذلك سابقاً[٣٥٢]: (*Aman: (mother)*).

والغريب أنَّ الكلمات الدالة على العلاقات النسبيَّة والسببيَّة تكون متشابهة في أغلب اللغات: «وقد ورد (***Man***) في المعجم الكتابي بمعنى آدم و (***woman***) بمعنى (***wife*** - ***man***) و (***Ummah***) بمعنى الجماعة (***Community***) و (***Aman***): المجمع و (***Aman***) الأُمّ و (***Ammah***) الرأس و (***Ammi - el***) أُمّة الله» وتلاحظ علاقة العَمّ والعمَّة صوتاً ودلالة بما تقدَّم، وكذلك هي ***Aunt*** و ***Auntie*** و ***Uncle*** في الإنجليزية.

إنَّ كثيراً من الاشتقاقات المتساوقة مع الجذر «أمن» في مختلف اللغات ذات

علاقة صوتيَّة ودلاليَّة به، ومنها في الإنجليزية كلمة **Amend** اللاتينية الأصل والواردة في الفرنسية القديمة، فهي تدلّ على الإصطلاح والصلاح والأمن والأمان من الشّر والخَلل، وقد جاء في تعريفها:

Amend (amend) [O.F. amender. L. emendare (e-ex, out of, menda, fault) V.t. alter (a person or thing) for the better; to improve; reform, Correct, formally alter (a bill or resolution) v.t. to abandon evil Courses, grow better, Amendable, a. [٣٥٣].

وكذلك هي سائر اشتقاقاتها مثل (**Amends, Amendment**) ولعلَّ (**Amenable**) (**Amenage**) تحمل نفس الدلالة أو هي قريبة منها. أمَّا كلمة **Amenity** فهي من الكلمات التي اخترناها في العنوان والتي هي في نظرنا من المشترك اللفظي والمعنوي، أو ما يُسمى بالمصطلح اللغوي:

(**Syno - Homonyms**) [٣٥٤] لتساوقها مع كلمة «الأمانة» و «الأَمَنَة» صوتاً ودلالةً وهي كلمة انجليزية من أصل لاتيني، وتدلّ بالإنجليزية وسائر اللغات المتفرّعة من اللاتينية على معنى الدَّعة والأمان، والحُبّ والولاء، وقد جاء في تعريفها:

Amenity (ameniti) L. amde nitation (amdenus, pleasant allied to aimer (F.) to love), n) The quality of being pleasant or agreeable; a feature Conducive to the attractiveness of building estate; (pl.) pleasing manners, civilities; attractions, charms) [٣٥٥].

فنحن نلاحظ أنّها تحمل على كل صفات الدعة والفرح، والحبّ والجاذبية، والأمن والراحة، ولعلَّ لكلمة **Amerce** القريبة الاشتقاق نفس الدلالة على الأمن والرحمة والحُبّ والشفقة، وهي نظيرة **mercy** [٣٥٦] في الاشتقاق، وتساوقها كلمة **Amenable**

ومن الطريف أن يُصطلح على الدواء الذي يمنح الراحة والأمان بكلمة **Amine** (***Amine... n. A pain - relieving***) [٣٥٧].

وانَّ كلمة «مؤنة» التي هي أمان وتأمين للضروريات الحياتية العامَّة وعلى الخصوص في استعمالها مضافة إلى الجيش والجُند كـ«مؤونة الجيش» و «مُؤنة الجُند»

تؤدّي معنىً يشبه تماماً كلمة **Ammunition** في الإنجليزية صوتاً ودلالة ولاسيّما في دلالتها على «المؤنة الحربية» لتشمل أنواع السلاح والدُّروع وقد وردت في الفرنسيَّة بميم واحدة:

Ammunition(Amunishgun) [F. amunition (Munition), formed by vulgar confusion of la munition with l' amonition] n. Military stores or supplies; (now only) powder, shot, shell, etc. offensive missiles generally. ammunitioned, a. provided with ammunition) [٣٥٨].

والطريف أيضاً أنَّ كلمة «مؤونة» تساوق «معونة» في العربية وقد استعملت في الاسبانية مع الكلمات الكثيرة التي دخلتها بمعنى المَهْر أيضاً كما أنَّها تساوق **money** الإنجليزية التي تعني النقود وما هو في قوَّتها من المعونات والمؤونات.

ومن الكلمات المتساوقة والتي تدلّ على العون والعفو والأمان كلمة **Amnesty** التي هي يونانيَّة الأصل واستعملت في اللاتينية واللغات الأوربية المتفرِّعة منها، كما استعملت حديثاً كمصطلح يدلّ على العفو الدولي العامّ، وقد شُكلت منظمة باسم «منظمة العفو الدولية» تُعنى بشؤون العفو والعون وتأمين العدالة القانونية أصلاً ونظريّاً، ولكنّها مع الأسف لم تخل من تأثير الأيادي الخاضعة لسيطرة الدول الكبرى والاستكبارية كسائر المنظمات الدولية المشابهة كمجلس الأمن الدولي ومنظمة الأمم المتحدة وما شاكل وشابه. وهكذا تُحرَّف الكلمات عن مواضعها الأصليَّة ودلالاتها.

وإنَّ أصل كلمة **Amnesty** يدلّ على الغُفران والنِّسيان، والعفو والأمان، وقد جاء في تعريفها:

Amnesty (amnesti) L. from Gr amnetia from amnetos, forgotten (a-, not mndomai, I remember), n. An act of oblivion, passed after an exciting political period; a general overlooking or pardon) [٣٥٩].

ومنها كلمة **Amnesia** («المصطلح الطبيّ») على ظاهرة النسيان وفقدان الذاكرة.

وإذا حصل الإنسان على معونة و «مناعة» ومنعة، وكان في أمان من الإصابة بمرض ما إمَّا ذاتياً، أو تلقيحيَّاً، فقد وُجدت عنده «المناعة» المطلوبة، كما يقال

بالاصطلاح الطبيّ ***Immunity*** وهي من ***Immune*** وقد جاء في تعريفها:

Immunity: (imuniti) n. freedom or exemption from any obligation, duty or office) (Law) exemption from a penalty, taxation etc. (Hyg.) freedom from liability to infection. Immunize (imyaniz) v.t. immunization, n. (Med.) the conferring of (immunity to a disease by artificial means [٣٦٠].

وهكذا نجد العلاقة واضحة صوتاً ودلالةً بين جذر «الإيمان» ـ عنوان البحث ـ الذي هو «أمن» وسائر الاشتقاقات القريبة منه في مختلف اللغات والثقافات، وهو ما يؤكِّد نظرتنا أو قُلْ نظريتنا التي نذهب إليها.

ولابدَّ من الإشارة في خاتمة البحث إلى سر الارتباط وعمقه بصوت «الميم» الذي يشكّل دلالة على الأصل «الأُمّ» [٣٦١] في كثير من اللغات والاشتقاقات والتي تتبلور في مترادفاتها كـ (***man***) و (***mum*** و ***mother mammy***) في الإنجليزية و ***madre*** في الاسبانية و ***mere*** في الفرنسية وجميعها ذات علاقة بـ (***mater***) اللاتينية وعنه تفرَّعت سائر اللغات الأوربية، ولعلّ في كلمة ***matter*** الدالة على «المادة» والتي تتساوق معها صوتاً ودلالةً، إشارة إلى الأصل الماديّ للأشياء. ولمّا كان الحُبُّ والرحمة والأمان وما إليها من أصول معنويّة عاطفية مرتبطة «بالأُمّ» و «المرأة» فنجد كلمة ***amour*** تدلّ على الحُبّ في الفرنسية والفعل منها ***aimer*** وكذلك الرحمة ***merci*** في الفرنسية وتقابلها ***mercy*** في الإنجليزية، وكلمة ***Ami*** بمعنى الحبيب والصديق في الفرنسية.

والملاحظ أيضاً أنَّ الكلمات..الأصول: «الأُمّ» «الأمن» «الماء» مرتبطة بصوت «الميم» ودالة على الحُبّ والحياة أصلاً ﴿وَجَعَلْنا مِنْ ٱلمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾ [٣٦٢]. وقَد نَزَلَ «الماء» من «السماء»: ﴿وَأَنْزَلنا من السماءِ ماءً﴾ [٣٦٣] وهنا تجدر الإشارة إلى القصة الرمزية الفلسفية التي تقول بعلاقة «الماء» بالرجل ***man*** وعلاقة الأرض «بالأُمّ» [٣٦٤] أو المرأة: مصدر العطاء. والزواج ***marriage*** هو الذي يتمّ بين الرجل والمرأة، والأرض هي التي تحتضن المياه وتشكّل منها البحار والأنهار، وبذلك يُسمى البحر ***mer*** بالفرنسية والأُمّ ***mere*** فيها كما أشرنا آنفاً، وكلُّ شيء يرتبط بالبحر والبحار (***mariner*** ***marine***) وهَلُمَّ جراً. وإذا كان «الماء» مصدر الحياة فالأُمّ حاضنة الحياة، والسرُّ

المقدّس في الحياة هو «الإيمان» بالأصل والمبدأ الأعلى، والله تعالى هو المؤمن المهيمن، وأنَّ كلمة (*om*) في السنسكريتيّة إشارة إلى الرمز المقدّس الخالد و (*aim*) في الإنجليزية هو الهدف وتبق «الميم» سرّاً في «ألم» من الحروف المقطّعات في أوائل السور من القرآن الكريم ـ ولا يعلم ذلك إلّا الله والراسخون في العلم.

عاشراً: مصطلح الصَّلاة

صلاة، صلادة، سلام، ثناء (*Salute, Solidarity,Solemn,Song*)

أصوات، شعارات، سبحات، صلات (*Sonants, Slogans, Supplications, Salutary*)

صلوة، صلابة، خلوص، إخلاص (*Sloughter, Salvation, Salutation Absolutely*)

﴿قُلْ إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحيايَ ومماتيّ للهِ ربِّ العالمينَ * لا شَريكَ لَـهُ وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وأنا أوَّلُ المُسْلِمينَ﴾ [٣٦٥]

حقيقة الصلاة صلة وارتباط بين المخلوق والخالق تعبداً وربوبية، وهي اعتراف قلبي ولساني بهذه الصِلات التكوينية والتشريعية، المتبلورة بالكيفية التي جاءت بها الرُّسل والأنبياء، انسجاماً مع الفطرة والطبيعة الإنسانية المتناغمة مع حركة عالم الإمكان نحو عالم الوجوب، وانطلاق المقيد نحو المطلق في سيره التكاملي الصادح الصاعد.

والصلاةُ بمعناها المظهري هي هذه التسبيحات والسبحات الروحانية الموسقة المنسقة، التي تعتمد التكرار اليومي والأزمنة المحددة والشعائر المتكررة في كتاب موقوت ﴿إنّ الصَّلاةَ كانتْ على المُؤْمِنينَ كِتاباً موقوتاً﴾ [٣٦٦] وفي الواقع لا يمكن حصر أبعادها وفوائدها في كلمات وحروف، أو رسوم وحدود، بل لا يمكن حتى الإشارة الى عوالمها ومعالمها المتشعبة، إذا أدركنا أنها شيء لا كالأشياء، إذ هي عروج وإنطلاق نحو المطلق في صراط مستقيم ﴿اَهْدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ﴾ [٣٦٧] هذا الصراط الذي مبدأه الله ومنتهاه الله، وأوّله الأوّل الذي لا أوّل لأوليته وآخره الآخر الذي لا

آخر لآخريته، غير أنَّ الكمال ـ كما قيل ـ هو «طلب الكمـال» وليس هـذا السـير التكاملي الصادح الصاعد تكويناً وتشريعاً، غير الإطلاق والإنطلاق وهي «صلات» في هذين البعدين المتلازمين. فأما بعدها التكويني فهو ارتباط المعلول بعلته، والمخلوق بخالقه، والمربوب بربه، ارتباط قيومي وقيمومي، وأما بعدها التشريعي، فقد جاءت الأديان جميعاً ـ وجوهرها واحد ـ بنسخة «الصلاة» كلٌ حسب عصرهِ ومصرهِ حتى انتهت الى الرسالة الخاتمة والشريعة العالمية الموحدة على يد سـيد الأنـبياء وخـاتم المرسلين محمد (ص) بهذه الكيفية الكاملة المكملة التي يتعبّد بهـا المسـلمون والتي: «أوّلها تكبيرة الإحرام وآخِرها السلام» مع مقدمات وتعقيبات وشروط وكـيفيات بعضها واجب وبعضها مستحب كما هو مفصل في كتب الفقه والرسائل العملية والمظان.

ولما كانت الصلاة أمراً تكـوينياً أولاً، فكـل شيء في الوجـود يـصلّي لربِّ العالمين، ويسبح بحمده وثنائه وسنائه ﴿ولكن لا تـفقهونَ تَسـبيحَهم﴾[٣٦٨]، وأمـراً تشريعياً ثانياً، فقد وردت كلمة «الصلاة» بشكل أو بآخر في جميع الأديان واللغات واللهجات، وقد عاشت وما تزال وستبق في ضمير الإنسان وعقله، وروحه وقـلبه، ولسانه وشفته، ومن أظهر مجاليها هي هذه التسبيحات والتمتمات، والترنيمات والهينمات الدينية، ولا شك أنَّ هذه الأصوات المنغمة المنسجمة تحكي عن حقيقة ارتباط منظم بناظم الوجود، وليست هي إلاّ رموزٌ للتعبير عن جلال الله وكبريائه، وجماله وعليائه، ونعمه والآئه. وبالتالي فشكر المنعم ـ ولاسيما مُنعم الوجود ـ واجب، وحمده ـ ولاسيما رب العالمين ـ لازم. ويجب أن تكون الصلاة ـ بمعناها الاصطلاحي ـ بـالكيفية التي يريدها الربّ الجليل نفسه، وكما يجب أن يُحمد ويُعبد، ويُذكر ويُمجد، وقد أرسل رسله الكرام وأنبياءه العِظام بتلكم الكيفيات التي هي كـمال وتـكميل للـعبد، وليس له ـ سبحانه ـ غاية لذاته، إذ هو الكمال المطلق، ولا يهدف الى شيءٍ من أجل نفسه، بل الهدفية والغائية لعبيده ومخلوقاته، إذ كل فاعل في الوجود الممكن يهدف في فعله الى الكمال بشتى أنواعه المادية والمعنوية، ولكنما «الكمال المطلق» والوجـود الواجب لا يهدف الى شيء لذاته، بل لتكميل الخلائق رحمةً ولطفاً، وتحنناً وكرماً.

وقد عيّنَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الكيفية الى الرسول الخاتم (ص) وقد

وردت مجملة في القرآن الكريم في عدة آيات ومنها ﴿أقِمِ الصلاةَ لدلوكِ الشمسِ إلى غَسَقِ الليل وقُرآنَ الفجر إنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مشْهوداً * ومِنَ الليلِ فَتَهجَّدْ بهِ نافِلَةً لَكَ عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ [٣٦٩] و ﴿فَسُبحانَ الله حينَ تُمسُونَ وحينَ تُصبِحونَ * ولهُ الحمدُ في السّمٰواتِ والأرضِ وعَشِيّاً وحينَ تُظهرون﴾ [٣٧٠]، وما إليها من آيات وروايات. وقد ورد عن النبي (ص): صَلُّوا كما رأيتموني أُصلّي. فقد علمه «الكمال المطلق» كيف يُصلّي ويحمد ـ وهو المحمود الأحمد ـ وكيف يسبح في عوالم الكمال والجمال والجلال.

وقد ورد في العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ عن كلمة الصلاة في بعض المعجمات المختصرة ما يأتي: «الصلاة: الدعاء، والصلاة من الله تعالى الرحمة، والصلاة واحدة الصلوات المفروضة، وهو اسم يوضع موضع المصدر، يقال صلى صلاةً ولا يقال تصليةً. وصلى على النبي (ص)» [٣٧١].

ولهذه الكلمة دلالات ومعانٍ أُخرى ذات ارتباط بالمعنى الأساسي وبسائر اشتقاقاتها وصيغها، فتارة ينظر الى طبيعة الأثر والهدف، فيقال: «صَلَى العصا بالنار: ليَّنها وقوَّمها» [٣٧٢]، إذ أنَّ من أهداف الصلاة تليين «العبد» وتقويمه، كما هو الأمر بالنسبة «للعود» وتليينه. وتارة ينظر الى الولاية والموالاة فيها، فيقال: «المصلي تالي السابق، يقال صلّى الفرس إذا جاء مصلِّياً، وهو الذي يتلو السابق، لأنَّ رأسه عند صلاهُ أي: مَغْرِز ذَنَبِه» [٣٧٣]. ولعل في هذا إشارة الى كيفية الصلاة من حيث الركوع والسجود، ولم الأطراف أمام عظمة الخالق والخضوع في حضرته بشكل متوالٍ رعايةً للموالاة، وإذا ما لوحظ منها الحرارة واللهب المقدس عند اشتعاله في خَلَد الإنسان وروحه، فيقال: «صَلَيتُ اللّحم وغيره ـ من باب رَمَيَ ـ شويته، وفي الحديث: أنَّه أُتي بشاةٍ مصلِيةٍ: أي مشوية. ويقال أيضاً: صليت الرجل ناراً. إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاء كأنَّك تريد إحراقه، قلتَ: أصليته ـ بالألف ـ وصليته تصليةً، وقُرِئ: ﴿ويَصْلَى سَعِيراً﴾ [٣٧٤] ومن خفف فهو من قولهم صَلِيَ فلان النار ـ بالكسر ـ يَصلي صِلِياً أي احترق. قال تعالى: ﴿هُمْ أَوْلى بِها صِلِيّاً﴾ [٣٧٥]، واصطلى بالنار وتصلى بها. و «فلان لا يصطلى بناره إذا كان شجاعاً لا يطاق» [٣٧٦].

وإذا ما لوحظ الهوي والسقوط والهبوط من خشية الله فهي الصلاة ﴿وإنَّ منها لَمَا يَهبِطُ مِنْ خَشيةِ الله وما الله بغافلٍ عمّا تَعملونَ﴾ [٣٧٧] حيث التفسير العرفاني لحركات المصلي وسكناته في الصلاة ذات دلالات ومعانٍ لا يعرفها إلّا الله والراسخون في العلم، وما يترشح من أولئك الراسخين على بعض أهل المعرفة والتقوى، فيرون في الركوع أنَّه «نصف الفناء» بعد أن يطوي المصلّي مراحلها من المقدمات الواجبة والمستحبة، من الطهارة والأذان والإقامة وتكبيرة الإحرام والفاتحة والسورة بنيةٍ خالصة «قربةً الى الله تعالى» وبوعي تام لمضامين البسملة والتحميد والتوحيد، بقوله: ﴿بسمِ الله الرّحمٰن الرّحيم * الحَمدُ لله رَبِّ العالمين * الرّحمٰن الرّحيم * مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ وصولاً لمرحلة الشهود والتعبيد، بقوله ﴿إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَستَعينُ﴾ ثم مرحلة القرب والدنو في المناجاة والمخاطبة، والدعاء والسؤال بطلب الهداية في السير في مدارج الكمال: ﴿أهدِنا الصّراطَ المُستقيم﴾ الذي هو سير تكاملي دائم نحو المطلق والمعرفة اللامتناهية، كما ألمعنا إلى ذلك في بحثنا المختصر حول (فاتحة الكتاب) [٣٧٨]، وكذلك بعد طيّه مرحلة السورة الثانية، ولاسيما في اختياره لسورة التوحيد ـ سورة الإخلاص ـ التي فيها يتجلّى التعريف الدقيق لمعنى التوحيد، كما عرَّف نفسه رب العالمين ووصفها بالأحدية والصمدية، وعدم المثلية بقوله: ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم * قُلْ هُوَ اللهُ أحد * اللهُ الصَّمدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحد﴾ ـ كما عرضنا لذلك في بحث خاص ـ [٣٧٩]، بعد ذلك كله لا يتمالك العبد إلاّ أن يركع متفانياً في عظمة الله التي وصل اليها في عروجه الصلواتي حيث «الصلاة معراج المؤمن» فيقول: «سبحان ربي العظيم وبحمده» وما شاكل من تسبيحات وتنزيهات، وحتى إذا ما ذاقَ طعم «الركوع» لله وحده فيقوم منه منتشياً ليهوي الى «السجود» الذي هو «فناء تام» لا في الذات المقدسة ـ فهذا محال ـ وإنّما بإدراك علوها وعلائها من خلال هذا الهوي والهبوط والنزول:

«وقُصارى هذا الصعود نزول»

فيتمتم خاشعاً خاضعاً: «سبحان ربي الأعلى وبحمده». وهكذا تتكرر الركعات حسب حِكَم إلٰهية خفية من «ركعتين في الصباح» وأربع أربع في الظهرين أو

قل العصرين ـ من باب التغليب ـ ومن ثم في المغرب «ثلاث» وفي العشاء «أربع» كما هي السنّةَ والسيرة: «صلّوا كما رأيتموني أُصلي» في الصلوات الواجبات ـ وإلى أمثالها من الصلوات المستحبات ـ التي تـزدان بـالتسبيحات والتـحميدات، والتهـليلات والتكبيرات التي لخصت في «السبحانيات» بالصورة التي بُنيت عليها أركان الكعبة الأربعة في الأرض والبيت المعمور في السماء: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر». حيث يفاد من قوله: «سبحان الله» التنزيه و «التخلي» والعبور الى مرحلة الجلال، ومن قوله: «الحمد لله» الثناء و «التحلي» والعبور الى مرحلة الجمال [380]، ومن قوله: «لا إله إلاّ الله» التوحيد ونفي الشريك ـ لا كما هو مشهور، نفي وإثبات ـ ومن قوله: «الله أكبر» معاني الجلال والجمال معاً، بتفسيرين وبعدين فلسفيين عـقيديين، الأوّل: الله أكبر من أن يوصف، أو يظلم، أو يترك خلقه سدى، وما شاكل، والثاني: الله الكبير المتعال، وهنا أكبر بمعنى كبير وكذلك كل ما ورد من صيغة «أفعل» في صفات الله تعالى تكون بمعنى «فعيل» وأمثالها، لأنَّه لا يمكن التفاضل بين الخالق والمخـلوق، وليس له محل في هذا الموضوع [381]. وبعد العبور من خلال كل هذه المراحل والمعاني لا يسع العبد إلاّ أن يذعن للإخلاص والخلاص والتشهد والتسليم، وينفلت من الصلاة بالسلام على من جاء بالسلام وعلى آله الكرام، ويرجع ملتفتاً الى من حواليـه مـن العباد الصالحين بتكرار السلام، وهو من سنن الإسلام، وآداب أُولي الأحلام.

فهذه باختصار بعض رموز «النسخة الكاملة» التي جاء بها النبي محمد (ص) في كتاب الصلاة، والتي تكاملت مراحلها ومعانيها في دين الإسلام. وليس هنا مجال التفصيل والتطويل فيها، فليرجع الى المظان والرسائل العملية، وسائر الكتب الفقهية والعرفانية، غير أنّا نريد هنا أن نؤكد على ورودها في جميع الأديان بأشكال مماثلة ومتشابهة، إذ حقيقة الأديان واحدة، ومنبعها واحد، حتى ورد اصطلاحها، ومجـال أدائها في القرآن الكريم بتعابير مختلفة من «الصوامـع» و «البـيع» و «الصـلوات» و «المساجد»: ﴿وَلَولا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيها اسمُ الله كثيرا﴾ [382]، وهذه المحال المذكورة هـي محـال العـبادة ومواضع الصلوات، كما جاء التفسير بذلك: قوله تعالى ﴿بِيَعٌ وصَلوات﴾، قال ابـن

عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ هي كنائس اليهود، أي مواضع الصلوات»[٣٨٣]

وإذا ما حاولنا تطبيق نظرية الاشتقاق الأصغر والأكبر ـ أو الكبير ـ المعروف في العربية قديماً، وما يشابهها من النظريات الحديثة في علم الأصوات والصرف الحديثين، لوجدنا في مادة «صلل» ما يدل على الصوت والتصويت الذي دلت عليه بعض معاني الصلاة، فيقال: «صلصلة اللجام صوته إذا ضوعف. قلت: يعني إذا ضوعف الصوت. قال الأزهري: قال الليث: يقال «صلّ» اللجام إذا توهمت في صوته حكاية «صوت صل» فإن توهمت ترجيعاً قلت «صلصل». وتصلصل الحُلي: صوت وطين صلال ومصلال أي يصوِّت كما يُصوِّت الفخّار الجديد»[٣٨٤]. وبإبدال بعض الأصوات الرئيسية في المادة نحصل على «صلق»، و «والصّلق: الصوت الشديد، وفي الحديث: «ليس منا من صلّق أو حلّق». قلت: معناه من رفع صوته أو حلق شعره عند حلول المصائب. قال الفراء: سلقوكم بألسنةٍ، وصلقوكم لغتان. والصلائق: الخبز الرقاق»[٣٨٥]

وفي مادة «صهل»: «الصهيل: صوت الفرس، وقد صهِلَ يصهِلُ ـ بالكسر ـ صهيلاً وصُهالاً ـ أيضاً بالضم ـ فهو فرس صهال»[٣٨٦]

وإذا ما أردنا الإشارة الى بعض «معاني الصلاة» الأخرى، فنجدها في مادة «صول» وهي الوثوب الى الحق وتلبية نداء المؤذن بصولةٍ وجولةٍ روحانيةٍ وحركةٍ ورياضة جسمانية، فيقال: «صالَ عليه: استطال، وصال عليه: وثب، وبابه «قال»، وصولةً أيضاً. يقال: ربَّ قولٍ أشدُّ من صولٍ، والمصاولة: المواثبة، وكذلك الصيال، والصيالة[٣٨٧] ولعل كلمة صولجان المعرَّبة عن الفارسية ـ كما يقال ـ تحمل بعض هذه الدلالة وهي متشابهة صوتاً ومعنى، وقد جاء في مادة «صلج» عنها ما يأتي: «الصولجان ـ بفتح اللام ـ المحجن: فارسي معرَّب. وكذا كل كلمة فيها صاد وجيم، لأنهما لا يجتمعان في كلمةٍ واحدة من كلام العرب، والجمع: الصوالجة « ـ بكسر اللام ـ »[٣٨٨].

وإذا ما رجعنا إلى مادة «صلح» القريبة منها في الاشتقاق، فنجد فيها كثيراً من معاني الصلاة ودلالاتها، حيث أنّ الصلاح ابتعاد عن الفحشاء والمنكر واتخاذ الطريقة المثلى في كل الأُمور والسير على صراط مستقيم نحو التكامل والتقوى، وكذلك هي

أبعاد الصلاة وأهدافها: ﴿إنَّ الصَّلاةَ تنهى عن الفَحشاءِ والمُنكَرِ ولَذِكرُ الله أكبر﴾ [389] ﴿وأنْ أَقِيموا الصلاةَ واتّقُوهُ وهو الذي إليه تُحشَرون﴾ [390] و﴿فَخلفَ من بَعدِهِمْ خلفٌ أضاعوا الصَّلاة واتّبعوا الشهواتِ﴾ [391] وإلى ما هنالك من آيات كثيرة تدل على هذه الرابطة بين الصلاة والصلاح، وبين اضاعة الصلاة واتباع الشهوات، وقد جاء في معاني الصلاح اللغوية والدلالية ما يأتي مختصراً: «الصلاح ضد الفساد، وبابه «دخل» ونقل الفرّاء صَلُح ـ أيضاً بالضم ـ وهذا يصلح لك أي هو من بابتك. والصِّلاح ـ بالكسر ـ مصدر المصالحة، والاسم «الصلح» يذكّر ويؤنث. وقد اصطلحا وتصالحا واصّالحا ـ بتشديد الصاد ـ والإصلاح: ضد الإفساد. والمصلحة واحدة المصالح. والاستصلاح ضد الاستفساد» [392].

وبإبدال مواضع بعض الأصوات في المادة المتقدمة «صلق» نحصل على مادة جديدة هي «صقل»، وهو ما يصطلح عليه «بالقلب المكاني» عند اللغويين العرب والمسلمين القدامى، ونجد فيه أيضاً بعض أبعاد الصلاة وأهدافها حيث «الصَّيقليّة» والصَقل المادي والمعنوي، وقد جاءت كلمة متشابهة لها صوتاً ودلالة في الانجليزية وهي ***Skill*** و ***Skillfulness***، وكذلك الأمر في اشتقاقات متشابهة في مختلف اللغات القريبة منها. وأكثر دلالاتها في العربية على اعداد السيف للمبارزة في «محراب» الحروب والمعارك، وكذلك هي الصلاة إعداد روحي وجسمي في «محراب» المساجد والجوامع. وقد جاء فيها «صقل السيف وسقله أيضاً صقلاً من باب «نصر» وصِقالاً أيضاً ـ بالكسر ـ فهو صاقل، والجمع صَقَلَة ـ بفتحتين ـ والصانع صَيّقَل والجمع الصياقلة. والصّقيل: السيف، والمصقلة ـ بالكسر ـ ما يُصقل به السيف ونحوه» [393].

وليس كالصلاة مِصقلة وصاقلة لروح الانسان وقلبه، وعقله ولبّه، بل وحتى لجسمه وجسده، فهي حقاً رياضة روحية وبدنية [394]. وما أروع فوائدها وآثارها لمن تدبرها وعاشها !! أليست هي «معراج المؤمن» و «قربان كل تقي» ؟ أليست الصلاة دعاء، و «أحب الأعمال إلى الله في الأرض»، و «أفضل العبادة» و «سلاح المؤمن» و «عمود الدين» و «نور السماوات والأرض»؟ و «إن قُبلت ـ الصلاة ـ قُبِلَ ما سواها، وإن رُدَّت رُدّ ما سواها»، وهي باختصار: صلاة وصِلات، ودعاء وداع ومدعو، وما

أجمل الجميع، وأجلّ السميع[٣٩٥].

ولما قلنا أنّها واردة في جميع الأديان واللغات، واللهجات والاشتقاقات، فلابُدّ أن ندلل على ذلك من باب المثال لا الحصر ـ هنا ـ لأنّ المتتبع للمواضيع التي طرحناها يكاد يستشف ما نذهب إليه من خلال تطبيق النظرية العالمية الكونية ***Universality***، أو ما اصطلحنا عليه نحن في «مدخل»» العرض لنظريتنا المستنبطة من القرآن الكريم والقائمة على نظرية وحدة المعرفة ***Unitheism***[٣٩٦] وأنَّ هذه المفردات والعينات والاصطلاحات المبحوثة في هذه السلسلة بشكل مقارن، تكاد تشكل التوازن بين النظرية والتطبيق، أو قل بين النظرية والوصف، وهو ما يصطلح عليه بالإنجليزية ***theory*** و ***description*** ويؤثر ويتأثر كل منهما في الآخر فإذا صحت النظرية صحّ الوصف والموصوفات والمعطيات، وإذا صحت الموصوفات والمعطيات الـ (***data***) صحّت النظرية.

ومن هذه الـ (***data***) هنا هي كلمة «الصلاة» ودلالاتها المنغّمة المنسجمة صوتاً ودلالة في مختلف اللغات واللهجات والاشتقاقات. فكلمة ***salute*** الانجليزية وسائر اشتقاقاتها من مثل ***salutary*** و ***salutation*** تتشابه مع كلمة صلاة من حيث الدلالة على التحية والسلام والانسجام، بل أبعد من ذلك انعكاسها في كلمة ذات علاقة بها وهي (***Absolute***) التي تدل على النقاء، والصفاء، والصيقلة، والخلوص، والتمام، والطهارة. وإذا ما بولغ في «الظرفية» منها فيقال:***Absolutely***وهي منتهى الصفاء، والنقاء، والكمال، وقد وردت كلمة ***Salutation*** هذه في المعجم الكتابي ***Bible*** الذي تنعكس فيه المفردات الساميّة والدينية بشكل عام، بهذه المعاني وأمثالها من السلام والتحية ولاسيما في اطارها المقدس:

Salutation (good health, greeting) personal salutation very formal in the East. The) peace be with thee or similar exprssion, was accompanied by a profound (bow,kiss, embrace, or other courtesy[٣٩٧].

وبإبدال جزئي في بعض أصواتها المتقاربة نحصل على (***Salvation***) وهي أكثر دلالة على التقرب والقربان الروحي، والانطلاق والاسترسال الروحاني:

(*Salvation: (deliverance) Temporal deliverance... Spiritual deliverance*)[٣٩٨].

وهذه الكلمة تتساوق مع «الصلب» صوتاً ودلالةً، وفيها معنى التضحية والفداء في سبيل هدف مقدس، ومنها تشكل المصطلح الديني العسكري (***salvation army***) في حركة التبشير المسيحي.

والكلمة الكتابية القريبة الأخرى (***salathi - el***) تدل على معنى مشابه، غير أنّه يصرف إلى الدعاء والسؤال من الرب بالذات:

(*Salathi - el (asked of God)... Shealtiel elsewhere*)[٣٩٩].

فنحن نلاحظ الإبدال بين السين والشين في اللغات، ولاسيما بين العربية والعبرية، في مثل سلام وشلوم، وشفه وسفه، وسماء وشمايم، وما إليها، وكذلك هنا في «صلاة - إل» و «شلاة - إل» وقد عرضنا لدلالة كلمة «إل» على «الله» في العربية والعبرية وسائر اللغات السامية، بل أشرنا إلى اشتقاقاتها ودلالاتها في مختلف اللغات الانسانية في فصلٍ سابق[٤٠٠].

وحتى أنّ كلمة ***saul*** في العبرية تعني «السؤال» وقد وردت بلغة أُخرى ***shaul*** وهي جميعاً متشابهة صوتاً ودلالة، وقد سمي بها أحد ملوك بني إسرائيل، ورأس القبيلة التي سُميت باسمه (***shaulites***).

(*Shaul (asked) A son of simeon and founder of the shaulites*)[٤٠١].

وهنا أيضاً حصل الإبدال بين السين والشين في ساؤول وشاؤول بمعنى كثير السؤال والدعاء. وقد يرد الإبدال في اللغة نفسها بلهجة أُخرى حيث وردت «سلام» أيضاً في المعجم الكتابي إضافة إلى شلوم، كما وردت بقراءتين ***salem*** و ***salim*** ونحن نعلم أنّ «السلام» من أسماء الله تعالى وإليه ينتهي السلام، كما أنّ كلمة «سلام» تأتي بمعنى «الصلاة» وإليه يصلّي المصلون. وقد جاء تعريفها في معجم (كاسل) وهو يتحدث عن السلام: ***salam*** بمعنى الصلاة: ***salutation***.

(*Salam: Arab salam, n. A ceremonious salutation or obeisance among orientals*)[٤٠٢].

وقد جاء جذرها في اللاتينية هكذا ***salutare*** ومنها اشتقت سائر المفردات

الواردة في اللغات الأوربية.

وإذا ما توجهنا إلى معنى الصلاة بمفهوم الخطاب والمكالمة مع الربّ، كما هو مضمون كلام الإمام علي ـ عليه السلام ـ إذا أردت أن أتكلم مع الله صلّيت وإذا أردت أن يتكلم معي الله قرأتُ القرآن، فنجد أنّ كلمة **say** و **saying** في الانجليزية التي تعني الكَلام ـ بفتح الكاف ـ ذات علاقة أصواتية ودلالية بكلمة **slaying** التي تعني الكُلام ـ بضم الكاف ـ للدلالة على الجرح والجارحة، ومنها اشتقاق الكلمة **slaughter** بمعنى الذبح والقُربان، وهي متشابهة صوتاً ودلالة مع كلمة صلاة. ونحن نعلم أنّ أثر «الكلام واللسان» أبلغ من أثر «الكلام والسنان» حتى ورد الاستشهاد بالبيت الآتي في كثير من الكتب النحوية واللغوية التي تتعرض لأثر الكلام واللسان وأقسام الكلم والكلمة واشتقاقاتها:

جراحات السِّنانِ لها ٱلتئامُ ولا يلتامُ ما جرح اللسانُ [٤٠٣]

وكذلك هو تأثير الشعارات والشعائر الدينية والسياسية، حتى جاءت كلمة **slogans** في الانجليزية ترجمة لها، وهي تدل على عمق الأثر والتأثير، وشدة الرابطة والارتباط. ولا تخفى دلالاتها الموسيقية والشعرية في كلتا اللغتين العربية والانجليزية، وهي قريبة جداً من كلمة **solemn** بمعنى السلام والتحية، و كلمة **sonnet** و **sonant** و **sound** و **song** وما شاكل وشابه من الكلمات التي ذكرناها في صدر الموضوع من حيث الدلالة على الأصوات والشعارات، والصلوات والتسبيحات، ونحن نلمع هنا إلى الرابطة الأصواتية والدلالية بين التسبيحات و **supplications** وهي قريبة جداً من كلمة «سبحانيات» أيضاً.

وإذا ما توسعنا قليلاً بالاشتقاقات في مختلف اللغات فنلاحظ كلمة **sibilant** تدل على التصويب والجرس الناعم: (**Sibilant: a sounding like a hiss**) [٤٠٤].

وليس بأدل من كلمة **slight** على اللطافة والرقّة في الانجليزية وهي متشابهة مع الصلاة تماماً. وإذا ما اشتد الصوت نعومة وهدوءاً، وصار أقرب إلى التأوه فهو **sigh** في الانجليزية وهو صوت نفسي، وحديث مع النفس هادئ، ولعل كلمة **Psyche** اليونانية التي تدل على النفس ذات صلة صوتية ودلالية بها،وهي تلفظ بالانجليزية

بدون نطق الحرف الأوّل،بعكس الفرنسية التي ما تزال تلفظه، ومنها قيل لعلم النفس في مختلف اللغات المتفرعة عن اليونانية (**Psychology**). وإذا ما توجهنا إلى مفهوم «الصلاة» العميق الذي هو في حقيقته حديث النفس مع الله تعالى لغرض التوازن والكمال، والعبادة والمعرفة، فهي قريبة منها صوتاً ودلالة مع مراعاة التطور الأصواتي والدلالي عبر القرون واللغات والأقوام والحضارات. والكلمة المعاصرة في الانجليزية للنفس هي **self** وإذا ما علا صوت الروح وأصبح صفيراً عالياً، فهو **seraph** ومنه «إسرافيل» المَلَك الموكّل بالصفير والصور والصيحة المشار إليها في القرآن الكريم: ﴿إنْ كانت إلاّ صيحةً واحدةً فإذا هُمْ جميعٌ لدينا مُحْضَرون﴾[٤٠٥]. وإنّ دلالة كلمة **cherub** المتشابهة صوتاً ودلالة معها لتدل على معنى الصلاة بمفهومها القرباني والقُربي، ومنها قيل للمقرّبين والكروبيين في الانجليزية **cherubin**.

ولولا خشية الإطالة، ومحدودية هذه الصفحات لعرضنا إلى كثير من تلكم الدلالات والاشتقاقات في مختلف اللغات، غير أننا نكتفي ببعض العينات والنماذج التي تشير إلى مثيلاتها ونلمع إليها الماعاً، ونترك التفصيل والتوضيح اعتماداً على فطنة القارئ اللبيب. ومن تلك الكلمات المتساوقة لفظاً ودلالةً مع كلمة «الصلاة» **slant** وقد لوحظ فيها الميلان والانحناء في الاتجاه، أو قل الحنو والسجود الذي تهيؤه أجواء الصلاة المادية والمعنوية، وكذلك كلمة **syllable** التي تدل على تقطيع الصوت وترجيعه، وتجويده وتنغيمه، وكلمة **sound** ومشابهاتها من الكلمات المشار إليها ك (**sonant**) التي تشير إلى الحمد والدعاء، و «الثناء» و «السناء»، المنبعث من الأصوات المسبحة. والجامع بينها هو النغم الإلهي العرفاني والتسبيح الفطري الرباني حتى أنّ كلمة **song** التي تدل على الغناء وترجيع الصوت مطلقاً.

ولابُدَّ أن نؤكد بأنّا نقصد إلى النغم والغناء والترجيع بالصوت الطبيعي المهذّب الذي يذكرنا بالقراءات الزبورية والنغمات الداوودية، المعبّر عنها بلغة القرآن بالتأويب والتأويه والتسبيح معادلة لكلمة **supplication** المتقدمة.

وليست الصلوات إلّا تسبيحات،وسبحات ربّانية،وأنفاس رحمانية، ومن أجلىٰ مظاهرها ـ كما ألمعنا ـ «السبحانيات الأربع»: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله،

والله أكبر» المعادلة لمصطلح ***supplication*** في الانجليزية من باب التغليب، لأهمية «التسبيح» وأوليته، وأولويته. وقد أشرنا إلى ذلك من باب المراحل العرفانية، حيث التسبيح في حقيقته «التنزيه» وهو «مرحلة التخلية»، إذ انّ الله سبحانه وتعالى منزّه «ذاتاً» ولا يحتاج إلى تنزيه، وإنّما هو استشعار لنا بعظمة «الجلال»» والتزكية وبعده تأتي «مرحلة التحلية» المتمثلة بالتحميد لله، وهو تعالى غني عن تحميدنا وثنائنا، غير أنّه في الواقع استشعار لنا بصفات الجمال، والتحلّي بالخُلق الإلهي المتألّه. وكذلك هي بقية التسبيحات التي تنصرف إلى التوحيد، والتكبير، اللذين يقودان إلى «مرحلة التجلية». وفي الواقع انّه تعالى ظاهر وجلّي، وليس محتاجاً إلى مُظهر ومُجل، غير أنّ هذه المرحلة تقود إلى «برهان الصديقين» الذي عرضنا له سابقاً في بعض بحوثنا.

وقد جاء التسبيح والتنزيه والتحميد معادلاً لكلمة «صلاة» في الفارسية القديمة التي يصطلح عليها «نماز» وقد تطورت إلى المعنى الحديث المرادف تماماً لكلمة «صلاة» الشرعية، وكذلك هو الأمر في كلمة ***Prayer*** في الانجليزية، إذ أنّها ذات صلة وثق بـ (***Praise***) التي تعني الحمد والتحميد، وهي قريبة من الكلمة الفارسية «پرستيدن وپرستش» بمعنى العبادة، وقد وردت في الفهلوية القديمة بهذا اللفظ / ***Parast*** / والسنسكريتية / ***Parrstha*** / وتنوعت ألفاظها في مثل / ***Parastidan*** / و / ***firistadan*** / ومعناها جميعاً العبادة والتأليه، والوقوف بين يدي العظيم، كما جاء تفسيرها نصّاً.. «دوركسي ايستادن»[٤٠٦]. وهي مركبة من بادئة ***Pari*** بمعنى حول وحور ودور المتساوقة صوتاً ودلالةً، ومثلها في اللاتينية وما تفرّع منها من اللغات الأوربية ***Para*** ومن جذر ***stha*** بمعنى الوقوف ويقابلها في الانجليزية ***stand*** و ***stance*** وهي أيضاً متشابهة صوتاً ودلالة في مختلف اللغات. وليست العبادة إلاّ الوقوف بين يدي الخالق العظيم والتوجه إليه وحواليه. والمهم في الأمر هو هذا التوجه والجهة نحو «وجه» الله، وان كان كل شيء في الوجود هو «وجه الله» ومظهر له تعالى: ﴿فَأَينَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجه الله﴾[٤٠٧]، لكننا أُمرنا وجوباً بالتوجه إلى القبلة في الصلاة وحدة وتوحيداً، وأمرنا استحباباً بالقول: ﴿إنّي وجّهتُ وجهِيَ للذي فَطَرَ السمٰواتِ والأرضِ حنيفاً وما أنا من المُشركين﴾[٤٠٨] ﴿قُل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله رَبِّ العالمين﴾[٤٠٩]

هوامش الفصل الثالث

١ـ من أهم ماقدّمه سوسير **Saussure** رائد علم اللغة الحديث **Linguistics** لهذا العلم هو تأكيده ضرورة التمييز في البحث بين اللغة كنظام تجريدي وبين الكلام كنظام واقعي في أثناء التكلم أو الكتابة. والنصّ الآتي من مقدمة كتابه المترجم للانجليزية **Course in General Linguistics** في الصفحة **xvii** يوضّح ذلك

that is precisely what he did. distingiushing with a bold stroke between language as a system (la langue) and the actual manifestations of language in speech or writing (la parole). Glasgow 1974.

٢ـ سورة الروم، الآية: ٢٢.

٣ـ جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ط: الهلال ـ مصر ١٩٠٤، ص١.

٤ـ سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٥ـ سورة النساء، الآية: ١.

٦ـ سورة الرحمن، الآية: ١ـ٤.

٧ـ انظر «القرآن وعلم اللغة الحديث» الفصل الأوّل من الكتاب.

٨ـ سورة الشورى، الآية: ٥١.

٩ـ سورة فصلت، الآية: ٢١.

١٠ـ سورة النحل، الآية: ١٦.

١١ـ سورة إبراهيم، الآية: ٤.

١٢ـ سورة العنكبوت، الآية: ١٨.

١٣ـ حديث مشهور متواتر، وقد ورد بمضمون واحد بعدة تعبيرات.

١٤ـ وقد عبر عنها جومسكي **Chomsky** أيضاً بـ **Grammaticalness** وهي مستوحاة من نـظريته

التوليدية اللغوية الشهيرة بـ ***Transformationalims*** أو اختصاراً ***T.G.G.*** التي شرحها في كتابه:
Aspects of Theory of Syntax U.S.A 1965 Copyright

١٥ـ سورة النحل، الآية: ١٠٣.

١٦ـ سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

١٧ـ سورة القصص، الآية: ٣٤.

١٨ـ سورة البلد، الآية: ٨ ـ ٩.

١٩ـ سورة طه، الآية: ٢٧ ـ ٢٨.

٢٠ـ سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

٢١ـ سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

٢٢ـ سورة الفتح، الآية: ١١.

٢٣ـ انظر للزيادة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ط: القاهرة ١٣٦٥ هـ، ص ٦٤٧ .

٢٤ـ يلاحظ التشابه الدلالي والأصواتي بالفرنسية.

٢٥ـ سورة فصلت، الآية: ٢٦.

٢٦ـ سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

٢٧ـ سورة المؤمنون، الآية: ٣.

٢٨ـ سورة الواقعة، الآية: ٢٥ـ٢٦.

٢٩ـ سورة الغاشية، الآية: ١٠ـ١١.

٣٠ـ انظر المعجم الكتابي: ***Bible Dictionary, P. 535 New York, 1978.***

٣١ـ انظر معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, p. 657. London, 4th Ed. 1986.***

٣٢ـ انظر معجم كاسل: ص ٦٥٦.

٣٣ـ ترجمة أول سفر التكوين، (بالفارسية).

٣٤ـ عبد الرحمٰن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج٢ (ط. بيروت ـ ١٩٨٠)، ص ١٥ .

٣٥ـ في سورة آل عمران، الآية ٤٥ « . إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ .».

٣٦ـ سورة الرحمٰن، الآية: ٣ـ٤.

٣٧ـ سورة العلق، الآية: ١ـ٥.

٣٨ـ سورة البقرة، الآية: ٣١ـ٣٣.

٣٩ـ سورة البقرة، الآية: ٣٤.

٤٠ـ سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

٤١ـ تراجع الآيات المتعلقة بمضامين هذه العبارات وتفاسيرها.

٤٢ـ سورة العلق، الآية: ١ـ٥.

٤٣ـ انظر مصطلح: القلم.

٤٤ـ سورة التين، الآية: ٤.

٤٥ـ سورة البقرة، الآية: ١ـ٢.

٤٦ـ انظر «القرآن وعلم اللغة الحديث»، الفصل الاول من الكتاب.

٤٧ـ سورة الأنفال، الآية: ٣٧.

٤٨ـ سورة المرسلات، الآية: ٣٨.

٤٩ـ سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

٥٠ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.

٥١ـ انظر دعاء كميل المروي عن الإمام علي (ع) «مفاتيح الجنان» القمي، ط: طهران ١٣٤٢، ص ١١٢.

٥٢ـ سورة فصلت، الآية: ٥٣.

٥٣ـ سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٥٤ـ انظر على سبيل المثال مقالتنا: التاريخ بين ورقتين، مجلة التوحيد، العدد العشرون، ص ٥٤.

٥٥ـ انظر مصطلح «ولاية الفقيه».

٥٦ـ المطرزي، المعرّب (ط: بيروت): «الألثغ: الذي يتحول لسانه من السين إلى الثاء، وقيل من الراء إلى الغين أو الياء»، ص ٤٢٠.

٥٧ـ في المختار، ص ٥٩١، مادة لبي «لبَّى بالحج تلبيةً وربّما قالوا: لبأ بالحجِّ بالهمزة وأصله غير مهموز».

٥٨ـ المطرزي، المعرّب، (ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت)، ص ٤١٨.

٥٩ـ ***The Little Oxford Dict. p. 334 * 1984.***

٦٠ـ انظر معجم كاسل، ص ٦٥١ وكذلك معجم اكسفورد الصغير ٣١٦.

٦١ـ استعملت كلمة ***Vilayet*** وكلمة ***Vali*** في الانجليزية ولاسيا الحديثة، وقد وردت بهذه الدلالة في بعض

المعجمات مثل معجم هانس وير: ***Arabic - English Dictionary.p. 1100 (New York 1976)***

٦٢ـ الدستور الإسلامي في إيران، ط. وزارة الارشاد، ص ١٢.

٦٣ـ «للفقيه العادل جميع ما للرسول والأئمة ـ عليهم السلام ـ ممّا يرجع إلى الحكومة والسياسة» أساس الحكومة الإسلامية. للسيد كاظم الحائري، ص ١٤٤ نقلاً عن كتاب البيع للإمام الخمينيّ، ص ٤٦١ .

٦٤ـ تلاحظ كلمة (أهل) و (آل) و (عائلة) وهم عصبة الرجل وعشيرته، وجميعها تساوق صوتاً ودلالةً.

٦٥ـ سورة مريم، الآية: ٥.

٦٦ـ سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

٦٧ـ سورة محمد، الآية: ١١.

٦٨ـ شاهد شعريّ.

٦٩ـ المطرّزي، المغرّب في ترتيب المعرّب، (ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت)، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

٧٠ـ ينظر معجم كاسل: ***Cassell's: English Dictionary, (London - .1975)p.673.***

٧١ـ سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٧٢ـ سورة الصافات، الآية: ٨٤.

٧٣ـ سورة القصص، الآية: ١٥.

٧٤ـ انظر معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, p. 1091.***

٧٥ـ لقد وردت مادة (كرب)=(قرب) في مختلف اللغات السامية بهذه العلاقة والدلالة.وقد أعطاها الدكتور جواد العلي حجماً ضخماً من كتابه: تاريخ العرب قبل الإسلام.

٧٦ـ الرازي «مختار الصحاح» مادة (ال ه) ص ٢٢.

٧٧ـ انظر معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, p. 27.***

٧٨ـ معجم وبستر: ***Webster's Bible Dictionary, p. 517.***

٧٩ـ الرازي، مختار الصحاح، مادة (ال ه)، ص ٢٢.

٨٠ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٨١ـ سورة النور، الآية: ٢٢.

٨٢ـ الرازي، مختار الصحاح، مادة (ال ا)، ص ١٣.

٨٣ـ سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

٨٤ـ انظر معجم كاسل: *Cassell's English Dictionary, p. 28*.

٨٥ـ معجم اكسفورد الصغير: *The Oxford Mini Dictionary, p. 10*.

٨٦ـ معجم كاسل، المصدر السابق.

٨٧ـ المصدر السابق، ص ٢٧.

٨٨ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٨٩ـ معجم اكسفورد: *The Oxford Mini Dictionary.p.10*.

٩٠ـ المصدر السابق، نفس الصفحة. ويلاحظ التبادل الصوتي بين حرفي الجيم والياء في مختلف اللغات والاشتقاقات.

٩١ـ انظر معجم كاسل: *Cassell's English Dictionary .p.694*.

٩٢ـ كتابنا أمالي الهادي، (ط. بيروت ـ ١٣٩٥هـ)، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

٩٣ـ سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٩٤ـ سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

٩٥ـ سورة الحشر، الآية: ٧.

٩٦ـ سورة الكهف، الآية: ٤٤.

٩٧ـ سورة الأحزاب، الآية: ٦.

٩٨ـ سورة النساء، الآية: ٥٩ «أَطِيعوا اللهَ وأَطِيْعُوا الرسولَ وأُولي الأمرِ منكُم».

٩٩ـ سورة النساء، الآية: ٥٩.

١٠٠ـ سورة التوبة، الآية: ٩١.

١٠١ـ كتابنا أمالي الهادي، (ط. بيروت ـ ١٣٩٥هـ)، ص ٢٩ ـ ٣٠.

١٠٢ـ الاستاذ الجعفري، الحاكمية الإلهية، مجلة التوحيد، العدد الثاني، السنة الأولى ١٤٠٣هـ، ص ١٢٤.

١٠٣ـ «من البديهي أنّ الحاكم المطلق والمشرّع الأساس في الإسلام هو الله سبحانه، نعم هناك بعض (مناطق الفراغ) التي تركتها مرونة الإسلام ليملأها «ولي الأمر»، السيد كاظم الحائري، أساس الحكومة الإسلامية، (ط. بيروت ـ ١٣٩٩هـ)، ص ٢٤.

١٠٤ـ آية الله الشهيد الصدر، صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي، ط (الخيام، قم ـ ١٣٩٩هـ)، ص ٢٨ ـ ٢٩.

١٠٥ـ الرازي، مختار الصحاح، (ط. دار القلم ـ بيروت)، ص ٥٠٩.

١٠٦ـ سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

١٠٧ـ «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيْناً»، المائدة/٢.

١٠٨ـ سورة الحجرات، الآية: ١٣.

١٠٩ـ سورة يونس، الآية: ١٩.

١١٠ـ «وَماأَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِيْنَ» الأنبياء/١٠٧.

١١١ـ «وما أَرْسَلْناكَ إِلّا كافَّةً للنَّاسِ» سبأ/٢٨.

١١٢ـ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

١١٣ـ سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

١١٤ـ سورة آل عمران، الآية: ٧.

١١٥ـ سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

١١٦ـ الرازي، مختار الصحاح، ط. دار القلم ـ بيروت، ص ٢٥ـ٢٦.

١١٧ـ النشيد المعاصر يتحدّث عن «القدس» الشريف وسقوطه في أيدي الصهاينة، ومن أسمائه: «أم المدائن».

١١٨ـ «إِنَّ إبراهيمَ كان أُمَّةً قانِتاً للهِ حَنيفاً» النحل/١٢٠.

١١٩ـ «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعامِ بَلْ هم أَضَلُّ سَبِيْلاً» الفرقان/٤٤.

١٢٠ـ معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary.p.569***.

١٢١ـ انظر المصدر السابق، ص ١٢٨٣، ومعجم وبستر الكتابي، ص ٥٧١ مادة: ***Woman***.

١٢٢ـ سورة البقرة، الآية: ٣٥، وسورة الأعراف، الآية: ١٩.

١٢٣ـ معجم كاسل نفس الطبعة والصفحة ***Cassell's English Dictionary.p.569***.

١٢٤ـ معجم كاسل ***Cassell's English Dictionary.P.559***.

١٢٥ـ سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

١٢٦ـ ينظر المعجم الكتابي لوبستر المواد المذكورة ***Webster's Bible Dictionary, P. 498, 537, 567. 571***

١٢٧ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٦٩٩ مادة: (هم).

١٢٨ـ معجم اكسفورد الصغير: *The Oxford Minidictionary, P. 215 (Oxford 1981)*.

١٢٩ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٦.

١٣٠ـ المصدر السابق، ص ٦٩٩.

١٣١ـ المصدر السابق، ص ٧٠٤.

١٣٢ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

١٣٣ـ المصدر السابق، ص ٢٢، وانظر مصطلح «الولاية».

١٣٤ـ انظر مقالتنا، أصول الدين والعرفان في تفسير السبع المثان المنشورة في مجلة «طريق الحق».

١٣٥ـ انظر فرهنك علوم عقلي، المصدر السابق، ص ٩٣.

١٣٦ـ نفس المصدر ـ نفس الصفحة.

١٣٧ـ سورة الجاثية، الآية: ٢٧ـ٣١.

١٣٨ـ سورة الجاثية، الآية: ٢٨.

١٣٩ـ سورة الأعراف، الآية: ١٩ـ٢٢.

١٤٠ـ انظر «لغة الشعر وعلم اللغة الحديث» الفصل الأوّل من الكتاب.

١٤١ـ سورة الأعراف، الآية: ٢١.

١٤٢ـ سورة الأعراف، الآية: ٢٣ـ٢٤.

١٤٣ـ سورة الأعراف، الآية: ٢٤.

١٤٤ـ سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

١٤٥ـ سورة الأعراف، الآية: ٣٥ـ٣٦.

١٤٦ـ سورة الأعراف، الآية: ٤٢ـ٤٣.

١٤٧ـ سورة المجادلة، الآية: ١١.

١٤٨ـ من الأبيات المشهورة في كتب الأدب والأخلاق.

١٤٩ـ الرازي، مختار الصحاح (ط. دار القلم ـ بيروت)، ص ١٣ .

١٥٠ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٢٣.

١٥١ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٤٨٢.

١٥٢ـ هكذا أرويه عن سيدنا الوالد.

١٥٣ـ التقويم يأتي بمعنيين: القيمة والاعتدال، وتقويم الشيء: إعطاء قيمة له، وكذلك تعديله، وأمّا التقييم: فاستعمال حديث لا ضير فيه، وإن خطأه البعض، وقد استعمل التقويم حديثاً بمعنى التأريخ الذي يقابل (*calendar*).

١٥٤ـ سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

١٥٥ـ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

١٥٦ـ سورة الأحزاب، الآية: ٢٧.

١٥٧ـ سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

١٥٨ـ في الأصل «إذا» وهو خطأ مطبعي، والغرض من الاستشهاد هنا هو الجانب اللغوي بغض النظر عن صحة الحديث وعدمها.

١٥٩ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٤٨١.

١٦٠ـ معجم اكسفورد ***The Pocher Oxford Dictionary, P. 383 (Oxford 1984)***.

١٦١ـ سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ـ٢٦.

١٦٢ـ انظر مصطلح: «ولاية الفقيه»، الفصل الثالث من الكتاب .

١٦٣ـ سورة فاطر، الآية: ١٠.

١٦٤ـ سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

١٦٥ـ سورة آل عمران، الآية: ٣٣ـ٣٤.

١٦٦ـ سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

١٦٧ـ سورة الشورى، الآية: ١٣.

١٦٨ـ سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

١٦٩ـ سورة آل عمران، الآية: ١٩.

١٧٠ـ سورة غافر، الآية: ٢٦.

١٧١ـ سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

١٧٢ـ سورة المائدة، الآية: ٥٤.

١٧٣ـ سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

١٧٤ـ سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

١٧٥ـ سورة الكافرون، الآية: ٦.

١٧٦ـ سورة يونس، الآية: ١٠٤.

١٧٧ـ سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

١٧٨ـ سورة التوبة، الآية: ٣٦.

١٧٩ـ سورة التوبة، الآية: ٣٣.

١٨٠ـ سورة النصر، الآية: ٢.

١٨١ـ سورة المائدة، الآية: ٣.

١٨٢ـ سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

١٨٣ـ سورة النور، الآية: ٥٥.

١٨٤ـ الرازي، المختار السابق، مادة: (دين)، ص ٢١٨ .

١٨٥ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

١٨٦ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٨.

١٨٧ـ تراجع المناجاة في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القُمي، ص ٢٤٠ بخط مصباح زاده ١٣٤٢هـ ش.

١٨٨ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٨.

١٨٩ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٧.

وتلاحظ كلمة ***debt*** دين ***indebted*** مدين والعلاقة بينهما صوتاً ودلالة وان الحرف صامت وذو أث تاريخي في النطق.

١٩٠ـ سورة الحمد، الآية: ٤.

١٩١ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٨.

١٩٢ـ «ولا تَتبعوا السُبُل فَتُفرِّق بِكُمْ عن سَبيلِهِ» سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

١٩٣ـ «أَرَأَيتَ مَن اتَّخَذَ إلهَهُ هَواهُ أفأنتَ تكون عليه وكيلاً» سورة الفرقان، الآية ٤٣.

١٩٤ـ ينظر المعجم الكتابي لوبستر، ص ٥١٣ ***Webster's Bible Dictionary, P.513 (New York, 1980)***.

١٩٥ـ ينظر المصدر السابق، وتلاحظ كلمة ***el*** المعادلة لـ«ال» الدالّة على لفظ الجلالة «الله»، كما بحثنا ذلك في مصطلح «ولاية الفقيه»، وينظر الجدول التقابلي المقترح من الفصل .

١٩٦ـ المصدر السابق.

١٩٧ـ ينظر معجم وبستر، ص ٥١٣ **Webster's Bible Dictionary, P. 513 (New York,) 1980.**

١٩٨ـ سورة الكهف، الآية: ٤٩.

١٩٩ـ ينظر نهج البلاغة، حول وصف الدنيا.

٢٠٠ـ ينظر صحاح العجم (بالفارسية والتركية)، (ط. طهران ١٩٨٢)،، ص ١٤٩.

٢٠١ـ ينظر المصدر السابق.

٢٠٢ـ سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

٢٠٣ـ ينظر معجمنا الأصواتي المقارن بين المفردات المتشابهة صوتاً ودلالة في مختلف اللغات ومن جملتها لفظة **guide** وهو مخطوط باللغتين العربية والانجليزية **The Comparative Linguistic Dictionary of Syno - Homonyms.**

٢٠٤ـ معجم كاسل، ص ٣٣١: **Cassell's English Dictionary (London - 1975) P. 331.**

٢٠٥ـ معجم كاسل، ص ٣٣١: **Cassell's English Dictionary, P.331.**

٢٠٦ـ معجم كاسل، ص ٣٠٧.

٢٠٧ـ انظر صحاح العجم، المصدر السابق، ص ١٤٢.

٢٠٨ـ معجم اكسفورد الصغير، ص ١١٦.

٢٠٩ـ انظر معجم كاسل، ص ٣٣٢.

٢١٠ـ سورة التوبة، الآية: ٣٦.

٢١١ـ سورة الروم، الآية: ٣٠.

٢١٢ـ سورة آل عمران، الآية: ١٩.

٢١٣ـ سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٢١٤ـ سورة الزلزلة، الآية: ٧ ـ ٨.

٢١٥ـ معجم كاسل، ص ٢٨: **Cassell's English Dictionary, P.28,(London - 1975).**

٢١٦ـ سورة الإسراء، الآية: ٨٩.

٢١٧ـ سورة الكهف، الآية: ٥٤.

٢١٨ـ سورة الزمر، الآية: ٢٧.

٢١٩ـ الرازي. المختار، مادة صرف، ص ٣٦٢.

٢٢٠ـ الرازي، المختار، مادة ضرب، ص ٣٧٩.

٢٢١ـ الرازي، المختار، مادة مثل، ص ٦١٤.

٢٢٢ـ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٢٢٣ـ سورة سبأ، الآية: ٢٨.

٢٢٤ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، (دار الكتب العلمية ـ بيروت)، ص ٨٤ .

٢٢٥ـ سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

٢٢٦ـ سورة آل عمران، الآية: ٧.

٢٢٧ـ سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

٢٢٨ـ «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» الأنفال/٢٤.

٢٢٩ـ سورة الأنعام، الآية: ١٩.

٢٣٠ـ شرح نهج البلاغة لفيض الإسلام، ج ١ـ٣، ص ٣٧٧.

٢٣١ـ المصدر السابق، ص ٥٠٥.

٢٣٢ـ شرح نهج البلاغة، المصدر السابق، لفيض الاسلام، ص ٤٩.

٢٣٣ـ سورة الإسراء، الآية: ٩.

٢٣٤ـ سورة الشورى، الآية: ١٣.

٢٣٥ـ سورة آل عمران، الآية: ٣٣ـ٣٤.

٢٣٦ـ سورة المائدة، الآية: ٣.

٢٣٧ـ سورة القيامة، الآية: ١٧ـ١٨.

٢٣٨ـ انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ط. طهران، ص ٩ .

٢٣٩ـ سورة العلق، الآية: ١ـ٥.

٢٤٠ـ سورة إبراهيم، الآية: ٣٤، وسورة النحل، الآية: ١٨.

٢٤١ـ ينظر الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن ـ مادة قرأ ـ .

٢٤٢ـ الرازي، المختار، مادة كتب. (ط. دار القلم ـ بيروت)، ص ٥٦٢.

٢٤٣ـ سورة القيامة، الآية: ١٧.

٢٤٤ـ الرازي، المختار، مادة «قرأ» ص ٥٢٦.

٢٤٥ـ الحسني، دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري، (ط. ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، ص ٣٤٦.

٢٤٦ـ عرضنا إلى الموضوع «الاعجاز» واصطلاحه والرسائل المؤلفة فيه في كتابنا دراسات وتحقيقات، (ط. بيروت ـ ١٩٧٤م)، ص ٦٧.

٢٤٧ـ خمس رسائل، ومنها رسالة الايجاز والاعجاز للثعالبي. ط. دار الكتب العلمية ـ النجف الأشرف، ص ٤.

٢٤٨ـ الأستاذ المطهري: معرفة القرآن، الجزء الأوّل، ص ٢٤.

٢٤٩ـ الأستاذ المطهري: معرفة القرآن، الجزء الأوّل، ص ٢٥.

٢٥٠ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٣٢.

٢٥١ـ سورة ص، الآية: ٣٨، وإبراهيم: ٤٩.

٢٥٢ـ سورة الزخرف، الآية: ١٣.

٢٥٣ـ الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٣٣. وقد جاء في هامش ص ١٨١ «موجز علوم القرآن» للدكتور العطار ما يأتي: «تدعى سورتا الأنفال والتوبة القرينتين لأنّهما لم يفصل بينهما (بسم الله الرحمٰن الرحيم) فلربما عدّها القارئون واحدة».

٢٥٤ـ الرازي، المختار، ص ٥٣٣.

٢٥٥ـ سورة التحريم، الآية: ٤.

٢٥٦ـ سورة الزخرف، الآية: ٣١.

٢٥٧ـ الرازي، المختار، ص ٥٣٠.

٢٥٨ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٣٧٥.

٢٥٩ـ ينظر المطرّزي، المصدر السابق، ص ٣٧٥.

٢٦٠ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٣٧٥.

٢٦١ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٢٦٢ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٢٦٣ـ المصدر السابق، ص ٣٨٠.

٢٦٤ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٣٤. ومنها «اقتران زحل والمريخ في برج العقرب الذي كان على حد

قول بعض المنجمين عام ولادة النبي (ص) وقبلها بقليل، واستدلّوا على ظهور ملة الإسلام عن تاريخ القرآن للزنجاني، ط. طهران.

٢٦٥ـ معجم كاسل.

٢٦٦ـ ينظر دي سوسير، علم اللغة العام: ***De Saussuer,Course, in General Linguistics ,P.88 (Glasgow - 1978).***

٢٦٧ـ معجم اكسفورد الصغير: ***The Oxford Minidictionary, P. 64. (Oxford- 1981).***

٢٦٨ـ معجم وبستر: ***Webster's Dictionary, P. 63. (New York - 1980).***

٢٦٩ـ انظر معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, P. 252 (London - 1968).***

٢٧٠ـ انظر معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary,P.252 (London - 1968).***

٢٧١ـ سورة البقرة، الآية: ٣٥.

٢٧٢ـ انظر معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary,P.223.***

٢٧٣ـ نقل هذا الدكتور العطار عن السيوطي، الإتقان، ج ١ ص ٥٠.

٢٧٤ـ الدكتور العطار، موجز علوم القرآن، ص ٤٢.

٢٧٥ـ الدكتور العطار، موجز علوم القرآن، ص ٤٢.

٢٧٦ـ الدكتور العطار، المصدر السابق، ص ٤٣.

٢٧٧ـ سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

٢٧٨ـ سورة الفرقان، الآية: ٤١.

٢٧٩ـ سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

٢٨٠ـ سورة القدر، الآية: ١.

٢٨١ـ سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

٢٨٢ـ سورة الدخان، الآية: ٣.

٢٨٣ـ سورة هود، الآية: ١.

٢٨٤ـ سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

٢٨٥ـ سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

٢٨٦ـ يبدو أنّ الصوت (***n***) من بقايا «التنوين» في بعض اللغات، لذلك اكتفينا به في آخر كلمة ***Qalamn***

ليشاكل *Column* وغالباً ما يختفي في النطق بهذه الصورة.

٢٨٧ـ سورة العلق، الآية: ١ـ٤.

٢٨٨ـ سورة القلم، الآية: ١.

٢٨٩ـ ينظر: دكتر سجّادي، فرهنك علوم عقلي، (بالفارسية)، (ط. طهران ـ ١٣٦١هش)،ص ٤٦٩.

٢٩٠ـ ينظر المصدر السابق، ص ٤٧٠.

٢٩١ـ الاسفار، ج٣، ص ١٠٨.

٢٩٢ـ الاسفار، ج٣، ص ٦١.

٢٩٣ـ الدكتور سجّادي، المصدر السابق، ص ٤٧٠.

٢٩٤ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٣٨٤.

٢٩٥ـ سورة الكهف، الآية: ٩.

٢٩٦ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

٢٩٧ـ تلاحظ علاقة التقويم بالقيام والقامة، وعلاقة العِلْم بـالعَلَم والعـلامة، وعـلاقة التربـية بـالنموّ والاستطالة، والتَعليم بالقَلَم ودلالة الجميع على «الاستقامة» مبنىً ومعنىً.

٢٩٨ـ انظر مقالتنا حول كلمة «قانون»، مجلة التوحيد، العدد ١، ص ٩.

٢٩٩ـ انظر: فرهنك انجليزي ـ فارسي، مادة ***Calamus*** (طهران ـ ١٣٥٠ هش)، ص ١٩٧ .

٣٠٠ـ انظر كتاب «الخصائص» له (المقدّمة) والكتاب مليء بالأمثلة على نظريته، ط. القاهرة.

٣٠١ـ انظر الملحق رقم: (٧).

٣٠٢ـ انظر الملحق رقم: (٨).

٣٠٣ـ سورة المائدة، الآية: ٨.

٣٠٤ـ سورة النساء، الآية: ٥٨.

٣٠٥ـ سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

٣٠٦ـ سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

٣٠٧ـ سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

٣٠٨ـ سورة الحجرات، الآية: ٩.

٣٠٩ـ سورة المائدة، الآية: ٤٢.

٣١٠ـ سورة النساء، الآية: ٣.

٣١١ـ سورة النساء، الآية: ١٣٥.

٣١٢ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٣٨٢.

٣١٣ـ انظر الخوارزمي، المصدر السابق، ص ١١(مكاييل العرب وأوزانها): «القِسط: نصف الصاع».
المصدر السابق.

٣١٤ـ ***Cassell's English Dictionary, P. 639, London, 1975. and cf. the art. (Justice) in the Concise Oxford Dic. P. 545 (New Edit. 1982).***

٣١٥ـ الرازي، المصدر السابق، ص ٥٣٦.

٣١٦ـ سورة لقمان، الآية: ١٩.

٣١٧ـ سورة فاطر، الآية: ٣٢.

٣١٨ـ سورة المائدة، الآية: ٦٦.

٣١٩ـ سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

٣٢٠ـ سورة الرعد، الآية: ٨.

٣٢١ـ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٣٢٢ـ المطرّزي، المصدر السابق، ص ٣٨٥.

٣٢٣ـ سورة المائدة، الآية: ٤٥.

٣٢٤ـ انظر منها كتابي مسالك الافهام للشهيد الثاني، وشرائع الأحكام للمحقّق الحلّيّ، وقد ترجمها للفارسية الدكتور محمّدي في كتاب واحد تحت عنوان «قصاص» من منشورات جامعة طهران، ١٣٦١ هـ ش.

٣٢٥ـ سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

٣٢٦ـ تراجع كتب البلاغة والتفاسير المتعرّضة لهذه الآية الكريمة لزيادة الاطلاع.

٣٢٧ـ سورة البقرة، الآية ٢١٣، والتقدير كان الناس أُمّة واحدة «فاختلفوا» فبعث الله النبيّين لتوحيدهم ووحدتهم.

٣٢٨ـ سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٣٢٩ـ سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

٣٣٠ـ سورة يوسف، الآية: ١١.

٣٣١ـ سورة التين، الآية: ٣.

٣٣٢ـ الرازي، المصدر السابق، مادة (أمن)، ص ٢٦ـ٢٧.

٣٣٣ـ سورة القصص، الآية: ٤٨.

٣٣٤ـ سورة الإسراء، الآية: ٩٩.

٣٣٥ـ تلاحظ في الإنجليزية مادة ***Cover*** وهي متساوقة صوتاً ودلالةً بمختلف اشتقاقاتها.

٣٣٦ـ الرازي، المصدر السابق، مادة «كفر»، ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

٣٣٧ـ هي سورة مكيّة وآياتها مئة وثمان عشر، وقد سُمّيت سورة أُخرى «بالمؤمن» وهي مكيّة وآياتها خمس وثمانون.

٣٣٨ـ هي سورة مكية وآياتها تسع.

٣٣٩ـ سورة الرعد، الآية: ٣٠.

٣٤٠ـ سورة الرعد، الآية: ٢٨.

٣٤١ـ سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٣٤٢ـ الرازي، المصدر السابق، مادة «أمّ» ص ٢٦.

٣٤٣ـ «إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً» النحل/١٢٠.

٣٤٤ـ «إنْ هُمْ إلاّ كالأنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً» الفرقان/٤٤.

٣٤٥ـ معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, P. 569 (London - 1975)***.

٣٤٦ـ سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

٣٤٧ـ معجم اكسفورد الصغير: ***The Oxford Minidictionary, P. 215 (Oxford, 1981)***.

٣٤٨ـ مجلة التوحيد، العدد الخامس، ص ٨٩.

٣٤٩ـ المعجم الكتابي: ***Webster's Bible Dictionary, P. 498, (NewYork, 1980)***.

٣٥٠ـ المعجم الكتابي: ***Webster's Bible Dictionary, P. 498 (New York, 1980)***.

٣٥١ـ المعجم الكتابي: ***Webster's Bible Dictionary, P. (New York, 1980)***.

٣٥٢ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٣٥٣ـ معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, p. 32.***

٣٥٤ـ لقد جمعنا آلاف الكلمات من هذا القبيل من مختلف اللغات في معجم مخطوط أسميناه: المعجم اللغوي للأصـــوات والمـــعاني المـــتشابهة: - ***The Comparative Linguistic Dictionary of Syno Homonyms***

٣٥٥ـ معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary , P. 32.***

٣٥٦ـ إنَّ كلمة ***mercy*** في الانجليزية تعني الحبُّ والشفقة، ومنها قيل للشخص الرحيم ***merciful*** وهي في الفرنسية ***merci*** وتعني الشكر وعرفان الجميل والعلاقة بينهما واضحة:

انظر: ***mercy n. kindness... merciful act The Oxford Minidictionary, P. 276***

٣٥٧ـ معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, p.33.***

٣٥٨ـ المصدر السابق: نفس الصفحة.

٣٥٩ـ معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, p.33, (New York) 1980.***

٣٦٠ـ معجم كاسل: ***Cassell's English Dictionary, p.586 (New York) 1980.***

٣٦١ـ ومن معاني «الإمام» الصُّقع من الأرض والطريق. قال الله تعالى: «وإنَّهما لبإمامٍ مـبين» الرازي، المختار، ص ٢٦.

٣٦٢ـ سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

٣٦٣ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

٣٦٤ـ انظر مصطلح «الأُمّة»، الفصل الثالث من الكتاب.

٣٦٥ـ سورة الأنعام، الآية: ١٦٢ـ١٦٣.

٣٦٦ـ سورة النساء، الآية: ١٠٣.

٣٦٧ـ سورة الفاتحة، الآية: ٦.

٣٦٨ـ سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

٣٦٩ـ سورة الإسراء، الآية: ٧٨ـ٧٩.

٣٧٠ـ سورة الروم، الآية: ١٧ـ١٨.

٣٧١ـ الرازي، المصدر السابق، ص ٣٦٨.

٣٧٢ـ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

٣٧٣ـ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

٣٧٤ـ سورة الانشقاق، الآية: ١٢. وفي المصاحف المتناولة بالتخفيف: «وَيَصْلى سَعيراً».

٣٧٥ـ سورة مريم، الآية: ٧٠.

٣٧٦ـ الرازي، ص ٣٦٨ـ٣٦٩.

٣٧٧ـ سورة البقرة، الآية: ٧٤.

٣٧٨ـ ينظر البحث: فاتحة الكتاب بحث لغوي عرفاني، مجلة التوحيد، العدد ٢٤، ص ٥٨ ـ ٦١.

٣٧٩ـ ينظر البحث: الوعي الإسلامي سبيل التوحيد والوحدة الشاملة، مجلة التوحيد، العدد ١٩.

٣٨٠ـ ينظر البحث المشار إليه سابقاً فاتحة الكتاب، مجلة التوحيد، العدد ٢٤، ص ٥٩.

٣٨١ـ ينظر مقالتنا حول دلالات «الله أكبر» في مجلة صوت الوحدة الإسلامية، ط. طهران.

٣٨٢ـ سورة الحج، الآية: ٤٠.

٣٨٣ـ الرازي، المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٣٨٤ـ الرازي، المصدر السابق، ص ٣٦٨.

٣٨٥ـ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

٣٨٦ـ المصدر السابق، ص ٣٧٢.

٣٨٧ـ المصدر السابق، ص ٣٧٤.

٣٨٨ـ المصدر السابق، ص ٣٦٧.

٣٨٩ـ سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

٣٩٠ـ سورة الأنعام، الآية: ٧٢.

٣٩١ـ سورة مريم، الآية: ٥٩.

٣٩٢ـ الرازي، المصدر السابق، ص ٣٦٧.

٣٩٣ـ المصدر السابق، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

٣٩٤ـ ينظر البحث في المقام الذي نشرناه في صحيفة الأنوار، سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤.

٣٩٥ـ ينظر البحث حول أدب الدعاء والعرفان، وقد خرّجنا فيه غالب هذه الأحاديث الواردة، وذكرنا مصادرها، مجلة التوحيد، العدد ١١، ص ١٥٤.

٣٩٦ـ ينظر الفصل الثاني من الكتاب.

٣٩٧ـ انظر المعجم الكتابي، المصدر السابق.

٣٩٨ـ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

٣٩٩ـ المعجم الكتابي، ص ٥٥١.

٤٠٠ـ انظر مصطلح: «ولاية الفقيه» الفصل الثالث من الكتاب.

٤٠١ـ المعجم الكتابي، ص ٥٥٥.

٤٠٢ـ انظر معجم كاسل، المصدر السابق.

٤٠٣ـ ورد في شروح الكافية، ولاسيّما في شرح الجامي، وكذلك الشرح المتوسط لركن الدين الاسترابادي الذي حققناه باسم «الوافية» لرسالة الماجستير ١٩٧١.

٤٠٤ـ انظر معجم اكسفورد الصغير.

٤٠٥ـ سورة يس، الآية: ٥٣.

٤٠٦ـ يلاحظ كتاب «أساس اشتقاق فارسي» ص ٣٦٣، لجلال خالق مطلق، وقد يكون معناها من «پيراسته» و «آراسته» وهما بمعنى الحمد والثناء والتجميل أيضاً غير أنّ «پيراسته»: للتنزيه، و«آراسته» للتجميل، وانظر المصدر نفسه ص ٤٢٨ لزيادة الاطلاع حول الاشتقاق في الفارسية.

٤٠٧ـ سورة البقرة، الآية: ١١٥.

٤٠٨ – سورة الأنعام ، الآية ٧٩.

٤٠٩ – سورة الأنعام ،الآية ١٦٢ .

الملاحق

ملحق رقم (١)

جدول تقابلي مقترح لبعض اللغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «اللغة»[١] عموماً.

١	لـ	ل	...	...[٢]	حرف اللام صوت أساس فيها، وهو وما يبادله الرابط العام، كما أن شكله يشبه اللسان ونطقه يرمز الىٰ الذلاقة في اللغات.
٢	L	L	...	...	هو في اللاتينية يشبه في العربية وما كتب فيها، غير أنه موضوع في المرآة وذلك لكتابة اللغات الشرقية من اليمين والغربية من اليسار.
٣	إل	إل		...	عربية ـ سامية ـ عالمية كلمة ترمز الىٰ اللّه الذي يرتبط الوجود كله به والولاية المطلقة له والمخلوقات جميعاً كلماته.
٤	الـ	الـ	...	...	هي ال التعريف في العربية وتدلّ علىٰ الكلّية والكلّي، ولاتخفىٰ العلاقة الصوتية والدلالية والتجريدية بينهما. وهي في العبرية تقابل ها وفي الانجليزية وفي الفرنسية وما إليها.
٥	إله	إلـ	...	...	جذر لكلمة اللّه علىٰ قول، وهيٰ متشابهة في العربية والعبرية وأغلب اللغات السامية، مثل الوهيم قريبة الصلة باللهمّ.
٦	اللّٰه	الـ	ا	ه	اسم جامع مستجمع لجميع الأسماء الحسنىٰ للذات المقدسة.
٧	آلاء	آلـ	ا	ء	جمع إلّي ـ بالفتح والكسر ـ واحدة نعم المنعم الأول.
٨	آلى	آلـ	ى	...	أقسم والألية اليمين بالشيء المقدّس والذات المقدسة.

٩	إلى	إلـ	ى		حرف جريدلّ علىٰ الانـتهاء واليـه تـعالىٰ تنتهي الأشياء وبه تبتدأ.
١٠	أوّل	أل	و	و	هو الأوّل والآخر، والظاهر والباطن وكما بدأ أوّل أمر يعبده.
١١	ألّي	الـ	لـ	ي	اليــد في التركـية، ومـنها الىٰ يـد القـدرة والوجود.
١٢	ألم	ألـ	م		انمـوذج مـن مـفاتح السـور التي تـرمز الىٰ دلالات متعددة. ومنها أن اللغات والكلمات متكونة من هـذه الأبجـديات، ومـنها أنّهـا اختصار لبعض أسماء اللّه الحسنىٰ.
١٣	ألم	أل	م		اسم للاحساس الذي هو نوع مـن الكـلام الحاكي عن الوجع.
١٤	ألم	أل	م		لهجة مصرية للـقلم الذي هـو أداة للكتابة والرسوم.
١٥	قلم	ق ل	م		لغة عربية فـصحىٰ للأداة التي تحكـي عـن العقل أو الوجود أو النظم.
١٦	Column	col	um	n	لاتينية ـ اوروبية تحكي عن النظم ولا سـيما الامتداد الشاقولي.
١٧	claim	cl	aim		انجليزية تحكي عن الكلام والادّعاء.
١٨	كلام	كـ ل	ام		عربية تحكي عن التعبير ولاسيما التعبير التام المسند.
١٩	كلمة	كـ ل	م	ة	مفرد الكلم وهي ذات دلالة علىٰ معنىٰ مفرد وجمعها الآخر كلمات.
٢٠	كلّي	كـ ل	ي	ي	عربية تدل علىٰ الدلالة العامة المشتركة بين الأفراد.
٢١	كلّية	كـ ل	ي	ي ة	كدلالة الكلمة المتقدمة والتاء امّا للكثرة أو التأنيث أو غير ذلك.

٢٢	college	col	le	ge	انجليزية تدّل علىٰ الشمول والاشتراك بين الأقسام.
٢٣	colleague	col	lea	gue	للشخص الذي يشترك مع الأفراد الآخرين بنفس المواصفات.
٢٤	collect	col	lec	t	صلاة جامعة مختصرة، وتدلّ أيضاً علىٰ فعل الجمع.
٢٥	collection	col	lec	tion	مجموع من الأشياء ينتظمها نظم خاصّ.
٢٦	leg	l	e	g	انجليزية ـ لاتينية ـ اوروبية تدلّ علىٰ الساق والاتّساق.
٢٧	laege	l	e	ge	اشتقاق آخر من نفس جذر «**leg**» وكاسعة.
٢٨	legal	l	e	gal	ساقي ـ متسق ـ نظامي ـ قانوني.
٢٩	legate	l	e	gate	بنفس الدلالة وهي قريبة من اللغة صوتاً ودلالة علىٰ النظم.
٣٠	legality	l	e	gality	المصدرية للنظام والقانون وما يتعلق بالحقوق.
٣١	loyal	l	o	yal	لاتينية ـ انجليزية، لهجة أخرىٰ في **legal**
٣٢	loyality	l	o	yality	لهجة أخرىٰ في **legality** وتدل علىٰ الولاية والمتابعة.
٣٣	logo	lo	g	o	لاتينية تدلّ علىٰ النظم وتشابه اللغة صوتاً ودلالة.
٣٤	logos	lo	g	os	يونانية بنفس الدلالة السابقة.
٣٥	logic	lo	gi	c	انجليزية تدلّ علىٰ النطق والمنطق.
٣٦	logy	lo	g	y	لاتينية ـ اوروبية ـ تدلّ علىٰ لغة الأشياء وعلومها.
٣٧	logue	lo	g	ue	اشتقاق آخر بنفس الدلالة.
٣٨	لغة	لـ	غ	ة	عربية ـ شرقية ـ عالمية.
٣٩	لغت	ل	غ	ت	فارسية ـ كردية ـ تركية ـ سائر اللغات

					المتأثرة بالعربية.
٤٠	لقت	ل	ق	ت	لهجة غير عربية ـ آرية.
٤١	لغو	ل	غ	و	جذر لكلمة لغة يدلّ علىٰ معنىٰ سلبي غالباً.
٤٢	لغى	ل	غ	ى	جمع لغة غير شائع.
٤٣	لغات	ل	غا	ت	جمع مؤنث سالم لكلمة لغة.
٤٤	لاغية	ل	اغ	ي ة	فاعلة بمعنىٰ مفعول وردت بمعنىٰ سلبي غالباً.
٤٥	لاغي	ل	اغ	ي	بنفس المعنىٰ المذكور.
٤٦	لهجة	ل	هج	ة	اللغة الثانية للغة الأصل وغالباً ما تكون عاميّة.
٤٧	لهجات	ل	هجا	ت	جمع لهجة بطريقة جمع المؤنث السالم.
٤٨	lect	l	ec	t	انجليزية بمعنىٰ لهجة.
٤٩	lecture	l	ec	ture	انجليزية بمعنىٰ القاء كلمة أو محاضرة.
٥٠	elect	el	ec	t	معنىٰ فعلي للدلالة علىٰ بيان الرأي والانتخاب.
٥١	election	el	ec	tion	معنىٰ اسمي للدلالة علىٰ بيان الرأي والانتخاب.
٥٢	select	sel	ec	t	معنىٰ فعلي للدلالة علىٰ الانتخاب مطلقاً، والزيادة في المبنىٰ كما هو مقررّ زيادة في المعنىٰ غالباً.
٥٣	لوحة	ل و	ح	ة	عربية تدلّ علىٰ الأثر والرسم والوجود المادي والمعنوي.
٥٤	لوحات	ل و	حا	ت	جمع مؤنث سالم لكلمة لوحة.
٥٥	لوائح	ل و	اح	ء	جمع تكسير لها.
٥٦	ايحاء	أي	حا	ء	مصدر علىٰ وزن إفعال لكلمة وحي حصل فيها إبدال.
٥٧	وحي	و	ح	ي	عربية تدلّ علىٰ الإلقاء في القلب أو اللسان.
٥٨	voice	vo	ic	e	انجليزية تدلّ علىٰ الصوت مطلقاً.

٥٩	vocal	vo	ca	l	انجليزية تدلّ علىٰ صفة الصوت.
٦٠	vocabulary	vo	ca	bulary	انجليزية تدلّ علىٰ المفردات الصوتية والكلمات القاموسية.
٦١	vote	vo	t	e	انجليزية جذر آخر لكلمة voiceبمعنىٰ صوت.
٦٢	صوت	ص	و	ت	عربية تدلّ علىٰ أصل الصدىٰ.
٦٣	sound	so	un	d	انجليزية تدلّ علىٰ الصوت وهما متشابهتان صوتاً ودلالة.
٦٤	صدى	ص	د	ى	عربية تدلّ علىٰ انعكاس الصوت وترجيعه.
٦٥	صلاة	ص	لا	ة	عربية ـ سامية ـ عالمية ـ تدلّ علىٰ المناجاة مع المطلق.
٦٦	صلوة	ص	ل و	ة	لهجة أخرىٰ في النطق والكتابة.
٦٧	صلوات	ص	لوا	ت	جمع صلاة علىٰ شكل المؤنث السالم.
٦٨	صيحات	ص	يحا	ت	جمع صيحة وهي الصوت القويّ والبعيد.
٦٩	صيحة	ص	يح	ة	عربية تشابه صرخة ـ صاخّة ـ محاكاة ـ الأصوات.
٧٠	صفحة	ص	فح	ة	عربية تدلّ علىٰ مكان النقش والرسم والانبساط.
٧١	صفحات	ص	فحا	ت	جمع صفحة علىٰ طريقة المؤنث السالم.
٧٢	صحائف	ص	حاف	ء	جمع صفحة علىٰ طريقة منتهىٰ الجموع.
٧٣	ألياف	الـ	يا	ف	جمع ليفة تدلّ علىٰ الأوراق والصفحات النباتية غالباً.
٧٤	ليفة	ل	يف	ة	عربية تشبه دلالة صفحة إضافة لدلالة النسج
٧٥	leaf	l	ea	f	انجليزية تدلّ علىٰ الورقة ولاسيّما النباتية.
٧٦	leaves	l	ea	fs	جمع وهي leafالأوراق والصفحات.
٧٧	leaflet	l	ea	flet	انجليزية تدلّ علىٰ مجموعة الأوراق المنتظمة علىٰ شكل كتيب.

٧٨	lavish	l	avi	sh	انجليزية تدلّ علىٰ الكثرة في الصفائح وغيرها.
٧٩	لواش	ل	وا	ش	فارسية ـ تركية تدل علىٰ صفائح الخبز غالباً.
٨٠	loud	l	ou	d	انجليزية تدلّ علىٰ الزيادة في الصوت غالباً.
٨١	lute	l	u	te	بمعنىٰ العود انجليزية واضحة التأثر بالعربية.
٨٢	لغط	ل	غ	ط	عربية تدلّ علىٰ اختلاط الأصوات والأصداء.
٨٣	غلط	ل	غ	ط	معكوسة الحرفين الأولين وتدلّ علىٰ الاشتباه.
٨٤	لطخ	ل	خ	ط	تدلّ علىٰ العلامة ومنها اللطخة للسلب غالباً.
٨٥	لوخ	ل	خ	و	تدلّ أيضاً علىٰ الجانب السلبي في الدلالة.
٨٦	لوح	ل	ح	و	تدلّ علىٰ الجانب الايجابي في الرسم والأثر.
٨٧	لوحة	ل	ح	وة	مفردة اللوح وهو الأمر المقدّس واللوح المحفوظ.
٨٨	look	l	oo	K	انجليزية تدلّ علىٰ النظر والمنظر واللوحة.
٨٩	link	l	in	K	انجليزية تدلّ علىٰ الربط والصلة والتوصيل.
٩٠	list	l	is	t	انجليزية تدلّ علىٰ التسلسل والترابط والقائمة.
٩١	listen	l	is	ten	انجليزية تدلّ علىٰ الترابط في الاستماع.
٩٢	lesson	l	ess	on	انجليزية تدلّ علىٰ الترابط في الحديث والدرس.
٩٣	لسان	ل	سا	ن	عربية تدلّ علىٰ اللغة المجرّدة والمفهوم والمصداق.
٩٤	لسن	ل	س	ن	تدلّ علىٰ صاحب اللسان وهي صفة مشبّهة.
٩٥	le accent	le	acce	nt	فرنسية تدلّ علىٰ اللهجة واللسان.
٩٦	ألسنة	أل	س	نة	جمع لسان علىٰ طريقة جمع التكسير.
٩٧	لسنيّات	ل	س	نيات	استعمال حديث للدلالة علىٰ علم اللغة

					الحديث.
٩٨	لسانيّات	ل	سا	نيات	استعمال حديث للدلالة على علم اللغة الحديث.
٩٩	انسيّ	ان	س	يي	عربية تدل على جنس البشر الحيوان الناطق.
١٠٠	أناس	أن	اس	...	عربية تدلّ على جمع الانسان المتميّز باللسان.
١٠١	ناس	ن	اس	...	جمع آخر له، أو قل اسم جنس جمعي له.
١٠٢	انسان	ان	سا	ن	عربية المخلوق الذي يؤنس ويأنس بوساطة لسانه.
١٠٣	national	n	a	tional	انجليزية ـ فرنسية ـ لاتينية تدلّ على ناس معينين.
١٠٤	national	n	a	tional	نسبة صرفة الى **nation** ومثلها **nationality**
١٠٥	نشانه	ن	ش	انه	فارسية صفة وعلامة للشيء أو الشخص.
١٠٦	note	n	o	te	انجليزية تدلّ على العلامة والملاحظة.
١٠٧	نوطة	ن	و	طة	معرّبة وهي قريبة من النكتة والنقطة.
١٠٨	نقطة	ن	ق	طة	عربية تدلّ على العلامة والملاحظة.
١٠٩	نكتة	ن	كْ	تة	عربية وقيل معرّبة وهي تشابه نقطة صوتاً ودلالة.
١١٠	tone	ne	o	t	انجليزية وهي معكوسة **note** وحصل فيها القلب المكاني.
١١١	tune	ne	u	t	بمعنى مشابه وتدلّ على النغم والرنين والانسجام.
١١٢	tongue	no	gue	t	انجليزية بمعنى اللسان والرنين والطنين.
١١٣	طنين	ن	ين	ط	عربية ـ عالمية ـ تدلّ على محاكاة الأصوات.
١١٤	رنين	ر	ني	ن	عربية ـ عالمية تدلّ على محاكاة الأصوات.
١١٥	رسانه	ر	سا	نه	فارسية تدلّ على التوصيل والارتباط.
١١٦	رسالة	ر	سا	لة	عربية تدلّ على معنى مشابه وحاملها

					الرسول.
١١٧	رسالات	ر	سا	لـات	جمع رسالة وفي الاصطلاح تدلّ علىٰ الكتب السّماوية.
١١٨	versal	ve	rs	al	صفة لــ verse وهي السورة أو الكلمة أو القصيدة.
١١٩	universal	unive	rs	al	صفة لــ universe العالم والكون والوجود.
١٢٠	converse	conve	rs	e	فعل التحدّث والحوار ومنها conversation
١٢١	verse	ve	rs	e	جذر للمشتقات المتقدمة وهو دال علىٰ الكلمة والكلام.
١٢٢	وصل	و	ص	ل	عربية تدلّ علىٰ الارتباط والتوصيل عموماً.
١٢٣	فصل	ف	ص	ل	عربية حصل ابدال في الصوت الأول وعكس المعنىٰ.
١٢٤					
١٢٥	لثغ	ل	ث	غ	عربية تدلّ علىٰ الكلام المتقطع بأصوات متعثرة.
١٢٦	لثغة	ل	ث	غة	اشتقاق آخر يدلّ علىٰ تعثر بصوت الثاء خصوصاً.
١٢٧	lingua	l	in	gua	لاتينية تدلّ علىٰ اللغة واللسان.
١٢٨	linguist	l	in	guist	العالم اللغوي والعالم باللغات المتعددة.
١٢٩	linguistics	l	in	guistics	علم اللغة ـ علم اللسانيّات ـ علم اللسنيّات.
١٣٠	langue	l	an	gue	فرنسية بمعنىٰ اللغة واللسان.
١٣١	languet	l	an	guet	بنفس الدلالة واشتقاق آخر.
١٣٢	language	l	an	guage	انجليزية تدلّ علىٰ اللغة واللسان.
١٣٣	league	l	ea	gue	انجليزية تدلّ علىٰ الرابطة والجامعة عموماً.
١٣٤	logue	l	o	gue	انجليزية تدل علىٰ الرابطة ولاسيّما اللغة المشتركة.
١٣٥	dialogue	dial	o	gue	انجليزية تدلّ علىٰ الحوار بين اثنين فأكثر.

الهوامش:

١ـ يلاحظ الترتيب في أصوات بعض الكلمات على أساس الجذور الأصواتية لا التسلسل والتتابع.

٢ـ تلاحظ النظرية القائلة بأنّ الحرف له دلالة أيضاً.

ملحق رقم (٢)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة (ولاية) عموماً.

١	إلّ	إ	ل	ل		عربية ـ سامية ـ كتابية.
٢	إله ـ إلاه	إ	لا	ه		عربية ـ سامية ـ كتابية.
٣	الله	أ	لاّ	ه		عربية.
٤	الوه	ا	لو	ه		عربية ـ آرامية ـ سامية.
٥	الوهيم	ا	لو	ه	يم	عربية ـ سامية.
٦	آلهة	آ	ل	ه	ة	عربية.
٧	ألهيّة	ا	لا	ه	يّة	عربية.
٨	ولي[١]	و	ل	ي	ي	عربية ـ مشتقّة.
٩	وَلاية	و	لا	ي	ة	عربية ـ لهجة بالفتح.
١٠	وِلاية	و	لا	ي	ة	عربية ـ لهجة بالكسر.
١١	AllY	A	ll	Y		انجليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.
١٢	Alley	A	ll	ey		انجليزية ـ لهجة أُخرى.
١٣	Allied	A	ll	ie	d	انجليزية ـ مشتقة.
١٤	Alliance	A	ll	ia	nce	انجليزية ـ فرنسية قديمة.
١٥	Alligne	A	ll	ig	ne	انجليزية ـ لهجة.
١٦	Aligne	A	l	ig	ne	انجليزية ـ لهجة أُخرى.
١٧	Aline	A	l	i	ne	انجليزية ـ لهجة أُخرى.
١٨	Alligation	A	ll	ig	ation	انجليزية ـ لاتينية.
١٩	Allegiance	A	ll	eg	iance	انجليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.
٢٠	Allege	A	ll	ege		انجليزية ـ اشتقاق آخر.

٢١	Alloy	A	ll	oy		انجليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.
٢٢	Allow	A	ll	ow		انجليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.
٢٣	law	[٢]	l	aw		انجليزية ـ ايسلندية ـ انكلوساكسونية
٢٤	league		lea	gue		انجليزية .
٢٥	lagu		la	gu		انجليزية .
٢٦	leg		l	eg		انجليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.
٢٧	legal		l	eg	la	انجليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.
٢٨	legislate		l	eg	islate	انجليزية ـ اشتقاق آخر.
٢٩	legeance		l	eg	eance	انجليزية القرون الوسطى.
٣٠	legitimate		l	eg	imate	انجليزية ـ اشتقاق آخر.
٣١	ligare		l	ig	are	انجليزية ـ لاتينية.
٣٢	loyal		l	oy	al	انجليزية ـ فرنسية.
٣٣	loyalty		l	oy	alty	انجليزية .
٣٤	legality	[٣]	l	eg	ality	انجليزية ـ لاتينية.

الهوامش:

١ـ يلاحظ ابدال الهمزة أو الياء في العربية غالباً.

٢ـ يلاحظ سقوط الألف وحذف همزة الوصل في درج الكلام وأثر ذلك في النطق والكتابات المختلفة في اللغات والاشتقاقات.

٣ـ يلاحظ ابدال الجيم والياء في مختلف اللغات والاشتقاقات، كما يلاحظ دلالة (leg) على الساق والاستقامة والترتيب والقانونية.

الملحق رقم (٣)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «أم» عموماً

١	أم	أ	م	م		عربية ـ سامية ـ كتابية.
٢	أمّة	أ	م	م	ة	عربية ـ سامية ـ كتابية.
٣	امّهة	أ	م	م	هة	عربية ـ لهجة أُخرى.
٤	مام	ا	م	م	١	عربية ـ لهجة أُخرى.
٥	امام	ا	ام	م		عربية ـ بالضم لهجة أُخرى ـ وبالكسر بمعنى الرأس.
٦	امامة	ا	ام	م	ة	عربية ـ بالضم لهجة أُخرى ـ وبالكسر بمعنى الرئاسة.
٧	امانة	ا	ا م	ن	ة	عربية ـ بمعنى الإمامة كما وردت في القرآن.
٨	هامة	ها	م	ة		عربية ـ أُم الرأس.
٩	هيمنة	هي	م	ن	ة	عربية ـ كتابية.
١٠	هينمة	هي	ن	م	ة	عربية ـ كتابية.
١١	همهمة	ه	م	هم	ة	عربية ـ كتابية ـ (حكاية الأصوات).
١٢	هم	ه	م			فارسية: (بمعنى المشابه) ـ لهجة عراقية.
١٣	homo	ho	m	o		انجليزية ـ لاتينية.
١٤	home	ho	m	e		انجليزية .
١٥	homage	ho	m	a	ge	انجليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.

انجليزية ـ فرنسية ـ لاتينية.		n	ma	hu	human	١٦
فرنسية وسطى.		in	ma	hu	humain	١٧
لاتينية.	us	n	ma	hu	humanus	١٨
انجليزية ـ بمعنى الاحساس الانساني.		ne	ma	hu	humane	١٩
انجليزية ـ بمعنى الإنسانية الكبرى.	ty	ni	ma	hu	humanity	٢٠
انجليزية ـ بمعنى الدراسات الانسانية.	ties	ni	ma	hu	humanities	٢١
انجليزية ـ بمعنى الفلسفة الانسانية.	ism	n	ma	hu	humanism	٢٢
انجليزية ـ بمعنى المشاعر الانسانية.	tarian	ni	ma	hu	humanitarian	٢٣
انجليزية ـ لاتينية.	s	ni	mi	ho	hominis	٢٤
انجليزية ـ بمعنى الحياة والحَيَوانية.	ate	m	ni	a	animate	٢٥
انجليزية ـ بمعنى الحَيوانية.	ality	m	ni	a	animality	٢٦
انجليزية ـ بمعنى الأمومة والنديّات.	al	mm	ma		mammal	٢٧
انجليزية ـ اشتقاق آخر.	ary	mm	ma		mammary	٢٨
عبرية ـ كتابية بمعنى أم: Mother.		n	ma	a	aman	٢٩
انجليزية ـ عبرية بمعنى (wife - man).		n	ma	wo	woman	٣٠
عربية ـ عبرية ـ كتابية بمعنى الجماعة Community.	ah	m	m	u	ummah	٣١

٣٢	amam	a	ma	m		سامية بمعنى المجمع: gathering place
٣٣	ammi	a	ma	mi		سامية ـ كتابية ـ بمعنى أُمتي: My people.
٣٤	amami. el	a	ma	mi	el	سامية ـ كتابية ـ أُمّة الله: People of God.
٣٥	mum	mu	m			انجليزية ـ عالمية etc, (mammy - mummy).
٣٦	مادر	ا	م		در[1]	فارسية ـ هندوأوربية (Mother)

الهوامش:

(١) يلاحظ أن التوزيع الأصواتي حسب التركيب الفونيماتيكي Phonematic وليس الفونوتاكتيكي : Phonotactic.

ملحق رقم (٤)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «تاريخ» عموماً[١].

١	أرخ	أ	ر	خ	عربية «جذر» لكلمة التأريخ وتدل على الكتابة والأثر.
٢	أرّخ	أ	رر	خ	عربية «فعل» مزيد مضعف تدل على التسجيل والتوقيت
٣	ورخ	و	ر	خ	عربية «جذر» آخر حاصل من إبدال بين الهمزة والواو.
٤	ورّخ	و	رر	خ	عربية «فعل» مزيد مضعف بنفس المعنى المتقدم.
٥	ارث	إ	ر	ث	عربية «جذر» مشابه يفترق عنه «بالتذييل».
٦	ورّث	و	رر	ث	عربية «فعل» مزيد مضعف يدل على نقل الأثر.
٧	أثّر	أ	ث	ر	من نفس مادة «إرث» بقلب مكاني.
٨	earth	ea	r	th	انكليزية بمعنى الأرض، وهي التي ترث الناس والحضارة.
٩	أرض	أ	ر	ض	عربية، وعليها تقوم المدنيات والحضارات والآثار.
١٠	أرص	أ	ر	ص	عبرية، تفترق عن العربية «بالتذييل».
١١	أرج	أ	ر	ج	فارسية بمعنى الثمن والثمين والأثر النفيس.
١٢	وَرَق	وَ	رَ	ق	عربية وهي أداة الرياش والمعاش ورمز

					الحضارة.
١٣	وَرقَ	و	رِ	ق	عربية لنوع من النقود والصفائح الفضية.
١٤	وَرَگ	وَ	رَ	گ	لهجة عراقية للورق.
١٥	برگ	ب	ر	گ	فارسية بمعنى الورق.
١٦	أوْرَقُ	أو	ر	ق	«فعل» مزيد بالهمزة، ومصدره الإيراق
١٧	أوْرَقُ	أو	ر	ق	على وزن أفعل للون الرمادي، وأديم الأرض.
١٨	وَرْد	وَ	رْ	د	عربية لنوع من الزهر ذو اللون الأحمر.
١٩	وِرْد	وِ	رْ	د	عربية تدل على الذِّكر والورود، وجمعها أوراد.
٢٠	ورود	و	رو	د	«مصدر» تدل على: الارتواء والدخول والوجود.
٢١	وجود	و	ج و	د	مصدر للحياة، ويدل على الحياة.
٢٢	وگود	و	گ و	د	لهجة مصرية للوجود.
٢٣	ويود	و	يـ و	دِ	لهجة عراقية جنوبية للوجود.
٢٤	Word	w	or	d	انجليزية بمعنى الكلمة وهي سجل الأديان والمدنيات.
٢٥	world	w	or	ld	انجليزية بمعنى العالم، وهو كلمة الرب والوجود الممكن.
٢٦	worth	w	or	th	انجليزية بمعنى القيمة والثمن والأثر النفيس.
٢٧	volume	v	olu	me	انجليزية ـ لاتينية بمعنى المجلَّد أو المجلَّدة.
٢٨	volumes	v	olu	mes	جمع volume التي تشكل عادةً الموسوعات.

٢٩	folio	f	ol	io	انجليزية ـ لاتينية، بمعنى الورقة.
٣٠	folios	f	ol	ios	جمع folio بمعنى الأوراق.
٣١	follow	f	oll	ow	انجليزية، تدل على التتابع والتوالي.
٣٢	fellow	f	ell	ow	انجليزية، بمعنى الرفيق الذي يصاحب صاحبه.
٣٣	philo	ph	il	o	انجليزية ـ لاتينية بمعنى الصاحب والملازم والمحب.
٣٤	fealy	f	eal	y	انجليزية بمعنى التتابع والولاية.
٣٥	ولي	و	ل	ي	عربية بمعنى الصاحب والتابع والمتبوع معاً. وتأتي بمعنى فاعل ومفعول بدلالات متعددة.
٣٦	holy	ho	l	y	انجليزية بمعنى المقدس والولي.
٣٧	loyal	lo	al	y	انجليزية بمعنى الموالي والتابع.
٣٨	law	l	a	w	انجليزية بمعنى القانون «الشيء المتبع»..
٣٩	Lord	L	or	d	انجليزيةبمعنى الولي والجهة المحترمة، وفي الغالب للوجود المقدس عَلَماً وهو الله تعالى.
٤٠	آلله	الـ	لا	ه	عَلَم للوجود المقدس، واسم جامع لجميع الصفات الالهية، وقيل انّه مشتق من «وَلِة» أو من «وَلَـة» وهو وليالأولياء ورب الأرباب والوارث المطلق.
٤١	legal	le	ga	l	انجليزية مشتقة من «leg» بمعنى القانون والاستقامة والشيء المتبع.
٤٢ـ	heirs	he	ir	s	انجليزيةبمعنى الوارثين.
٤٣ـ	hiero	hi	er	o	انجليزية ـ لاتينية ـ يونانية ـ مصرية قديمة

					بادئة لكلمة hiro+glyph الكتابة المصرية.
٤٤	hier	hi	r	e	بمعنى الوارث وبادئة لمثل كلمة hier-arch.
٤٥	heritage	he	ri	tage	بمعنى التراث، والميراث الحضاري وغيره.
٤٦	history	hi	ry	sto	انجليزية بمعنى التاريخ.
٤٧	story		ry	sto	انجليزية بمعنى القصة والأثر الباقي.
٤٨	registry	re	gi	stry	تسجيل وضبط وكتابة.
٤٩	...	...	...	...	انجليزية بنفس المعنى المتقدم.
٥٠	tradition	t	ra	dition	جذّرها trade بمعنى التراث.
٥١	trade	t	ra	de	جذر لكلمة tradition.
٥٢	تراث	ت	را	ث	عربية جذرها «ورث» وأصلها وارث وقلبت الواو تاء.
٥٣	وراثة	و	را	ثة	عربية أصلها من «ارث» و «ورث».
٥٤	توريث	تو	ري	ث	عربية مصدر لـ«ورَّث».
٥٥	توريخ	تو	ري	خ	عربية مصدر لـ«ورَّخ» و «أرَّخ».
٥٦	تاريخ	تا	ري	خ	عربية أصلها من «أرخ» و «ورخ».
٥٧	تأريخ	تا	ري	خ	لغة أخرى مهموزة.
٥٨	trust	t	ru	st	انجليزية بمعنى الثقة والأثر الخير والنفيس.
٥٩	أرز	أ	ر	ز	فارسية بمعنى الثمن ومرادفة لأرج الفارسية.
٦٠	evaluate	eva	lu	ate	انجليزية بمعنى يثمِّن ويقدِّر الأثر المادي والمعنويّ.
٦١	value	va	lu	e	جذر للكلمة السابقة وهي بمعنى الثمن والأثر.
٦٢	أرزش	أ	ر	زش	فارسية جذرها «أرز» وهي التقدير والتثمين.
٦٣		...	...	...	٢ ....

الهوامش:

١ـ يلاحظ الابدال الأصواتي والدلالي بين المفردات، كما يلاحظ القلب المكاني بين الكلمات في مختلف اللغات واللهجات، وما ذكرناه غيض من فيض وعلى سبيل المثال لا الحصر، إذ كل مفردة منها لها الكثير من المرادفات كمثل «ترات» ـ بالتاء ـ المشابهة لتراث ـ بالثاء مع اختلاف المعنى.

٢ـ يلاحظ انّ التوزيع الأصواتي في التقابلات قائم على أساس التركيب الفونماتيكي في الكلمات Phonematic لا الفونوتاكتيكي Phonotactic .

الملحق رقم (٥)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «دين» عموماً

١	دين	دِ	ي	ن		عربية ـ ساميّة ـ كتابية. بمعنى الجزاء.
٢	دِيانة	دِ	يا	ن	ة	عربية ـ مصدر نفس المعنى.
٣	دَيَّان	دَ	يّا	ن		عربية ـ صفة مشبّهة ومبالغة.
٤	دَان	دَ	ا	ن		عربية ـ فعل.
٥	مدينة	م دِ	ي	ن	ة	عربية ـ اسم ـ اسم مفعول ـ مصدر ميمي.
٦	دَين	دَ	ي	ن		عربية ـ جذر آخر.
٧	Debt	D	e	b	t	انجليزية ـ الباء صامتة.
٨	Dan	D	a	n		انجليزية ـ كتابية ـ سامية.
٩	Danil - el	D	a	ni	el	انجليزية ـ كتابية ـ اسم علم.
١٠	Dannah	D	a	nn	ah	انجليزية ـ كتابية ـ سامية.
١١	Dawn	D	aw	n		انجليزية ـ بمعنى الفجر = سقوط الظلام.
١٢	Down	D	ow	n		انجليزية ـ جذر آخر ـ بمعنى الاتجاه الأسفل.
١٣	دُون	دُ	و	ن		عربية ـ الاتجاه الأسفل.
١٤	دِيوان	دِ	يوا	ن		فارسية ـ معرّبة ـ بعدة معانٍ مترابطة.
١٥	دانا	د	ا	نا		فارسية ـ بمعنى الحكيم العاقل.
١٦	دانش	د	ا	ن	ش	فارسية ـ بمعنى العلم والحكمة.

١٧	دانشمند	د	ا	ن	ش م ن د	فارسية ـ بمعنى العالم الحكيم.
١٨	Divine	Di	vi	ne		انجليزية ـ لاتينية بمعنى الدين والقداسة.
١٩	Deon	De	o	n		انجليزية ـ يونانية بنفس المعاني.
٢٠	Deontology	De	o	n	tology	انجليزية ـ لاتينية ـ يونانية.
٢١	Theology	The	o	logy		انجليزية ـ لاتينية ـ اشتقاق آخر.
٢٢	Divinity	Di	vi	ni	ty	انجليزية ـ لاتينية ـ اشتقاق آخر.
٢٣	duty	D	u	ty		انجليزية ـ لاتينية ـ بمعنى الوجوب.
٢٤	Dieu	Di	eu			فرنسية ـ لاتينية ـ بنفس المعنى.
٢٥	Deus	D	eu	s		لاتينية ـ الجذر لنفس المعاني.
٢٦	Dios	D	io	s		اسبانية ـ بنفس المعنى.
٢٧	Zeus	Z	eu	s		يونانية ـ الجذر لنفس المعاني.
٢٨	Ju-piter	j	u	piter		يونانية ـ بمعنى الإله الأب ـ أبو الآلهة.
٢٩	judge	j	u		dge	انجليزية ـ لاتينية ـ بمعنى الحاكم والقاضي.
٣٠	قاضي	ق	ا		ض ي	عربية ـ بمعنى الحاكم والجازي.
٣١	Devin	D	ev	in		فرنسية ـ لاتينية ـ بمعنى الدين والقداسة.
٣٢	Deity	D	ei		ty	انجليزية ـ لاتينية ـ بنفس المعنى.
٣٣	Divinus	Di	vi	nu	s	لاتينية ـ جذر آخر.

٣٤	Diva	Di	va			هندية ـ سانسكريتيّة.
٣٥	Devil	De	vi	l		انجليزية ـ جذر آخر.
٣٦	Djinn	Dj	i	nn		انجليزية ـ عربية ـ سامية.
٣٧	jinn	j	i	nn		انجليزية ـ عربية ـ سامية شكل آخر.

الملحق رقم (٦)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتيّة والدلالية بكلمة «قرآن» عموماً

١	قرأ	ق	ر	أ	١	عربية (جذر) يدلّ على الجمع والنظم ولاسيّما في الكلام.
٢	قِرآءة	ق	ر	آ	ءة	عربية(مصدر) يدلّ على التلاوة والنظم في أدائها.
٣	قِراء	ق	ر	ا	ء	عربية (جمع) قرية على القياس كظبية وظبياء.
٤	قِرية	قِ	ر	ي	ة	لغة يمانيّة للقَرية.
٥	قُرى	قُ	ر	ىٰ		جمع (قَرية) ومنها (أُمُّ القُرى): مكّة.
٦	قِرىٰ	قِ	ر	ى		عربية بمعنى إكرام الضيف وإنعامه.
٧	قَرآء	قَ	ر	آ	ء	لهجة أُخرى ـ بالفتح والمدّ ـ وهي بنفس المعنى.
٨	قريتين	ق	ر	ي	تين	قرآنية للدلالة على مكّة والطائف.
٩	قيروان	ق	ير	وا	ن	جمع القوافل ومحطّ رحالها ومنها مدينة القيروان.
١٠	كاروان	كا	ر	وا	ن	فارسية، ومنها كاروان سراى محل القوافل.
١١	caravan	ca	ra	va	n	انجليزية ـ لاتينية ـ عالمية من جذر واحد.

١٢	كروان	ك ر	وا	ن		عربية أو معرّبة ومنها (دعاء الكروان).
١٣	قَرَنٌ	قَ	رَ	ن	ٌ	عربية (ميقات) أهل نجد ومنه أُويس القرني.
١٤	قَرَنٌ	قَ	رَ	ن	ٌ	مقرون الحاجبين خاصّة.
١٥	قَرْنٌ	قَ	رْ	ن	ٌ	لهجة عربية تدلّ على الهودج.
١٦	قَرْنٌ	قَ	رْ	ن	ٌ	لهجة أخرى تدل على المثل والنظير.
١٧	قِرْنٌ	قِ	رْ	ن	ٌ	لهجة ـ بالكسر ـ بنفس المعنى.
١٨	قُرْنة	قُ	ر	ن	ة	مجتمع الشيء ومنه قُرنة الجبل والقُرنة لمجمع النهرين.
١٩	قِمَّة	قِ	م	م	ة	القُلّة والقُنّة وهي أعلا الجبل.
٢٠	قُلَّة	قُ	ل	ل	ة	القِمّة والقُنّة وهي أعلا الجبل.
٢١	قُنَّة	قُ	ن	ن	ة	القُلّة والقِمّة وهي أعلا الجبل.
٢٢	قَرَنَ	قَ	رَ	نَ		عربية (فعل) تدلّ على الجمع والضمّ والنظم.
٢٣	قَرْنان	قَ	رْ	ن	ان	مثنى الشيء ومنه الضفيرتان.
٢٤	قُرْآن	قُ	رْ	آ	ن	كلام الله المجيد والكتاب الجامع لأصول الشرائع والأحكام.
٢٥	Quran	Qu	r	a	n	نطق القرآن وكتابته في اللغة الإنجليزية.
٢٦	Koran	Ko	r	a	n	نطق القرآن وكتابته بصورة أخرى في الإنجليزية.
٢٧	Qeran	Qe	r	a	n	نطق القرآن وكتابته في اللغة الإلمانية.

٢٨	Coran	co	r	a	n	نطق القرآن وكـتابته فـي اللـغة الفرنسية.
٢٩	Canon	ca	n	o	n	كانون، قانون: عربية أو معرّبة ـ عالمية.
٣٠	كانون	كا	ن	و	ن	كانون تدلّ على النظم والجمع والرسوم.
٣١	قانون	قا	ن	و	ن	قانون تدلّ على النظم والجـمع والرسوم.
٣٢	Canonic	Ca	n	o	nic	انجليزية مشتقّة عنِ اللاتينية ـ عالمية.
٣٣	كون	ك	و	ن		عربية تدلّ على التكوّن والنظم والوجود.
٣٤	كيان	ك	ي	ا	ن	كتابية ـ سريانية ـ عالمية تدل على الطبع والطبيعة.
٣٥	كيهان	ک	ي	ها	ن	فارسية تدلّ علىٰ الكون والعالم الكبير.
٣٦	جهان	ج	ه	ا	ن	فـارسية لغـة أُخـرىٰ مشـابهة لكيهان.
٣٧	Canonic	ca	n	o	n	انجليزية ـ لاتينيّة تـدلّ عـلىٰ الكون والكيان الواحد الكبير.
٣٨	كيوان	ک	ي	وا	ن	فارسية ـ معربّة تدلّ علىٰ أحد الكواكب المعرفة.
٣٩	چيوان	چ	ي	وا	ن	لهجة عراقية بنفس المعنىٰ.
٤٠	خوان	خ	وا	ن		عــربية تــدلّ عـلىٰ المـائدة والمعنىٰ الجامع.

٤١	خوان	خ	وا	ن		فارسية تدلّ على المعرفة والقراءة.
٤٢	know	k	ow	n	٢	انجليزية ـ اسكتلندية ـ تدل على المعرفة.
٤٣	خان	خ	ا	ن		تركية ـ فارسية ـ معربّة تدل على العارف والكبير.
٤٤	king	k	i	ng		انجليزية تدلّ على الحاكم والملك.
٤٥	Queen	qu	ee	n		انجليزية تدلّ على الحاكمة والملكة.
٤٦	Crown	c	row	n		انجليزية تدلّ على التاج والزينة.
٤٧	Corona	co	ro	na		لاتينية ـ عالمية تدلّ على الزينة والتاج.
٤٨	coronal	co	ro	na	l	انجليزية تدلّ على الزينة ولاسيما في الكنائس.
٤٩	coronate	co	ro	na	te	انجليزية تدلّ على الزينة ولاسيما في الكنائس.
٥٠	coronation	co	ro	na	tion	انجليزية تدلّ على التتويج والزينة والهالة.
٥١	coronet	co	ro	n	et	انجليزية تدلّ على التاج الصغير والهالة.
٥٢	قارون	قا	ر	و	ن	صاحب الكنوز والجامع للزينة.
٥٣	قُرون	قُ	رو	ن		جمع (قَرْن) تدل على مئة سنة أو ثمانين أو ثلاثين.
٥٤	قِران	قِ	را	ن		مصدر أو اسم مصدر يدلّ على

						الجمع مطلقاً.
٥٥	قِران	قِ	را	ن		مصطلح فلكي يدلّ على اجتماع زحل والمشتري وحديثاً على الزواج.
٥٦	قَرَنَ	قَ	ر	ن		مصطلح فقهي يدلّ على الجمع بين الحج والعمرة.
٥٧	قَرْنٌ	قَ	ر	ن		الجعبة الصغيرة التي تقرن إلى أُختها الكبيرة.
٥٨	قرين	ق	ري	ن		الصاحب، والزوج، والملازم على الدوام.
٥٩	قلم	ق	ل	م		عربية ـ عالمية ـ تدلّ على النظم والاستقامة.
٦٠	column	co	lu	mn		انجليزية ـ لاتينية ـ عالمية بنفس المعنى.
٦١	chrono	ch	ro	no		بادئة تدلّ على القرون والأزمان والتلازم.
٦٢	chronic	ch	ro	nic		مصطلح طبي وغيره يدل على الظواهر المزمنة.
٦٣	chronicle	ch	ro	nic	le	كتابية ـ لاتينية ـ عالمية ـ بنفس المعنى.
٦٤	chronos	ch	ro	no	s	(جذر) لسائر الاشتقاقات اللاتينية.
٦٥	kronica	k	ro	ni	ca	يونانية (اغريقية) بنفس المعنى.
٦٦	chronique	ch	ro	ni	que	انجليزية القرون الوسطى ـ فرنسية.

٦٧	chronological	ch	ro	no	logical	انـجليزية تـدلّ عـلى سـرد الأحداث وترتيبها زمنياً.
٦٨	chronological	ch	ro	no	logical	انجليزية صفة للاسم المتقدم.

ملاحظات:

١ـ لمزيد من الاطلاع على المفردات المتساوقة مع الجذر «قرأ» و «قرن» صوتاً ودلالة، يراجع المصطلح.

٢ـ يلاحظ أنّ التوزيع الأصواتي حسب التركيب ؛الفونياتيكي **Phonematic** وليس الفونوتاكتيكي **Phonotactic**، كما يلاحظ تبادل حرف الجيم أصواتياً مع حروف العلّة ولاسيّما «**J**» اللاتينية وهي ذات تنوعات عديدة «**Allophones**».

ملحق رقم (٧)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «قلم»[١].

١	قلم	قَ	ل	م		عربية قديمة
٢	غلم	غَ	لَ	م		لهجة فارسية
٣	گلم	گ	لَ	م		لهجة تركية
٤	اكلرپك	اك	لي	رك		كتابيّة ـ آرامية ـ معرّبة
٥	كنال	ك	ل	نا		معرّبة ـ عربية
٦	قنال	ق	ل	نا		معرّبة ـ عربية
٧	كنديلا	ك	ل	نادي		اسبانية
٨	قنديل	ق	ل	ندي		معرّبة ـ عربية
٩	Column	co	lu	mn		انجليزية ـ لاتينية
١٠	Columar	Co	lu	mar		انجليزية ـ لاتينية
١١	Columinar	Co	lu	mar		انجليزية ـ لاتينية
١٢	Calamus	Ca	la	mus		انجليزية ـ لاتينية ـ اغريقية
١٣	Calender	Ca	le	nder		انجليزية ـ لاتينية
١٤	Cylinder	Cy	li	nder		انجليزية ـ لاتينية
١٥	Climax	C	li	max		انجليزية ـ لاتينية
١٦	Culm	Cu	l	m		انجليزية ـ لاتينية
١٧	Canule	Ca	la	nu		انجليزية ـ لاتينية
١٨	Canal	Ca	l	na		انجليزية ـ لاتينية
١٩	Channel	Cha	el	nn		انجليزية ـ لاتينية
٢٠	Candle	Ca	le	nd		انجليزية ـ لاتينية ـ شرقية ـ كتابية

٢١	Clerk	C	le	rk		انجليزية ـ لاتـينية ـ شـرقية ـ كتابية
٢٢	Cleric	C	le	ric		انجليزية ـ لاتـينية ـ شـرقية ـ كتابية
٢٣	Clergy	C	le	rgy		انجليزية ـ لاتـينية ـ شـرقية ـ كتابية
٢٤	Cult	Cu	l	t		انجليزية ـ لاتينية
٢٥	Culture	Cu	l	ture		انجليزية ـ لاتينية
٢٦	رقم	ق	ر	م		عربية ـ سامية (يلاحظ الجـذر الثلاثي)
٢٧	راقم	ق	را	م		عربية ـ سامية اشتقاق من نفس الكلمة
٢٨	رقيم	ق	ر	يم		عربية ـ سامية اشتقاق من نفس الكلمة

الهوامش:

(١) يلاحظ العمود الاول والثاني في الجدول وتشابه الاصوات وتقاربها فيهما، كما يلاحظ الاعتماد علىٰ تركيب اصوات الكـلمة لا نـظمهما، اي اعـتماد الأصـوات فونماتيكيا : Phonematic.

الملحق رقم (٨)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية لكلمة «قسط» عموماً[1].

١	قسط	ق	س	ط		عربية ـ سامية ـ لاتينية
٢	قسطاس	ق	س	ط	اس	عربية ـ بكسر القاف ـ
٣	قُسطاس[2]	ق	س	ط	اس	عربية ـ لهجة أخرىٰ ـ بضم القاف
٤	قُسوط	ق	س	وط		من الأضداد بمعنىٰ العدل والعدل عن غالباً
٥	أقسط	أق	س	ط		عربية ـ بمعنىٰ عدل فقط ـ
٦	قصد	ق	ص	د		عربية ـ بمعنىٰ عدل ـ
٧	قِصاص	ق	ص	اس		عربية ـ بكسر القاف ـ
٨	قضاء	ق	ض	اء		عربية
٩	قاضي	قا	ض	ي		عربية
١٠	آضي	آ	د	ي		عربية ـ لهجة مصرية ـ
١١	آدي	آ	د	ي		عربية ـ لهجة شاميّة ـ
١٢	قازي	ق	ز	ي		عربية الأصل ـ لهجة فارسية ـ
١٣	قسّ	ق	س	س		عربية ـ ساميّة ـ كتابية ـ
١٤	قسيس	ق	س	يس		عربية ـ ساميّة ـ كتابية ـ
١٥	Just	Ju	s	t		انجليزية ـ فرنسية ـ لاتينية
١٦	Justice	Ju	s	t	ice	انجليزية ـ فرنسية ـ لاتينية
١٧	Juris Prudence	Ju	s	ri	Prudence	انجليزية ـ لاتينية
ـ١٨	Juris Pruddent	Ju	s	ri	Prudent	انجليزية ـ لاتينية

١٩	Jury	Ju	r	y		انجليزية ـ لاتينية ـ سامية
٢٠	Juror	Ju	ro	r		انجليزية ـ لاتينية ـ سامية
٢١	جور	ج	و	ر		عربية من الأضداد بمعنىٰ العدل والعدل عن غالباً
٢٢	Juridical	Ju	ri	di	cal	انجليزية ـ لاتينية
٢٣	Judiciary	Ju	ci	di	ary	انجليزية ـ لاتينية
٢٤	Judge	Ju	ge	d		انجليزية ـ لاتينية
٢٥	Judge ment	Ju	ge	d	ment	انجليزية ـ لاتينية

الهوامش:

١ـ تلاحظ نظرية الاشتقاق الأصغر والأكبر وتطبيقها على مختلف اللغات كما يلاحظ التركيز على جذور أصوات الكلمة وتركيبها لا نظمها، أي فونيماتيكياً: Phonematic لا فونوتاكتيكيا Phonotactic.

٢ـ «القسطاس بضم القاف وكسرها: «الميزان» مختار الصحاح للرازي، ص ٥٣٤ (ط. بيروت).

الملحق رقم (٩)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «إيمان» عموماً

١	أمن	أ	م	ن		عربية ـ سامية ـ كتابية ـ عالمية «جذر»
٢	أمان	أ	ما	ن		مصدر لنفس الجذر علىٰ وزن «فَعَال»
٣	أمانة	أ	ما	ن	ة	مصدر واسم مصدر بمعنىٰ الإمامة والإيمان
٤	إيمان	إي	ما	ن		مصدر آخر علىٰ وزن «إفعال» بإبدال الهمزة ياءاً
٥	أيمن	اي	م	ن		فارسية من نفس الجذر
٦	آمين	آ	مي	ن		عربية ـ سامية ـ كتابية ـ هندواوربية ـ عالمية
٧	هيمنة	هي	م	ن	ة	عربية ـ سامية ـ كتابية ـ عالمية.
٨	هينمة	هي	ن	م	ة	اشتقاق آخر «اشتقاق أكبر» من نفس الجذر.
٩	مؤمن	مؤ	م	ن		عربية أصلها مؤامن ولُيّنت وقُلِبَتْ ياءاً.
١٠	أمَنَة	أ	مَ	ن	ة	ممصدر آخر بمعنى الأمن على وزن فَعَلَة.
١١	أُمَنَة	أُ	مَ	نَ	ة	لغة أُخرى على وزن فُعَلة.
١٢	أمين	أ	مي	ن		اشتقاق أصغر على وزن «فعيل» صفة مشبهّة ومبالغة.

١٣	أمُّون	أ	مُّو	ن		اشتقاق أصغر على وزن «فَعُّول» بنفس المعنى.
١٤	Ammon	A	mmo	n		كتابية ـ سامية ـ لاتينية ـ عالمية.
١٥	Amon	A	mo	n		لهجة أُخرى، بمعنى الإله والشيء المقدس.
١٦	Amen	A	me	n		كتابية ـ سامية ـ لاتينية ـ عالمية: مقدس.
١٧	Amen	A	me	n		نفسها بمعنى الشمس وهي رمز مقدس أيضاً.
١٨	Aman	A	ma	n		كتابية ـ لاتينية ـ بمعنى الأُمّ والأصل.
١٩	Aman	A	ma	n		نفسها بمعنى آدم والأصل.
٢٠	Human	Hu	ma	n		اشتقاق آخر بمعنى الانسان وبني آدم.
٢١	Aman	A	ma	n		لاتينية ـ كتابية ـ بمعنى المجمع والأصل.
٢٢	Ammah	A	m	m	ah	لاتينية ـ كتابية ـ بمعني الرأس.
٢٣	أمّ	أ	م	م		عربية ـ سامية ـ كتابية بمعنى الرأس.
٢٤	أمّة	أ	م	م	ة	عربية ـ سامية ـ كتابية بمعنى المجمع والأصل.
٢٥	هامة	ها	م	١	ة	عربية ـ سامية ـ كتابية بمعنى أُمّ الرأس.
٢٦	Mam	a	m	m		انجليزية ـ لاتينية ـ كتابية ـ

						عالمية: أمّ.
٢٧	Ami	A	m		i	فرنسية ـ لاتينية ـ الحبيب والحب.
٢٨	madre	a	m	dre		اسبانية ـ لاتينية ـ بمعنى «أُمّ».
٢٩	mater	a	m	ter		أحد جذور «أم» في اللغات الهندوأوربية.
٣٠	mother	o	m		ther	انجليزية ـ لاتينية.
٣١	mutter	u	m		tter[٢]	المانية ـ لغات جرمانية.
٣٢	مادر	ا	م	در		فارسية ـ لغات شرقية.
٣٣	om	o	m			سنسكريتية للرمز المقدس.
٣٤	Hymn	Hy	m	n		عربية ـ كتابية ـ سامية ـ لاتينية ـ للحن المقدس.
٣٥	Harmony	Har	mo	n	y	انجليزية ـ لاتينية ـ بمعنى الانسجام الصوتي وعموماً.
٣٦	آهنگ	آ	ه	ن	گ	فارسية بمعنى الانسجام الصوتي وعموماً: الأصل.
٣٧	هماهنگ	هما	ه	ن	گ	فارسية اشتقاق آخر: الأصل والقرار.
٣٨	homo	ho	m	o		انجليزية ـ لاتينيةبمعنىالتماثل والانسجام.
٣٩	humain	hu	mai	n		فرنسية وسطى ـ لاتينية : إنساني.
٤٠	نأمة	أ	م	ن	ة	عربية بمعنى الإنسانية والحيوانية.
٤١	Amine	A	mi	ne		انجليزية ـ لاتينية بمعنى الأمان

						والأمن.
٤٢	Ammune	A	mm	une		انجليزية ـ لاتينية بمعنى الأمان والتأمين.
٤٣	Ammunition	A	mm	uni	tion	انجليزية ـ اشتقاق آخر.
٤٤	Amunition	A	m	uni	tion	فرنسية ـ لاتينية بنفس المعنى.
٤٥	lamonition	la	mo	ni	tion	فرنسية ـ لهجة أُخرى.
٤٦	مؤنة	ؤ	م	ن	ة	عربية مخفّفة من مؤونة.
٤٧	money	o	m	ne	y	انجليزية بمعنى المؤونة والنقود.
٤٨	معونة	عو	م	ن	ة	عربية بمعنى مؤونة وجذرها «عون».
٤٩	مَنَعة	ع	مَ	ن	ة	عربية بمعنى القوة والأمان.
٥٠	مناعة	ع	ما	ن	ة	عربية بنفس المعنى.
٥١	Lmmune	i	mm	un	e	انجليزية ـ لاتينية بمعنى الأمن والأمان.
٥٢	Immunity	i	mm	uni	ty	انجليزية ـ لاتينية بنفس المعنى.
٥٣	Amnetia	A	m	ne	tia	لاتينية ـ يونانية ومنها المصطلح الطبي.
٥٤	Amnesty	A	m	ne	sty	انجليزية ـ لاتينية بمعنى الأمن والأمان.
٥٥	man	a	m	n		انجليزية ـ لاتينية ـ كتابية بمعنى آدم.
٥٦	ماء	ا	م	ءُ		عربية بمعنى الأصل والحياة.
٥٧	Animate	A	m	ni	ate	انجليزية بمعنى الحياة والحيوان.

٥٨	مَنَّان	ا	م	ن	ن	عـربية ـ كـتابية رمـز لبـاعث الحياة والمنَّة: الله.

الهوامش:

١ـ لمزيد الاطلاع على المفردات المتساوقة مع الجذر «أُم» صوتاً ودلالةً يراجـع المصطلح: «أُمّة» مع الملحق رقم (٣).

٢ـ يلاحظ أنّ التوزيع الأصواتي حسب التركيب الفونياتيكي **Phonematic** وليس الفونوتاكتيكي **Phonotactic**.

الملحق رقم (١٠)

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «الصلاة» عموماً[١].

١	صلاة	ص	ل	اة	عربية ـ سامية ـ عالمية بمعنى الدعاء والتحية والسلام.
٢	صلوة	ص	ل	وة	عربية ـ لهجة أخرى وقراءة ثانية باشمام اللام الضم.
٣	صلوات	ص	ل	وات	جمع صلاة بمعنى الدعاء، ومحال، العبادة في المصطلحات الكتابية.
٤	صلة	ص	ل	ة	على وزن «علّة» وجذرها «و ص ل» و تدلّ على الوصل والوصال.
٥	صلات	ص	ل	ات	جمع صلة، وتعني الروابط المادية والمعنوية.
٦	صلادة	ص	ل	ادة	جذرها «ص ل» تدلّ على التماسك والقوة.
٧	solidarity	so	li	darity	انجليزية ـ لاتينية تدلّ على التماسك والرابطة القوية.
٨	صلابة	ص	ل	ابة	عربية تدلّ على التماسك والصلادة وهما متساوقتان.
٩	صلا	ص	ل	ا	عربية تدلّ على الحرارة والسرعة واللهب المادي والمعنوي.
١٠	صلية	ص	ل	ية	على وزن «فعلة» ـ بفتح الفاء ـ تدلّ على المرّة وبالمعنى نفسه.
١١	صوت	ص	و	ت	عربية بمعنى الشيء المسموع والكلام،

					والغناء مطلقاً.
١٢	صيت	ص	ي	ت	عربية بمعنى السمعة الحسنة غالباً وحديث الناس بالخير.
١٣	صدى	ص	ى	د	عربية بمعنى رجع الصوت ورنينه ومنه التصدية.
١٤	صدى	ص	ا	د	فارسية بمعنى الصوت وذات رابطة بكلمة صدى العربية.
١٥	sound	so	un	d	انجليزية بمعنى الصوت والصدى والتصدية.
١٦	send	se	n	d	انجليزية بمعنى الارسال عموماً وهي هنا بصيغة الفعل الحاضر.
١٧	sent	se	n	t	انجليزية بالمعنى نفسه وبصيغة الفعل الماضي.
١٨	saint	sa	in	t	انجليزية ـ فرنسية ـ لاتينية ـ كتابية بمعنى السيد والرسول.
١٩	سيّد	س	ي ي	د	عربية بمعنى الكريم والرئيس والرسول والمتأله.
٢٠	سيّدة	س	ي ي	دة	تدلّ على المؤنث بالمعاني نفسها وذات اصطلاح ديني عموماً.
٢١	salute	sa	lu	te	انجليزية بمعنى السلام والتحية والدعاء بصيغة الفعل والاسم.
٢٢	salutation	sa	lu	tation	انجليزية ـ فرنسية ـ لاتينية ـ كتابية بالمعنى نفسها.
٢٣	supplication	su	ppli	cation	انجليزية ـ فرنسية بمعنى الصلوات والتسبيحات.

٢٤	سبحات	س	ب	ح ات	عربية بضم الباء تدل على الأوراد والتسبيحات.
٢٥	سجعات	س	ج	ع ات	عربية جمع سجعة، والسجع هو الكلام والصوت المنغم.
٢٦	سجع	س	ج	ع	عربية تدلّ على الصوت المنغم عموماً وعلى ضرب من علم البديع.
٢٧	sing	s	in	g	انجليزية تدلّ على النغم بصيغة الفعل وهي متساوقة مع سجع.
٢٨	song	s	on	g	انجليزية تدلّ على الغناء والأغنية.
٢٩	صنج	ص	ن	ج	عربية وقيل فارسية معرّبة تدلّ على على آلة الغناء المعروفة.
٣٠	زنگ	ز	ن	گ	فارسية بمعنى الجرس، والصوت الرتيب.
٣١	زنجيل	ز	ن	ج ي ل	للآلة الرابطة والمصوتة عادة وهي معرّبة.
٣٢	زنجير	ز	ن	ج ي ر	بالمعنى نفسه وهي فارسية ومنها زنجيل المعرَّبة.
٣٣	singing	s	in	ging	انجليزية من مادة sing وتدل على الغناء والتصويت.
٣٤	ثناء	ث	ن	اء	عربية تدلّ على الحمد والمدح بكلام رتيب.
٣٥	سناء	س	ن	اء	عربية تدلّ على الشعاع والضياء والصيت الحسن.
٣٦	سلام	س	ل	ام	عربية تدلّ على التحية ونشر الدّعة والدعاء والثناء.

عبرية بالمعاني نفسها.	وم	ل	ش	شلوم	٣٧
انجليزية ـ لاتينية ـ كتابية ـ عالمية بالمعاني نفسها.	mn	le	so	solemm	٣٨
انجليزية تدلّ على الدعاء والسلام المودّع باللهجة الامريكية.	ng	lo	so	so-long	٣٩
انجليزية تدلّ على الشعار والهتاف والرابط.	gan	lo	s	slogan	٤٠
انجليزية بمعنى الرابطة والقربان ومتساوقة مع الصلابة والصليب.	tion	lva	si	salvation	٤١
انجليزية تدلّ على شعار مصوَّت ناعم.	nt	bila	si	sibilant	٤٢
انجليزية ـ فرنسية ـ لاتينية تدلّ على التقطيع الأصواتي.	ble	lla	sy	syllable	٤٣
انجليزية من جذر **solute** وتدل على الطهارة والصلاة.	te	lu	abso	sbsolute	٤٤
انجليزية تدلّ على أصوات ألفبائية غير حروف العلّة.	nt	na	conso	consonant	٤٥
عربية تدلّ على الأصوات الدعائية ولاسيّما في الصلاة.	ت	نـو	ق	قنوت	٤٦
انجليزية تدلّ على السؤال والطلب بمعنى الفعل الاستشاري.	t	l	consu	consult	٤٧
انجليزية تدلّ على السؤال والاستشارة بمعنى الإسم.	te	la	consu	consolate	٤٨
انجليزية بمعنى «القنصل» المعرَّبة عنها وتدل على المسؤول والمستشار.	r	la	canso	consular	٤٩
كتابية تدلّ على السائل والداعي وأسم	u	l	sa	saul	٥٠

					أحد الأولياء الكتابيين.
٥١	shaul	sha	l	u	عبرية ـ كتابية بمعنى السائل واسم جدّ قبيلة من بني اسرائيل.
٥٢	salathiel	sa	la	thiel	عبرية ـ كتابية بمعنى سؤال الرب والدعاء إلى الله.
٥٣	صهيل	ص	ل	هي	عربية تدلّ على التصويت ولاسيّما من نوعٍ خاص.
٥٤	صليل	ص	ل	يل	عربية تدلّ على تصويت ناعم ونافذ.
٥٥	صول	ص	ل	و	عربية تدلّ على تصويت وتصويل بشدة وقوّة.
٥٦	صولجان	ص	ول	جان	فارسية معرّبة بمعنى المحجن.
٥٧	صومعة	ص	وم	عة	كتابية بمعنى محل العبادة والصلاة.
٥٨	صوامع	ص	وام	ع	جمع صومعة وهي محال العبادات والصلوات.
٥٩	صداح	ص	اح	د	عربية للدلالة على الصوت المنغم الجميل.
٦٠	صياح	ص	اح	ي	عربية للدلالة على منطلق الصوت القوي.
٦١	sonnet	so	nn	et	انجليزية تدلّ على الغناء والصوت المرخم المنغم.
٦٢	sonant	so	na	t	انجليزية تدلّ على جذر con - sonant.
٦٣	sonata	so	na	ta	انجليزية ـ لاتينية تدلّ على الصوت والأغنية.
٦٤	صنت	ص	ن	ت	عربية عامية من جذر «نصت» بالقلب المكاني.

٦٥	نصت	ص	ن	ت	جذر الانصات بمعنى الاستماع الدقيق.
٦٦	**salutare**	**sa**	**lu**	**tare**	لاتينية ـ عالمية تدلّ على الصلاة والدعاء.
٦٧	صلاح	ص	ل	اح	عربية تدلّ على الانسجام والسلام والنظام.
٦٨	سجال	س	ل	اج	عربية تدلّ على الانسجام والتواصل والمساجلة.
٦٩	**skill**	**sk**	**ll**	**i**	انجليزية تدلّ على النظم والصيقلية.
٧٠	**skillful**	**sk**	**ll**	**iful**	صفة لها تدلّ على شدّة النظم ودقته.
٧١	صيقلة	صي	ل	قة	عربية تدلّ على الصفاء والصلاح والصقل.
٧٢	صيقلي	صي	ل	قي	صفة لها على وزن «فيعل» لمبالغة الصقل ودوامه[٢].

الهوامش:

١ـ يلاحظ القلب المكاني في كثير من المفردات وفي مختلف اللغات وكذلك التبادل الأصواتي.

٢ـ الترتيب الأصواتي في الجدول المقترح قائم على التقابل الفونياتيكي **Phonematic** وليس الفونوتكتيكي **Phonotactic** وأنّ المفردات المذكورة كنماذج، وغيض من فيض لمحدودية الصفحات وخشية الاطالة.

المصادر والمراجع

الكتب العربية:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ الإمام علي (ع)، نهج البلاغة.

٣ـ الإمام زين العابدين (ع)، الصحيفة السجادية الكاملة.

٤ـ أنيس، الدكتور إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٣.

٥ـ إبراهيم، الدكتور زكريا، مشكلة البنية، مكتبة مصر ١٩٧٦م.

٦ـ المخزومي، مهدي، عبقري من البصرة، وزارة الإعلام،بغداد ١٩٧٢م.

٧ـ الرازي، مختار الصحاح، بيروت ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

٨ـ أمين، الدكتور أحمد، التكامل في الإسلام.

٩ـ عبد، الدكتور كمال، جماليات الفنون، الموسوعة الصغيرة، ط. بغداد ١٩٨٠م.

١٠ـ العطار، الدكتور، التجويد وآداب التلاوة، ط. طهران ١٤٠٤هـ

١١ـ العاملي، الأمين، أعيان الشيعة، وشرح فصوص الحكم للإمام (قده).

١٢ـ البرقوقي، عبد .الرحمٰن، شرح ديوان المتنبي، ط. بيروت ١٩٨٠م.

١٣ـ نسيب الاختيار، معالم الموسيقى العربية، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٥٣م.

١٤ـ النراقي، جامع السعادات، ط. النجف الأشرف ١٣٨٣ هـ

١٥ـ الجوهري، الصحاح، ط. دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ

١٦ـ الحسيني، الدكتور محمد علي، دراسات وتحقيقات، بيروت ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٧ـ الحلي، كشف المراد، بيروت ١٣٩٩هـ
١٨ـ الحسني، دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري.
١٩ـ ابن العربي، فصوص الحكم، ط. إيران ١٣٦٦ هـ
٢٠ـ ابن أبي الحديد، القصائد العلويات السبع، ط ١٣٩١ هـ
٢١ـ الرازي، غرائب التنزيل، والمختار، ط. دار القلم ـ بيروت ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م.
٢٢ـ الطباطبائي، بداية الحكمة، ط ١٤٠٦ هـ وتفسير الميزان، ط. دار الكتب الإسلامية ١٣٦٥هـ
٢٣ـ الطوسي، تجريد الاعتقاد.
٢٤ـ ابن سينا، التعليقات، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران ـ قم.
٢٥ـ الهادي الحسيني، أمالي الهادي، بيروت: ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.
٢٦ـ الكليني، الكافي: كتاب التوحيد.
٢٧ـ الإمام الخميني، الآداب المعنوية.
٢٨ـ مغنية، التفسير الكاشف، ط: دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨١ م.
٢٩ـ المطرّزي، المعرّب، ط: بيروت، دار الكتاب العربي.
٣٠ـ المطهري، معرفة القرآن.
٣١ـ المحقق الحلي، شرائع الأحكام.
٣٢ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط: القاهرة ١٣٦٤ هـ
٣٣ـ القمي، مفاتيح الجنان، ط: طهران ١٣٨٣ هـ
٣٤ـ السبزواري، الملا هادي، الأسماء الحسنىٰ.
٣٥ـ الزبيدي، تاج العروس.
٣٦ـ زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية، ط: الهلال ـ مصر ١٩٠٤ م.
٣٧ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٨ـ فيض الإسلام، شرح نهج البلاغة.
٣٩ـ وزارة الإرشاد، الدستور الإسلامي في إيران.
٤٠ـ الاصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن.
٤١ـ الثعالبي، خمس رسائل، دار الكتب العلمية، النجف الأشرف.
٤٢ـ الشهيد الثاني، مسالك الأفهام.
٤٣ـ الاسترآبادي، ركن الدين، الشرح المتوسط، (رسالة جامعيّة) لنا دراسة وتحقيق.
٤٤ـ خلوصي، الدكتور صفاء، فن التقطيع الشعري والقافية، ط ٣، بيروت ١٩٦٦ م.

الدوريات العربية:

١ـ آداب الرافدين، جامعة الموصل، بغداد ١٩٧٥ م.
٢ـ طريق الحق.
٣ـ الوحدة الإسلامية.
٤ـ التوحيد.
٥ـ الأنوار.

الكتب الأجنبية:

١ـ الدكتور سجادي، فرهنك علوم عقلي، طهران ١٣٦١ هـ ش (بالفارسية).
٢ـ التفليسي، وجوه قرآن، دار بنياد قرآن (بالفارسية).
٣ـ صفوي، در آمدي بر زبان شناسي، طهران (بالفارسية).
٤ـ خالق مطلق، أساس اشتقاق فارسي.
٥ـ صحاح العجم، طهران ١٣٦١ هـ ش (بالفارسية والتركية).
٦ـ تجويد جامع، ط ١٣٦٣ هـ ش.

٧ـ فرهنك انجليزي، فارسي، طهران ١٣٥٠ هـ ش.

٨ـ ملا صدرا، الأسفار.

٩ـ معجم كاسل: *Cass il's, English Dictionary, (New York) 1980*

١٠ـ معجم وبستر *webster's Bible Dictionary (New York) 1980.*

١١ـ معجم اكسفورد الصغير *The Oxford Minidictionary (Oxford, 1981).*

١٢ـ *De saussure, Course in General Linguistics (Glasgow - 1978)*

١٣ـ *English Dictionary (New York 1976).*

١٤ـ *Aspects of Theory of Syntax U.S.A 1965 Copyright.*

١٥ـ *Mulder and Harvey, Theory of Linguistic Sign (Paris 1972)*

١٦ـ *Jean Aitchison, Linguistics (Teach Yourself Books U.S.A).*

١٧ـ *Noam Chomsky, Syntactic Structures Mouton 1957.*

الفهرس

الفصل الثالث

المصطلحات الإسلامية ومعادلاتها في مختلف اللغات

الملاحق

المؤلف



□ من مواليد العراق ١٩٤١ م.

□ دكتوراه فلسفة في علم اللغة التطبيقي من جامعة سنت اندروس / بريطانيا.

□ متخصص في علم اللغة المقارن والفلسفة الإسلامية.

□ استاذ في جامعة طهران ومدرس للعلوم الدينية في الجامعة العلمية.

□ شغل مناصب علمية متعددة منها: استاذ في كلية الفقه في النجف الأشرف، رئيس تحرير مجلتي (**Echo of Islam**) و (**Mahjubah**)، رئيس قسم اللغات الأجنبية في جامعة التربية بطهران، رئيس قسم الدراسات العليا للأدب الانجليزي ـ جامعة كرج.

□ شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات الإسلامية في طهران والجزائر ومكة المكرمة.

□ صدرت له العديد من المؤلفات منها:

ـ دراسات وتحقيقات (في التراث الإسلامي)، بيروت عام ١٩٧٤ م.

ـ أمالي الهادي (مباحث فقهية في الالتزام والمعاملات)، بيروت ١٩٧٥ م.

ـ كما نشرت له العديد من الدراسات والبحوث في الدوريات الإسلامية الصادرة في طهران وغيرها من البلدان.